

نظرات اقتصارية في تفسير الآي القرآنية

التفسير الموضوعي

لتعليم المحضين

أكثر من ٤٥٠ مهنة ذكرت في القرآن الكريم

الدكتور سامر مظهر قنطقجي

3

KIE Publication



التعليم المهني

أكثر من ٤٥٠ مهنة ذكرت في القرآن الكريم



د . سامر مظهر قنطقجي

الطبعة ١.٢

٢٠٢٤-٢٠٢٥



وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ

سورة البقرة: ٢٨٢

منشورات كاي

- إن مطبوعات (كتاب الاقتصاد الإسلامي الالكتروني المجاني) تهدف إلى :
- تبني نشر مؤلفات علوم الاقتصاد الإسلامي في السوق العالمي؛ لتصبح متاحة للباحثين والمشتغلين في المجالين (البحثي والتطبيقي) .
 - توفير المناهج الاقتصادية كافة للطلاب والباحثين بصيغة إسلامية متينة .
 - أن النشر الالكتروني يعتبر أكثر فائدة من النشر الورقي .
 - أن استخدام الورق مسيء للبيئة، ومنهك لمواردها .
- والله من وراء القصد .

[رابط](#) زيارة جامعة كاي KIE university

يمكنكم التواصل من خلال : www.kantakji.com

مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية
Islamic Business Researches Center





جامعة كاي

خيارك الأفضل لدراسة الاقتصاد الإسلامي وعلومه

<https://kie.university>

توضيح

إن كل ما ورد في الكتاب هو حقوق بحثية للمؤلف، ويعتبر ورقة بحثية من الأوراق البحثية لمركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية وجامعة كاي. يسمح باستخدام هذا الكتاب كمنهج أكاديمي – كما هو منشور – مجاناً مع ضرورة المحافظة على حقوق المؤلف.

www.kantakji.com ، www.kie.university

الإهداء

اللهم اجعل ثواب عملي هذا في صحيفة والدي وأهلي جميعهم،
والمسلمون جميعهم أهلي وأحبابي .

كتاب أهديه إلى أصحاب المهن، والعمال؛ ممن رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرهم، فقال: (ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده) .

وقد دعا صلى الله عليه وسلم الناس إلى التوجه إلى العمل المنتج، فقال: (لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو - أحسبه قال: إلى الجبل - فيحطب، فيبيع، فيأكل ويتصدق، خير له من أن يسأل الناس) .

والله من وراء القصد .

المؤلف ...

الفهرس

٤	منشورات كاي
٦	توضيح
٧	الإهداء
٨	الفهرس
٢٨	تقديم
٣٣	المقدمة
٣٧	الفصل الأول - ماهية التعليم المهني
٤٦	الفصل الثاني - الفعل يعلو العمل وعلو الصنع
٦١	الفصل الثالث - الاستكشاف
٦٨	الفصل الرابع - اقصار الصناعة
٦٨	إتقان العمل وإتقان الصنع
٦٩	مثال عن إتقان الصنع وكماله
٧٤	العمل يكون في الصناعة
٧٥	الصناعة تتضمن الحيلة وليست هي الحيلة
٧٨	التقدير في الصنع
٧٩	الصناعة وتمائل الصنع
٨١	إعادة الصنع وإعادة التدوير
٨٢	المواد الخام والصناعات الثقيلة

٨٢ الخشب

- ٨٢ صناعة السفن والقوارب
 ٨٣ جذع النخلة
 ٨٤ السفن تجري في البحر كالأعلام
 ٨٥ الإشراف على صناعة السفن
 ٨٥ صنع السفن بالخشب والمسامير
 ٨٦ صناعة الأسرة والأثاث
 ٨٦ المهد
 ٨٧ الأثاث والفرش
 ٨٧ رفع الأسرة
 ٨٨ المقاعد
 ٨٩ العصا كأداة
 ٩٠ الحبال والعصي

٩١ النار

- ٩١ تورية النار وكونها متاعاً للمقوين
 ٩٢ استخدام الشجر الأخضر ناراً
 ٩٢ القدح والشرارة
 ٩٣ وقد النار وصناعة الحلبي وبعض المتاع
 ٩٤ وقد النار وشوي الطين للصناعة
 ٩٥ التدفئة

٩٦ الطين

- ٩٦ الطين اللاصق
 ٩٦ الفخار
 ٩٧ الطين اليابس

٩٨ الحديد

- ٩٨ خليط قطع الحديد والنحاس المذاب
 ٩٩ عجينة الحديد اللينة

١٠٠	الحديد مادة الصناعات شديدة البأس
١٠١	التعدين والنحاس المسال
١٠٢	السلاسل المعدنية
١٠٣	إذابة معدني الحديد والنحاس
١٠٤	ثقب المعدن
١٠٤	مقامع حديدية
١٠٥	الصهر
١٠٥	الأغلال
١٠٦	السلاسل والأغلال
١٠٧	الأصفاد
١٠٨	الوثاق
١٠٨	السوط
١٠٩	السكاكين
١١٠	صناعة الطيران
١١٢	السلم والمصعد
١١٢	طاقة الريح
١١٢	قوة الريح
١١٣	الريح العاتية
١١٤	الريح العاصف
١١٤	الريح الساكنة
١١٥	الريح العقيم
١١٦	الريح لتحريك السفن
١١٧	الريح لتحريك السحاب
١١٧	صناعة السحاب وتحويله إلى مطر
١١٨	الرياح مبشرات
١١٨	الرياح اللواقح
١٢٠	طاقة الماء

١٢٠	الرياح والماء وبث الحياة
١٢٠	الماء الطهور سُقيا للأنعام وللناس
١٢١	مياه الأنهار: المياه السطحية
١٢٢	مياه البحر: المياه السطحية
١٢٣	مياه الينابيع: المياه الجوفية
١٢٤	سقي الأرض المجذبة بالماء

١٢٥ طاقة الشمس

١٢٥	الإتارة
١٢٥	الإضاءة
١٢٦	النور والدفء
١٢٦	نور الشمس

١٢٧ صناعة العمارة والتشييد وال عمران

١٢٧	قطع الصخور
١٢٨	المصانع والقصور الضخمة
١٢٩	نحت البيوت الأمانة من الجبال
١٢٩	نحت البيوت الفارهة من الجبال
١٣٠	تكسير الأحجار
١٣٠	إحياء الأرض
١٣١	تمهيد الأرض
١٣١	فتح الطرق الموصلة
١٣٢	قواعد البناء
١٣٤	تأسيس البنيان
١٣٤	الأعمدة
١٣٥	العمد الممددة
١٣٥	الأعمدة الأوتاد
١٣٦	الجبال الأوتاد
١٣٦	عمارة الجدران

١٣٧	السقف
١٣٨	رفع السقف
١٣٩	السقف المحفوظ
١٣٩	الأدراج وسقف من فضة
١٤٣	الغرف
١٤٣	السكن والبيوت
١٤٣	سُكنى بيوت الجبال
١٤٤	سُكنى البيوت من الجلود
١٤٥	سُكنى مساكن من سبق
١٤٦	سُكنى القرى والمدن
١٤٦	سُكنى الكهوف
١٤٧	سُكنى النزل
١٤٨	سُكنى القصور المرفوعة
١٤٩	سُكنى القصور في السهول
١٥٠	البيوت الخاوية
١٥٠	صفات البيوت الداخلية: لها أبواب وفيها أسرة
١٥٠	صفات البيوت الداخلية: تدخلها الشمس
١٥١	أخلاق البيوت وآدابها
١٥٣	الاستئناس والاستئذان
١٥٤	الأكل من البيوت
١٥٥	الخانات والمساكن في الطرق
١٥٥	البنّاؤون
١٥٦	البنيان
١٥٧	عمارة المساجد
١٥٨	المحراب
١٥٩	المرصاد
١٦٠	الجب

١٦١	الآبار المعطلة والقصور المهجورة
١٦٢	السجن
١٦٢	الملاجئ والأنفاق
١٦٣	زخرفة البيوت
١٦٤	التزيين
١٦٥	القوس
١٦٥	النحت
١٦٦	الدهان
١٦٧	المغتسل
١٦٧	العرش
١٦٨	الصرح الممرد
١٦٩	بناء الصرح
١٧١	تدمير البنى التحتية
١٧١	تدمير الصناعة
١٧٣	الدك والكسر والتحطيم
١٧٣	الحصيد
١٧٤	هدم الأبنية
١٧٥	تخطيط وتنظيم المدن وهندستها
١٧٥	تنظيم المدن على مستوى البلاد
١٧٧	تزيين المدن
١٧٧	زينة بالمصابيح
١٧٨	تنظيم الجنات
١٧٩	الطرق الواسعة
١٧٩	شق الأرض والسبل
١٨٠	بنيان مرصوص
١٨٠	الينابيع وصناعة السدود
١٨٠	سد ذي القرنين

١٨١	إنشاء السدود
١٨٢	الصناعة البحرية والنهرية.....
١٨٢	السفن والفلك
١٨٢	السفن الضخمة
١٨٢	النجوم أدوات تحديد الأوقات والاتجاهات براً وبحراً
١٨٣	بقاء السفينة كأية للناس
١٨٤	الساحل
١٨٤	غليان الماء
١٨٤	مجري السفن ومرساها
١٨٥	الرسو والهبوط بالسفن
١٨٦	السفر بالبحر باستخدام السفن
١٨٦	حمل الناس في السفر تكريماً لهم
١٨٧	العمل في البحر
١٨٧	الغصب وإفساد السفن
١٨٨	الصيد البري والبحري
١٨٩	صيد البحر وطعامه
١٨٩	الغوص
١٩٠	استخراج الحلي
١٩١	السفن والأنعام للركوب
١٩٢	تسخير المراكب في البر والبحر
١٩٣	صناعة الطعام والشراب.....
١٩٣	كل من يأكل ويشرب فهو مخلوق
١٩٣	بشرية الرسل والأنبياء لأنهم يأكلون ويشربون
١٩٤	سوء عاقبة من اقتصر على إشباع ملذاته
١٩٥	دليل الأكل وأدابه
١٩٧	البيوت التي تتصرفون فيها بوكالة
٢٠٠	إطعام الطعام

٢٠١	إطعام الطعام في الأزمات
٢٠٢	إطعام الجائع
٢٠٢	إطعام المسكين
٢٠٣	إطعام البائس
٢٠٤	إطعام المساجين
٢٠٥	الطعام مما أخرجت الأرض
٢٠٧	التين والزيتون
٢٠٨	في الأنعام منافع كالأكل وغيره
٢٠٨	طعام الغداء
٢٠٩	الطعام المحرم الضار
٢١٠	أصناف الطعام المحرم
٢١٣	الفاكهة للأكل
٢١٥	طعام الأنعام
٢١٦	الضيافة
٢١٦	طلب الضيافة
٢١٧	الشراب
٢١٨	عصر الزيتون وغيره
٢٢٠	الخبز
٢٢٠	اللبن
٢٢١	في البحر لحم طري وحلي تلبس
٢٢٢	الماء العذب الفرات
٢٢٣	الزنجبيل
٢٢٤	رحيق مختوم
٢٢٤	الكافور
٢٢٥	الملح
٢٢٥	حب الحصيد

٢٢٦ صناعة الغزل والنسيج واللباس والفرش

٢٢٦ _____ الغزل والنسيج والحياسة

٢٢٦	اللباس والثياب
٢٢٧	اللباس للستر وللجمال
٢٢٨	قُمصان من الكتان والقز والقطن والصوف
٢٢٩	لباس الحرير
٢٣٠	ثياب سندس من الديباج
٢٣٠	الفرش والأسرة

٢٣٠	فرش مرفوعة
٢٣١	وسائد وفرش
٢٣١	نمارق
٢٣١	سرر موضونة
٢٣٢	سرر مصفوفة
٢٣٢	سرر متقابلة
٢٣٣	سرر عليها يتكئون
٢٣٣	الصوف المنفوش
٢٣٣	المتكأ
٢٣٤	الخُمار
٢٣٥	البساط
٢٣٥	الزرابي
٢٣٦	الخيام والمقصورات

٢٣٦.....صناعة الزينة والحلي

٢٣٦	الزينة
٢٣٧	الثياب الجميلة والحلي، وجميع البدن كله من الزينة
٢٣٨	استخراج الحلي من البحار وصناعتها
٢٣٨	اللؤلؤ والمرجان
٢٣٩	اللؤلؤ المكنون
٢٤٠	اللؤلؤ المنتور
٢٤٠	الياقوت والمرجان

٢٤٠	لبس الأساور
٢٤١	أساور من ذهب
٢٤٢	أساور من فضة
٢٤٣	لبس السندس والاستبرق
٢٤٣	صحاف ذهبية

٢٤٥ الفصل الخامس - أقصار الزراعة

٢٤٥	استنبات الأرض وزراعتها
٢٤٦	إحياء الأرض بإيجاد الماء
٢٤٦	الأكل مما أخرجته الأرض دون تدخل من أحد
٢٤٨	رحلة الزراعة

٢٤٩..... الزراعة

٢٤٩	مضاعفة الإنتاج
٢٥٠	تعدد الإنتاج والأصل واحد
٢٥٠	الزراع هبة الله
٢٥١	تحضير الزرع
٢٥٢	موسمية الزراعة
٢٥٣	إخراج الحب
٢٥٤	الاستغلال الأفضل للأرض (حالة تعظيم)
٢٥٤	العسل
٢٥٥	هز الجذع

٢٥٦..... الحرث

٢٥٦	النهي عن إهلاك الحرث
٢٥٦	فلاحة الأرض
٢٥٧	فلق الحب والنوى
٢٥٨	الاعتداء على الحرث

٢٥٩..... السقاية

٢٥٩	إناء السقاية
٢٥٩	سقي المواشي
٢٦٠	السقاية بالمطر
٢٦٠	السقاية بالدلو
٢٦١	سقاية النبات والحيوان والناس
٢٦١	توزيع السقاية

٢٦٢ اقتصاد الرعي وتربية الحيوانات

٢٦٢	الأنعام للركوب
٢٦٣	الأنعام للزينة
٢٦٣	الدفء
٢٦٤	الأنعام للجمال
٢٦٤	حمل الأثقال
٢٦٥	رعاية الأنعام
٢٦٥	هش الغنم
٢٦٦	الحليب واللحم
٢٦٦	تملك الأنعام
٢٦٧	المرعى
٢٦٧	ما تنتجه الأرض فيه أكل للناس ولأنعامهم التي ترعى
٢٦٨	الأرض وما فيها متاع للناس ولأنعامهم
٢٦٨	الجبال وما فيها متاع للناس ولأنعامهم

٢٦٩ طعام الأنعام

٢٦٩	غشاء أحوى
٢٦٩	تجفيف النبات بالرياح
٢٧٠	العصف
٢٧١	الهشيم المحتظر
٢٧١	كلب الحراسة
٢٧٢	الصيد بالجوارح (الكلب والصقر ...)

الفصل السادس - اقصار المهن والحرف _____ ٢٧٥

٢٧٥ الرواية والقصص والأخبار.

٢٧٥	القصص الحق
٢٧٥	القصص للتفكر والعبرة
٢٧٦	أحسن القصص
٢٧٨	الأخبار
٢٧٨	للأرض أخبار تخصصها
٢٧٩	التأويل
٢٨٠	منطق الطير
٢٨١	منطق النمل

٢٨٢ الحلاقة.

٢٨٢ النعل.

٢٨٣ التتبع والهداية والتقصي.

٢٨٣	التقصي
٢٨٣	الاهتداء والتتبع

٢٨٤ التصوير.

٢٨٥ تحطيم الزجاج.

٢٨٥	التحطيم
٢٨٥	يحطمنكم

٢٨٦ حمل الأثقال.

٢٨٦	إشارة لحجم الخزائن وما فيها
٢٨٦	حبل (ليف)
٢٨٦	حمل الحطب
٢٨٧	الحمار للحمل

٢٨٨ الإضاءة والإنارة.

٢٨٨	المشكاة
٢٨٨	المصباح
٢٨٨	الزجاجة
٢٨٨	الوقد
٢٨٨	استخراج زيت زيتون
٢٨٨	الإضاءة
٢٨٩	المصابيح
٢٩٠	البروج والإنارة
٢٩١	السراج
٢٩١	الصباغة
٢٩١	استخراج زيت الدهن
٢٩٢ اللغو واللعب
٢٩٢	اللعب
٢٩٢	الأصنام
٢٩٣	اللعب والرتع
٢٩٣	السبق
٢٩٤ الأكواب والآنية
٢٩٤	الأكواب
٢٩٥	الآنية
٢٩٥	قوارير من فضة
٢٩٦	كأس مزاجها زنجبيلا
٢٩٦	كأس مزاجها كافورا
٢٩٦	كأس من معين
٢٩٧ الأبواب
٢٩٧	إغلاق الأبواب
٢٩٨	أبواب البيوت
٢٩٨	إدارة المخاطر بتوزع الدخول من عدة أبواب

٢٩٩	أبواب الغرف
٢٩٩	مؤصدة
٢٠٠	المفاتيح والأقفال
٣٠٠	ملك المفاتيح
٣٠١	المفاتيح
٣٠٢	الأقفال (مادية ومعنوية)
٢٠٢	استخراج الكنوز
٣٠٢	الكنز
٣٠٤	الفصل السابع - أقصاء التجارة
٣٠٤	التجارة
٣٠٤	التجارة الحاضرة
٣٠٤	تجارة عن تراضٍ
٣٠٥	التجارة عبر البحار
٣٠٦	البحر للتجارة
٣٠٧	رحلة الشتاء والصيف
٣٠٨	الأسواق
٣١٠	المال
٣١٠	حب المال
٣١١	عدُ المال
٣١١	المال الكثير
٣١٢	الغنى
٣١٣	الكنوز الضخمة
٣١٤	الكنز صفة معتبرة عند الناس
٣١٥	الأموال الظاهرة
٣١٦	النقود

٣١٦	دخول الباء على الثمن
٣١٦	النقود من الذهب
٣١٧	النقود من الفضة
٣١٩	المال يحتاج رقابة
٣٢٠	أشكال المال
٣٢٠	أكل الأموال بالباطل

٣٢٢ البيوع

٣٢٢ الربا

٣٢٢	الربا والبيع
٣٢٤	الربا المضاعفة

٣٢٥ البيوع

٣٢٥	البيع ليس مثل الربا
٣٢٥	البيع
٣٢٧	التجارة والبيع
٣٢٨	البيع وقت الجمعة
٣٢٩	الشراء
٣٣٠	تعظيم الشراء
٣٣١	الشراء بالثمن القليل

٣٣١ الشراكة

٣٣١	الشركاء
٣٣٢	الشراكة
٣٣٣	التعهدات
٣٣٥	المضاربة

٣٣٥ العمل

٣٣٥	العمل بالنهار
٣٣٧	الحساب والوقت

٣٣٧	استئجار العامل وأجره
٣٣٩	عقد الإجارة
٣٣٩	الجُعالة
٣٤٠	اختيار الأجير الفصيح للمنصب المناسب
٣٤٢	تدرج الأعمال والوظائف

٣٤٣ التحكيم

٣٤٣	القضاء
٣٤٥	التحكيم بكتاب الله
٣٤٥	الحكم يكون بالحق
٣٤٦	التحكيم بين الزوجين
٣٤٨	القاضي
٣٤٨	التحكيم الشرعي أصل من أصول الإيمان
٣٤٩	صفات من لم يحكم بما أنزل الله

٣٥١ التوريد واللوجستيات

٣٥١ التخزين

٣٥١	الادخار والتخزين
٣٥٢	الخزائن
٣٥٣	خزائن الله تعالى
٣٥٣	تخزين الماء في الأرض
٣٥٤	الحفظ
٣٥٥	المستودع
٣٥٦	الخزائن
٣٥٦	الإنفاق وملك الخزائن
٣٥٧	البضاعة
٣٥٨	البضاعة المزجاة (الرديئة)
٣٥٨	عروض التجارة
٣٥٩	جعل البضاعة في الرحال

٣٦. النقل

- ٣٦٠ التحميل والنقل
 ٣٦٠ السفر
 ٣٦١ تعدد المنافع (قضاء الحاجات، السفر، التحميل)
 ٣٦٢ الشحن البحري
 ٣٦٣ ركوب أي وسيلة
 ٣٦٣ البريد والبريد الزاجل

٣٦٤.....الأعمال المنكرة.

- ٣٦٤ البغاء
 ٣٦٥ الإكراه على البغاء
 ٣٦٥ إتيان المنكر في النادي
 ٣٦٦ النفاثات في العقد
 ٣٦٦ الحسد
 ٣٦٧ الكيد
 ٣٦٧ التولي والإفساد
 ٣٦٧ بطلان الأعمال
 ٣٦٨ الأعمال الخاسرة
 ٣٦٩ الأحبار والرهبان
 ٣٧٠ السحر
 ٣٧٢ السحر، الحبال، العصي
 ٣٧٢ الخمر والميسر
 ٣٧٤ عصر الخمر

٣٧٤.....السياحة.

- ٣٧٤ السياحة والحج
 ٣٧٥ الحج والسياحة الدينية
 ٣٧٦ السفر

٣٧٧.....المكايل والموازين.

٣٧٧	صواع
٣٧٧	الأوعية
٣٧٨	الموازين
٣٨٠	ثقل الموازين
٣٨٠	خفة الموازين
٣٨٠	الميزان لإقامة العدل
٣٨١	إخسار الموازين
٣٨١	القسطاس
٣٨٢	الكيل والوزن
٣٨٤	توفية الكيل
٣٨٤	توفية الكيل وعدم الإخسار
٣٨٥	الإيفاء بالكيل والميزان
٣٨٦	العدل في القياس
٣٨٧	عدم بخس الناس أشياءهم

٣٨٨ الفصل الثامن - أقصار الإدارة

٣٨٨	<u>الموارد البشرية</u>
٣٨٨	صناعة القادة
٣٨٨	مؤهلات القيادة
٣٩٠	صفات الأجير
٣٩١	الإرضاع وقواعده
٣٩٣	ظلم الحاكم
٣٩٤	العرش
٣٩٤	الوزير
٣٩٥	العزير
٣٩٥	الخليفة
٣٩٦	<u>الإدارة المالية</u>

٣٩٦	الترشيد بالتوسط
٣٩٧	كتابة الديون
٤٠٥	الحساب والمحاسبة
٤٠٦	الرقابة
٤٠٦	الله شاهد على كل أعمال الخلق
٤٠٧	إحاطة علم الله بخلقه واطلاعه عليهم
٤٠٩	شدة قدرة الله
٤١٠	معية الله
٤١٠	الرصد
٤١١	إدارة الحياة
٤١١	صناعة الحياة الآمنة المطمئنة
٤١٢	أداء الأمانة
٤١٣	حمل الإنسان الأمانة دون غيره من المخلوقات
٤١٤	أداء الأمانة والابتعاد عن الخيانة
٤١٦	عدم خيانة الأمانة
٤١٧	المؤمنون مؤدون للأمانة وموفون للعهد
٤١٩	صناعة الكتابة
٤١٩	الكتابة
٤٢٠	تزوير الكتابة والكذب على الله
٤٢١	الحفظة يكتبون
٤٢٢	البحر كمداد
٤٢٣	كتابة الغيب
٤٢٣	الكتابة على الرقيم
٤٢٤	المحبرة والقلم والسطر والكتابة
٤٢٤	خط الكتب وقراءتها والكتابة باليمين
٤٢٥	استنساخ الكتب
٤٢٦	صناعة الأقلام من الشجر وصناعة الحبر أسوة ببون البحر

٤٢٧	التعليم والتدريس
٤٢٨	القراطيس
٤٢٩	تأويل الأحاديث
٤٢٩	التعلم والمعلم
٤٣٠	القلم
٤٣٠	الكتب والكتاب المرقوم
٤٣١	الكتب وطي السجل
٤٣١	الكتب المسطرة
٤٣٢	ما يكتب عليه
٤٣٣	الخاتمة والنتائج

تَقْرِيم

عَمَلِ الْمُؤَلَّفِ كَمُدْرِبٍ لِعِلْمِ الْكَمْبِيُوتَرِ وَعِلْمِ الْاِقْتِصَادِ بِمُخْتَلَفِ مَجَالَاتِهَا، لِأَكْثَرِ مِنْ ٤٠ عَامًا، خَرَجَ مِنْ مَرْكَزِ التَّدْرِيبِ الْخَاصِ بِهِ^١ وَالْمُرْخُصِ مِنْ وَزَارَةِ التَّرْبِيَةِ السُّورِيَّةِ^٢ مِنْذَ عَامِ ١٩٨٧، أَكْثَرِ مِنْ ٤٠ أَلْفِ مُتَدْرِبٍ مَهْنِيِّ، إِضَافَةً لِمِئَاتٍ مِنْ الْمُتَدْرِبِينَ فِي دُورَاتٍ عُقِدَتْ خَارِجَ مَرْكَزِ التَّدْرِيبِ، وَفِي وَرَشِ عَمَلٍ، فِي أَكْثَرِ مِنْ بِلَدٍ. وَذَلِكَ فِي مَجَالَاتٍ:

– عِلْمِ الْكَمْبِيُوتَرِ كَأَنْظَمَةِ التَّشْغِيلِ وَلِغَاتِ الْبَرْمُجَةِ وَتَطْبِيقَاتِهَا وَالتَّصْمِيمِ الْهَنْدَسِيِّ وَالْفَنِيِّ ... الْخَ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ شَهَادَاتٍ مَهْنِيَّةٍ بِمَا فِي ذَلِكَ الشَّهَادَاتِ الْعَالَمِيَّةِ الَّتِي تَمْنَحُهَا الشَّرْكَاتُ الْمُنْتِجَةُ لِلْبَرْمُجِيَّاتِ كَمِيكْرُوسُوفْتِ وَأُورَاكْلِ وَأَمَازُونِ وَأَدُوبِي وَسَيْسَكُو ... الْخَ، وَمِثْلَ مَرْكَزِ **Prometric** كَمَرْكَزِ امْتِحَانَاتٍ مَعْتَمَدٍ **Certified Test Center** لِتِلْكَ الشَّهَادَاتِ الْعَالَمِيَّةِ، وَقَدْ اسْتَفَادَ مِنْهُ الْمِئَاتُ مِنَ الْمُتَحَنِّينَ الَّذِينَ حَصَلُوا عَلَى شَهَادَاتِهِمْ مِنَ الشَّرْكَاتِ الْعَالَمِيَّةِ، وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ لِعَامِي ٢٠٠١-٢٠٠٢ وَتَوَقَّفَ إِثْرَ الْعُقُوبَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ عَلَى سُورِيَّةِ.

^١ بِاسْمِ: مَعْدِ الْخَوَارِزْمِيِّ لِعِلْمِ الْكَمْبِيُوتَرِ
^٢ تَرْخِيصَ رَقْمِ ١٠٢٧ لِعَامِ ١٩٨٧ الصَّادِرَ عَنِ مَجْلِسِ مَحَافِظَةِ حِمَاةِ.

– علوم المحاسبة والاقتصاد والتسويق الإحصاء وبحوث العمليات والإدارة والموارد البشرية والمخازن والإدارة المالية والهندسة المالية والصيرفة الإسلامية والتأمين الإسلامي ... الخ.

لذلك فقد حظي التعليم المهني اهتماماً كبيراً لدى المؤلف، ونشأت لديه مفاهيم خاصة به، طورها خلال تلك المسيرة المهنية الطويلة. فبعض المتدربين الخريجين شغل مناصب قيادية عالمية في أكثر من بلد، وكثير منهم استفاد من موقعه الإلكتروني: مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية www.kantakji.com ومجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية التي أسسها ورأس تحريرها حتى تاريخه. وما زال العمل مستمراً بفضل الله تعالى.

وساهم المؤلف في إنشاء العديد من المدارس العريقة للمراحل الابتدائية والتي تليها، ومدارس مهنية أيضاً، وكان مساهماً في التأسيس وكاستشاري ومدرّب للكوادر التنفيذية فيها، فضلاً عن أسهاماته في تأسيس معامل ومنشآت صناعية وخدمية داخل وخارج سورية.

تتلخص الخبرات المهنية للمؤلف بالآتي:

١. مؤسس ورئيس جامعة **KIE University** (جامعة أونلاين

رخصت من التعليم العالي الصومالي)، ٢٠١٧-٢٠١٩. وسبقها

رئاسة الجامعة الاسكندينية (اونلاين) وكذلك جامعة Pebble

Hills (اونلاين) ومازال رئيسها الفخري حتى تاريخه .

٢ . مؤسس مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية منذ ٢٠٠٣ الذي يظهر

في محرك بحث غوغل ٥-٦ مرات في الدقيقة حول العالم حسب

إحصائيات غوغل الشهرية .

٣ . مؤسس ورئيس تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية منذ ٢٠١٢

ومازال .

٤ . مؤسس ومالك معهد الخوارزمي (مرخص من وزارة التربية السورية)،

تخرج من المعهد أكثر من ٤٠ ألف متدرب، منذ ١٩٨٧ .

٥ . مستشار تمويل صغير للأمم المتحدة UNDP في برنامج

Protected & Biodiversity Conversation

Micro & credit_Micro) Area Management

(enterprise Specialist) .

٦ . مستشار تمويل صغير للأمم المتحدة UNDP في برنامج

_Community Development in Jabal A

Hoss, Phase II . مشروع تنمية المجتمع الريفي في جبل

الحص .

٧. مستشار مسجل لدى الشركة الألمانية Berenschot

International Solutions لعام ٢٠٠٣ التي تعمل في

مجال الاستشارات منذ عام ١٩٤٠ في مختلف أنحاء العالم وهي

شركة استشارية للاتحاد الأوروبي .

٨. مستشار لبنك التنمية الإسلامية بجدة، برقم ٥٧١ لعام ٢٠٠٢ .

٩. مدرب معتمد وخبير مصارف إسلامية مشارك في برنامج دعم

إصلاح القطاع المصرفي السوري المدعوم من الاتحاد الأوروبي .

١٠. مستشار لشركة التمويل الأصغر للبلدان العربية .

١١. أعد أكثر من ٣٥٠ دراسة جدوى واستشارة اقتصادية لمشاريع صغيرة

ومتوسطة الحجم (منها في تونس ومصر وأذربيجان والسعودية

والأغلب في سورية) . إضافة إلى عشرات الدراسات لمشاريع صغيرة .

١٢. مدرب لأنشطة برامج هيئة مكافحة البطالة والمشروعات الصغيرة،

مركز الأعمال السوري الأوروبي بدمشق، ٢٠٠٢ .

١٣. مستشار ومدير متابعة تنفيذ مشروع خطوة للتمويل الصغير

٢٠١٧-٢٠١٩ .

١٤. مدرب في غرف تجارة حمص وتجارة حلب لسنوات عديدة .

١٥. مدرب في جمعية الرعاية الاجتماعية بحماة .

١٦. مدرب في جمعية البر بحمص .
١٧. مستشار وخبير تمويل صغير في وزارة الزراعة السورية بالتعاون مع الأمم المتحدة – مشروع التشجير في جبل عبد العزيز والفرلق وسلحب .
١٨. مدرب لأنشطة برامج ريادة الأعمال والإدارة الاستراتيجية وخطة العمل، في مركز تمكين الشباب ومركز تعافي التابعين للأمم المتحدة بحماة، ٢٠١٩ وما زال .

حماة (حماها الله) بتاريخ ١٩ محرم ١٤٤٦ هـ الموافق ٢٥ يوليو ٢٠٢٤

المؤلف

المقدمة

الرب والربوبية، ورب الناس:

جاء في قاموس المعاني أن الرَّبَّ هو اسم الله تعالى، وأن رَبَّ الْعَالَمِينَ هو الله، وهو من أسماء الله تعالى ولا يقال الرَّبُّ في غير الله إلا بالإضافة، يُقال: رَبُّ الْوَلَدِ: رَبَّاهُ، تَكْفَلُ بِغِذَائِهِ وَكِبَاسِهِ، أَدَبَهُ، و (رَبُّ الشَّيْءِ: ملكه)، و (رَبُّ النُّعْمَةِ: حَفِظَهَا وَنَمَّأَهَا)، وتأتي أيضاً بمعنى: المالك، السيد، المربي، القيم، المنعم، المصلح، المدير.

ذكر السعدي^١: الرب، هو المربي جميع العالمين – وهم من سوى الله – بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعمة العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة، فمنه تعالى. وتربيته تعالى خلقه نوعان: عامة وخاصة. فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا. والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السرفي كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخله تحت

^١ تفسير السعدي، سورة الفاتحة.

ربوبيته الخاصة، فدلّ قوله: **رَبِّ الْعَالَمِينَ**، على انفراده بالخلق والتدبير،
والنعم، وكمال غناه، وتما فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار.
إن خلق البشر بوصفهم موارد بشرية، وخلق حاجات تحتاجها لا تستغني
عنها، قابلها خلق الموارد المادية التي لها صفة إشباع تلك الحاجات، ثم
هداهم لآليات إشباع تلك الحاجات، فقوله تعالى: **وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ**
(الحديد: ٢٥)، رأى فيه ابن عاشور، أنه يجوز أن يُراد بالحديد خصوص
السلاح المتخذ منه من سيوف وأسنة ونبال، فيكون إنزاله مستعاراً مجرد
إلهام صنعه.

لذلك فقد هدى الله تعالى، الناس للعلم المهني، بكشفه لهم بالتدريب
والملاحظة عبر بعض الحيوانات وتصرفاتها، أو عن طريق بعض الظواهر
الكونية، كما ذكر المهن في كتابه الكريم صراحة أو إشارة أو تلميحاً،
تاركاً للعقل البشري فُسحة، ليستنبط ويعمل فكره فيه. لذلك كانت
دعوته بأدوات تولّد المعرفة الفنية **know-how** لاكتساب العلم بطريق
الاستنباط باستخدام العقل، وبطريق التجربة باستخدام الملاحظة ثم
التجربة.

وكان الله تعالى قد هدى أبو البشر وأول إنسان مخلوق لأسماء الأشياء ومفرداتها للدلالة عليها، قال تعالى: **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** (البقرة: ٣١)، ثم علمهم طرق التعامل معها، قال الله تعالى **مُعَلِّمًا الْإِنْسَانَ كَيْفَ يَدْفِنُ مِنْ مَاتَ: فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ** (المائدة: ٣١)، فهو تعالى قد علم آدم الأسماء كلها بوصفها أبجدية الحياة وهذا تدريب له ليكتسب المعارف لبناء ذكائه البشري، ثم ذكائه الصنعي لاحقاً، ويمثل آدم عليه السلام الجنس البشري كله.

جاء قوله تعالى: **وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** (البقرة: ٢٨٢)، بنهاية أطول آية في القرآن الكريم، وهي آية فصلت أحكام الكتابة العادلة وإثبات الدين والشهادة حالة البيع الحال والأجل، وأرست ضوابط كل ذلك، ومن المفسرين من استخلص أكثر من خمسين حكماً. ويُفهم من هذه الجملة، أن مصدر العلم هو الله تعالى، فهو المعلم الذي يُعلم المؤمنين أحكام دينهم في تعاملاتهم، لضمان صلاح حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، وقد استهلّت الآية بنداء خاص للمؤمنين: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**.

وسوف يتم تناول موضوع (التعليم المهني) في سبعة فصول، الأول حول ماهية التعليم المهني، والثاني حول الاستكشاف والابتكار، والثالث

سيتناول اقتصاد الصناعة، والرابع سيتناول اقتصاد الزراعة، والخامس سيتناول اقتصاد المهن والحرف، والسادس سيتناول اقتصاد التجارة، والسابع سيتناول اقتصاد الإدارة وعلومها. وسيتم تتبع المهن التي أشار إليها القرآن الكريم، سواء كانت سلعاً أو خدمات، لأن ذلك يُقدم للمهنيين والعاملين فكرة يُمكنهم البناء عليها، وسيتم الاستعانة بتفاسير القرآن الكريم لمعرفة ما أورده المفسرون حول هذا الشأن.

الفصل الأول - ماهية التعليم المهني

يُعدُّ التعليم اللبنة الأساسية لتحقيق أي نمو اجتماعي واقتصادي منشود، وتعتبر القراءة هي السبيل لكسب التعلّم، لذلك لا غرابة أن كانت كلمة (إقرأ)، هي أول كلمة نزلت في القرآن الكريم، فهي مفتاح بوابة العلم. والقراءة قد تكون تصريحاً من شيء مكتوب، أو شفاهة، وقد تكون تلميحاً بالملاحظة والإشارة.

وبإضافة التدريب المهني للعملية التعليمية، يكون التعليم مهنيًا، أي شاملاً للممارسة العملية بالتدريب والتطبيق العملي في مختلف الحرف والمهن، ويغلب كسب العلم في التدريب المهني بطريقة التلميح بالملاحظة والإشارة، حيث يكون المهني في ميدان العمل مع معلميه وأقرانه، فيتعلم بالممارسة أكثر مما يتعلّمه تلقيناً نظرياً (كتابة وشفاهة). فتكون طرق اكتساب المعارف ذات العلاقة ذاتية، أو بالتدرّب في ورش العمل، أو من خلال الدراسة النظرية والعملية.

وتتعدد التخصصات المهنية، وتختلف زماناً ومكاناً، وقد يتطلب بعضها تكويناً وتدريباً مخصصاً قبل دخول السوق والعمل فيه. وتشمل التخصصات طيفاً واسعاً، منها^١:

^١ ويكيبيديا، مادة (تعليم مهني).

البناء، الري، الزراعة، الصناعات (الميكانيكية والكهربائية والكيميائية والالكترونية والمعدنية والبلاستيكية والغذائية والعسكرية)، الحديد، المحركات، الخشب، الأثاث، المطاط، صناعة الزجاج والمرابا، التقنيات السمعية والبصرية والاتصال، تقنيات الإدارة، البنوك والتأمين، النسيج، الألبسة، الجلود، الفنادق والسياحة، الصناعة اليدوية، الصناعة التقليدية، العمل في السفن، صيد السمك، ... وغيرها.

ويستهدف التعليم المهني فئات المجتمع جميعها؛ شباباً وكباراً، ذكوراً وإناثاً، بغية تزويدهم بالمهارات اللازمة للحصول على فرص عمل لائقة، أو زيادة الأعمال. والتعلم المهني عملية مستمرة، لتنمية المهارات، بما يكفل التعليم المناسب والعمل المهني لضمان العيش الكريم مدى الحياة لجميع الفئات المستهدفة، وبسبب مساهمته الفاعلة والفعالة في تحقيق التنمية المستدامة، فهو أساس إقامة اقتصاد شامل ومستدام.

وبناء على ما سبق، يجب أن تخضع علوم التعليم المهني وفنونه لاستراتيجيات مركزية. وقد نشدت اليونيسكو في استراتيجيتها^١ للأعوام ٢٠٢٢-٢٠٢٩، الارتقاء بالتعليم والتدريب في المجال التقني والمهني من

١ اليونيسكو، مشروع استراتيجية التعليم والتدريب في المجال التقني والمهني (٢٠٢٢-٢٠٢٩)، الارتقاء بالتعليم والتدريب في المجال التقني والمهني من أجل عمليات انتقال ناجحة وعادلة، باريس، ٢٠٢٢-٣-٤. الدورة ٢١٤.

أجل عمليات انتقال ناجحة وعادلة، لتحقيق الإنعاش الاقتصادي، والتنمية المستدامة خلال السنوات الثماني المقبلة. وراعت رؤيتها الأولويات الراهنة والمستقبلية للمتعلمين وللمجتمعات وللإقتصادات. وأقرت الاستراتيجية على وجه الخصوص ضرورة الأخذ بمنهج شامل واستباقي لمواجهة التحديات المرتبطة بستة مجالات رئيسية، تتعلق جميعها بالتقدم المحرز نحو تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتمثل بالآتي:

١. الإنعاش الاقتصادي.
٢. التغييرات التكنولوجية.
٣. استمرار العمل غير النظامي.
٤. التحولات السكانية: تمر القارات والبلدان بمراحل انتقالية مختلفة، ففي القارات والبلدان التي ترتفع فيها نسبة الشباب يقتضي الحال توسعاً مستمراً وسريعاً في نظم التعليم والتدريب، واستحداث فرص عمل على نطاق واسع، أما البلدان التي تشهد انخفاضاً في فئات المواطنين في سن العمل وتزايداً في عدد كبار السن وارتفاعاً في متوسط العمر المتوقع فتحتاج إلى تنمية مهارات كبار السن من العاملين.

٥ . القضايا المجتمعية: يندرج عدم الاستقرار السياسي والنزاعات وتغير المناخ كعوامل تؤدي إلى عدم الاستقرار الاجتماعي وإلى اتساع نطاق حركات الهجرة داخل البلدان وفيما بينها .

٦ . الانتقال إلى الاقتصاد الأخضر والمستدام: حيث لابد من بذل المزيد من الجهود للتخفيف من وطأة تغير المناخ ووقف فقدان التنوع البيولوجي وإعادة تأهيل النظم الإيكولوجية والحد من التلوث .

والحقيقة أنه لا يمكن الركون إلى التجربة الإنسانية كلياً، وخاصة في مجال التعليم، لأنها تتغير زماناً ومكاناً فتراها لا تثبت على حال . فالتعليم له أسس تمثل ركيزته، أما العملية التعليمية فتدور حول تلك الأسس . وباستعراض سريع للتجربة الإنسانية، نجد أن :

- التعلّم كان فردياً وذاتياً .
- ثم صار متمحوراً حول أستاذ ومعلم .
- ثم صار في مساجد أشبه بالجامعات .
- ثم صار كما نراه .

إلا أن إثبات الدرجة العلمية وتمييزها، قد تعرض لكثير من التغيير، ففي حين كانت الابتدائية شهادة، سرعان ما تغير ذلك، وصارت الإعدادية ثم تغير ذلك لتكون الثانوية هي الشهادة العلمية التي تسبق أي دراسة

جامعية . كما تغيرت الدرجات التعليمية العليا أيضاً، فقد استقر دبلوم الدراسات العليا حيناً من الزمن ثم ألغي لتكون الماجستير والدكتوراه، ثم قدمت بريطانيا برامج من البكالوريوس إلى الدكتوراه مباشرة . وبسبب الفروق بين الشهادات العلمية والمهنية، برزت شهادة الماجستير في إدارة الأعمال المهنية نظراً لحاجة السوق، ثم أتت بدكتوراه مهنية، وها هي ماليزيا الآن تقبل الماجستير المهني لإكمال الدكتوراه العلمية .

ومما يهمنا في بحثنا أن نذكر أنه في بعض الدول الأوروبية يمكن للمهني تقديم وثيقة خبرة تثبت عمله في مجال مهني ما لمدة عشر سنوات ليُمنح مقابلها شهادة ثانوية مهنية .

وفي نهاية ٢٠١٩ أطلّ الرئيس الأمريكي ليقول : لسنا بحاجة لشهادات علمية بل نريد خبرات مهنية، وكان قد سبقه كبرى شركات التقنية كمايكروسوفت وغوغل وفيسبوك في ذلك .

وبرأي المؤلف، فإن كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) قد سبق الجميع بإرساء ركائز العلم، فقد أشار لمهن كثيرة وواسعة يحتاجها الناس في حياتهم، لتكون لهم مهنة يمتنونها ويعملون بها لإعمار هذا الكون بما يليق بالإنسان الذي أكرمه الله تعالى عن غيره من المخلوقات، فبعد أن سخر الله له كل شيء في الكون، علّمه تارة بالتصريح وتارة بالتلميح

وتارة بالإيحاء، لتبني صناعات استراتيجية وأخرى تحويلية.
 وكل ذلك متضمن في معنى الروبوتية، فالخالق لم يترك خلقه دون إرشاد
 وبيان، بل هداهم لما يُعينهم ويُسعدهم ويُحسن حالهم.
 ومثال ذلك:

إذا سمع النجار (فرشاً مرفوعة) تبادر لذهنه تصنيع الفرش للجلوس
 وللنوم بوصفها حاجات من حاجات البشر، ثم إذا رفعها عن الأرض
 حققت مزيداً من الراحة للجالس أو للنائم، فإذا تم تزيينها، أعطت
 جمالية، وشدت النظر إليها، وهذا ما يُعبر عنه في الاقتصاد الجزئي بخلق
 الطلب أو تحفيزه. فإذا شاع الاستخدام لهذه الفرش بين الناس زاد الطلب
 عليها، وزاد النجار من طلبه على شراء مستلزمات صناعته، وتحركت
 عمليات النقل واللوجستيات. وسرعان ما يدخل سوق النجارة ورش
 جديدة لكسب السوق وأخذ حصة منه، وبزيادة الربحية تتوسع الأعمال،
 ويبدأ خلق طلب جديد على سلع وخدمات أخرى، فتتحرك الأسواق
 وينتعش الاقتصاد. وما ذكرناه هو عن سلعة محددة، ينطبق على مئات
 السلع والخدمات التي أشار لها كتاب الله تعالى، والتي عددنا كثيراً منها
 - وليس كلها -، وهنا يتجسد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض)^١، فلا غرابة أن رحلة الاقتصاد قد بدأت مع بداية الإنسان الأول، حيث حرّكته حاجاته، فاستخدم الموارد المتاحة من حوله، وبدأت معه رحلة الاستكشاف والتصنيع والزراعة وصولاً للتجارة وخدماتها.

أما عن مراحل العملية التعليمية وضوابطها، فإن قصة موسى والخضر عليهما السلام، تفصيل مفيد، فموسى نبي الله الباحث عن تلقي المزيد من العلم، قد وجد من يُعلّمه، بالتلقي والمشاهدة، وهذا أسلوب عملي، هو الأكثر مناسبة للتعليم المهني، فكان ذلك كالاتي:

١. إن طلب اكتساب العلم يكون من طالب العلم، مصحوباً بالأدب

والخلق الحسن. قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي

عُلِّمْتَ رُشْدًا (الكهف: ٦٦)، فجعل إتباعه للمعلم، مسبقاً

على طلب تعليمه.

٢. يجدر بالمعلم إخبار طالب العلم بما يتطلبه تلقي العلم، فذلك

يحتاج صبراً، قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (الكهف: ٦٧).

٣. إن المعلم يُجيد أدوات طلب العلم، ك:

^١ صحيح ابن حبان

– القراءة، كما في حالة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وكانت عن طريق الصادق جبريل عليه السلام، حيث الخبر الصادق، فقرأ شفاهة وتعلم منه .

– الخبرة، كما في حالة نبي الله موسى عليه السلام الذي أخذ عن معلمه الذي عنده الخبر الصادق، وتعلم بالمشاهدة، وقد نبه المعلم طالبه عن أهمية الخبر في نقل المعلومة: **وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا** (الكهف: ٦٨).

٤ . يجب أن يلتزم طالب العلم بشروط الإلتباع، وهي: الصبر،

والطاعة، **قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**

(الكهف: ٦٩). ثم أضاف المعلم شرطاً آخر، بأن لا يسأله موسى

عن شيء حتى يُحدثه عنه. **قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ**

حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (الكهف: ٧٠). فالمعلم له أن يُقدّر

سير العملية التعليمية، حتى قياس نتائجها المرجوة، وليس للطالب

أن يتدخل بذلك لقصور علمه وتدبيره .

٥ . ثم وبتتبع أحداث القصة، فإن موسى لم يستطع الصبر أكثر من

ثلاث مرات دون أن يسأل معلمه، فكان ذلك بيان لحدود جدوى

العملية التعليمية وضرورة وقفها.

٦. يجب على المعلم أن يُبلِّغ طالبه بالحقائق التي غابت عنه، والتي لم يصبر على أن لا يسأل عنها حتى يُخبره بها، طبق ما تشارطا عليه:

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ

صَبْرًا (الكهف: ٧٨). ثم قال: ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ

صَبْرًا (الكهف: ٨٢).

إنه مع كون موسى عليه السلام نبياً ورسولاً لله تعالى، وكونه من أولي العزم من الرسل، فذلك لم يمنعه من طلب العلم، وتحمل مشاقه. لقد نقل لنا القرآن الكريم هذه القصة التعليمية، لنتأسى بأنبياء الله عليهم السلام في طلب العلم، فالقرآن الكريم هو مصدر للحياة، وكلُّ ما فيه، إنما هو أحسن الحديث وأكمله. وصدق الله تعالى القائل في سورة الزمر:

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ

يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ



الفصل الثاني - الفعل يعلوه العمل ويعلوهما الصنع

تتقارب معاني عبارات (فعل وعمل وصنع) ومشتقاتها، وللتمييز بينها لتحديد دلالاتها بدقة، لابد من وقفة تحليلية لاستخداماتها اللغوية والاصطلاحية.

أولاً - الفعل :

يكون (الفعل)، من الإنسان أو الحيوان أو الجماد، ويكون بعلم أو بغير علم، وبقصد أو بغير قصد. لذلك :

- الفعل يُنسب للعاقل وغيره، كفعل الحيوان والإنسان والجماد.
- الفعل عام والعمل أخص منه والصناعة أكثر خصوصية منهما.
- الفعل هو إيجاد الأثر في النفس أو الشيء بشكل سريع، وقد يكون نافعاً أو غير نافع.

وأمثله :

إن صفات الفعل متوافرة من حيث الزمن المباشر واحتمال عدم العلم وعدم القصد به.

- الفعل غير النافع، كقوله تعالى : **وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ** (الشعراء : ١٩)، التي فعلت، إشارة إلى فعل موسى وهو القتل.

– الفعل النافع: كقوله تعالى: وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (النحل: ٥٠)،

إشارة إلى الملائكة وطاعتهم لله، وفعلهم دون تأخير.

وتنسب بعض الأفعال للجما، كالقول: هذا الدمار فعل الريح، أو هذا

الحت فعل الماء. والإنسان أيضاً يفعل أحياناً أشياء دون قصد أو بغير علم.

قال تعالى في: وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكَاةِ فَاعِلُونَ (المؤمنون: ٤).

ذكر القرطبي: بأنهم مؤدون.

قال تعالى: وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا

يَفْعَلُونَ (يونس: ٣٦).

ذكر ابن كثير: إن الله عليم بما يفعلون من الكفر والتكذيب.

ثانياً – العمل:

يكون العمل من الإنسان أو الحيوان دون الجما، بعلم أو بقصد. لذلك:

– العمل يُنسب للعقل على الأغلب، ونادراً ما يكون لغير العقل، لأن

العمل يحتاج العقل والتدبير.

– العمل أخص من الفعل، والصناعة أكثر خصوصية منهما.

– العمل هو إيجاد الأثر في النفس أو الشيء بزمان ممتد.

– العمل مقصود ومعلوم لدى الفاعل الذي قام به، كقولنا: ذهبت إلى

العمل، وأنا أعمل كذا.

– العامل يعلم ماهية مخرجاته على وجه التقريب والتقدير.

– العمل قد يشترك مع الفعل في المعنى العام.

وأمثلته:

يُلاحظ أن صفات العمل متوافرة من حيث امتداد الزمن والعلم والقصد

به، وكذلك معرفة مخرجاته على وجه التقدير والتقدير.

قال تعالى: **لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ** (يس: ٣٥).

ذكر ابن كثير: وقوله: **(وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ)**، أي: وما ذاك كله إلا من

رحمتنا بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم وقوتهم. قاله ابن عباس

وقتادة. ولهذا قال: **(أَفَلَا يَشْكُرُونَ)**، أي: فهلا يشكرونه على ما أنعم به

عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى. وهنا حالة اعتبار (مَا)

النافية.

ذكر الطنطاوي: ويصح أن تكون (مَا) موصولة فيكون المعنى: ليأكلوا

من ثمره ومن الذي عملته أيديهم، من هذه الثمار كالعصير الناتج منها،

وكغرسهم لتلك الأشجار وتعهدا بالسقي وغيره، إلى أن آتت أكلها.

ذكر الشوكاني: وقوله: **(وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ)**، معطوف على ثمره، أي:

ليأكلوا من ثمره، ويأكلوا مما عملته أيديهم كالعصير والحبس ونحوهما

وكذلك ما غرسوه وحفروه على أن (مَا) موصولة، وقيل: هي نافية، والمعنى: لم يعملوه بأيديهم، بل العامل له هو الله.

قال تعالى: **وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَةً قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ
وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** (يوسف: ١٩)

ذكر الطنطاوي: قوله: (**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**)، أي: لا يخفى عليه شيء من أسرارهم. ومن عملهم السوء في حق يوسف. حيث إنهم استرقوه وباعوه بثمن بخس، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم. كما جاء في الحديث الشريف.

ذكر ابن كثير: قال محمد بن إسحاق: لما ألقاه إخوته جلسوا حول البئر يومهم ذلك، ينظرون ما يصنع وما يصنع به، فساق الله له سيارة، فنزلوا قريباً من تلك البئر، وأرسلوا واردهم - وهو الذي يتطلب لهم الماء - فلما جاء تلك البئر، وأدلى دلوه فيها، تشبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجه واستبشر به.

ذكر ابن عاشور: الله عليم بما يعملون من استرقاق من ليس لهم حق في استرقاقه.

ثالثاً - الصنع:

يكون الصنع من الإنسان حيث العلم والإتقان والحدق، ولا يصح نسبته لغير الإنسان، فإن نُسب لجماد أو لحيوان فالأصل فيه أن الصانع هو الله تعالى لأنه خالق الحيوان والجماد. لذلك:

— الصناعة والصنع أدق في المعنى لأنها إجادة الشيء وإتقانه والقصد إليه وتدبيره.

— الصنع أكثر خصوصية من الفعل ومن العمل.

— الصانع يعلم ماهية مخرجاته على وجه الدقة.

— يشترك الصنع مع العمل، فيقال: عمل النجار صناعته.

وأمثله: يُلاحظ أن صفات الصنع متوافرة من حيث أن الصانع إنسان أو من صنع الله؛ امتداد الزمن والعلم والقصد به، وكذلك معرفة مخرجاته بدقة.

قال تعالى: **صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** (النمل: ٨٨)، ومنه الصانع والصناعة والصنائع، فهي المهارة والاتقان في ما اختصت به.

قال تعالى: **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** (فاطر: ٨).

ذكر الطبري: يقول تعالى: إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهو مُحْصِيهِ عليهم، ومجازيهم به جزاءهم.

ذكر ابن عاشور: عبّر ب (يَصْنَعُونَ)، دون: يعملون، للإشارة إلى أنهم يدبرون مكائد للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فيكون هذا الكلام إيذاناً بوجود باعث آخر على النزاع عن الحسرة عليه.

الصناعة مع الحيوان ومع الزراعة:

كما أوضحنا سابقاً، إن نسب الصنع لجماد أو لحيوان فالأصل فيه أن الصانع هو الله تعالى، لأنه خالق الحيوان والجماد، وعليه:

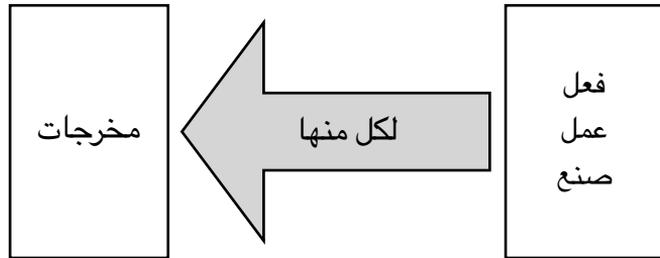
– مع الأنعام: قال تعالى: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا يَافِئًا لِلشَّارِبِينَ (النحل: ٦٦). صناعة اللبن تتم في بطن الأنعام بإتقان دون تدخل، قال تعالى: (نُسْقِيكُمْ)، يستفيد منه الإنسان جاهزاً دون تدخل. وهذا للعبارة.

– مع ثمر النخيل والعنب: قال تعالى: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (النحل: ٦٧). صناعة ثمر النخيل والعنب تتم بالزرع دون تدخل، قال تعالى: (تَتَّخِذُونَ)، وهنا قد يتدخل الإنسان في صناعته ليكون (سَكَرًا وَرِزْقًا)، وعليه أن يُحسن في ذلك لتجنب الحرام المسكر. وهذا يحتاج عقلانية.

– مع النحل: قال تعالى: وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ* ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا^ع يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (النحل: ٦٨-٦٩). صناعة العسل وشهده تتم في بطون النحل بإتقان دون تدخل، قال تعالى: (أَوْحَىٰ)، اتَّخِذِي، كُلِي، يستفيد منه الإنسان جاهزاً دون تدخل. وهذا يحتاج تفكير.

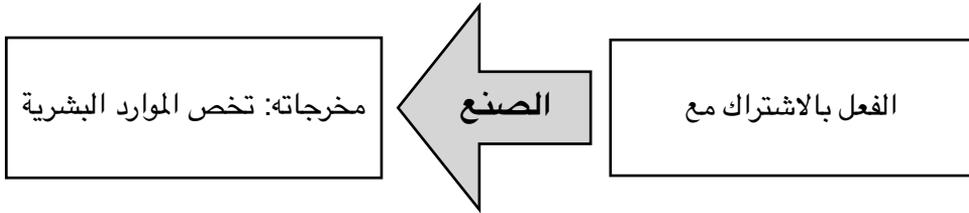
رابعاً – اشتراك (الفعل أو العمل) مع الصنع:

قد يبقى الفعل فعلاً مستقلاً، وقد يبقى العمل عملاً مستقلاً، ولكل منهما سماته ومخرجاته. فإذا اجتمع أكثر من مصطلح، كالفعل والصنع أو العمل والصنع، فسيؤدي ذلك لمعنى أكثر خصوصية.



١ – اشتراك الفعل مع الصنع:

إن مخرجات اشتراك الفعل مع الصنع معناه اشتراك صفات الفعل مع صفات الصنع، وذلك بأخذ السمات المشتركة، بكون الفاعل إنسان لديه علم وله قصد، وبذلك تتمثل بصناعة الموارد البشرية وتأهيلها وتربيتها والاعتناء بها، كقوله تعالى: **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** (طه: ٣٩). وقوله: **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** (طه: ٤١).



مسألة: قال تعالى: **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** (طه: ٣٩).

ذكر الطنطاوي: قال صاحب الكشاف: ولتربّي ويحسن إليك، وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به، وتقول للصانع اصنع هذا على عيني إني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي.

ذكر القرطبي: قال النحاس: وذلك معروف في اللغة؛ يقال: صنعت الفرس وأصنعتة إذا أحسنت القيام عليه. والمعنى ولتصنع على عيني فعلت ذلك.

مسألة: قال تعالى: **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** (طه: ٤١).

ذكر القرطبي: قيل: (اصْطَنَعْتُكَ): خلقتك؛ مأخوذ من الصنعة. وقيل قويتك وعلمتك لتبليغ عبادي أمري ونهي.

ذكر ابن عاشور: الاصطناع: صنع الشيء باعتناء. واللام للأجل، أي لأجل نفسي. والكلام تمثيل لهيئة الاصطفاء لتبليغ الشريعة بهيئة من يصطنع شيئاً لفائدة نفسه فيصرف فيه غاية إتقان صنعه.

مسألة: قال تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (النور: ٣٠).

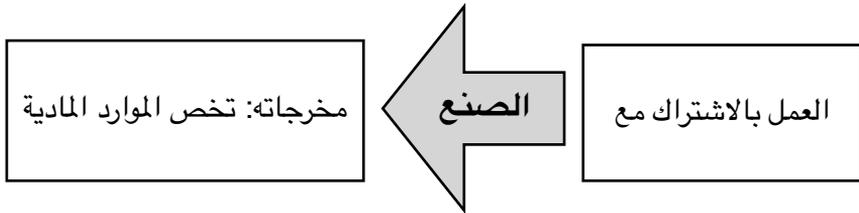
ذكر الطنطاوي: بعد أن نهى سبحانه عن دخول البيوت بدون استئذان. أتبع ذلك بالأمر بغض البصر، وحفظ الفرج، وعدم إبداء الزينة إلا في الحدود المشروعة. وأضاف الطنطاوي: مُرهم أيها الرسول الكريم بالالتزام ما أمرناهم به وما نهيناهم عنه، لأننا لا يخفى علينا شيء من تصرفاتهم، ولأننا أعلم بهم من أنفسهم، وسنحاسبهم على ما يصنعون في دنياهم، يوم القيامة.

إذن، تلك الأفعال تصدر عن أناس، يعلمون مآلات أفعالهم، ومقاصدها، فإن التزموا بأمر الله ورسوله، بغض البصر وحفظ الفروج، فالمخرجات تزكية لأولئك الفاعلين، وحسن تربية، وانتهت الآية الكريمة بقول الله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)، فالفعل منهم مؤداه أي مخرجاته صناعة تهذيب النفوس وتركيتها أو فسادها.

٢- اشتراك العمل مع الصنع:

إن مخرجات اشتراك العمل مع الصنع معناه اشتراك صفات العمل مع صفات الصنع، وذلك بأخذ السمات المشتركة بكون العامل حاذق وماهر، وبذلك تتمثل مخرجات ذلك بصناعة الموارد المادية، كالأبنية والحصون والقصور وغيرها، كقوله تعالى: **وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ** (الشعراء: ١٢٩).



قال تعالى: **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُونَ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ** (سبأ: ١٣)، اشتراك العمل مع الصنع، فكانت المخرجات محارِب ومماثيل وجفان وقُدور. فالعمل مقصود، وعن علم، ويحتاج زمناً لإنجازه. وكل ذلك يحتاج وقتاً وعلماً وقصدًا ومعرفةً؛ بكيفية المخرجات بشكل دقيق.

قال تعالى: **قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ** (الصفات: ٩٥).

ذكر القرطبي: أتعبدون ما تنحتون، أي أتعبدون أصناماً أنتم تنحتونها بأيديكم تنجرونها. والنحت النجر والبري، نحته ينحته بالكسر نحتاً، أي: براه. والنحاة البراية، والمنحت ما ينحت به.

قال تعالى: **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** (الصفات: ٩٦)

ذكر القرطبي: (ما) في موضع نصب، أي: وخلق ما تعملونه من الأصنام، يعني الخشب والحجارة وغيرهما.

ذكر الطبري: في قوله: **(وَمَا تَعْمَلُونَ)**، وجهان: أحدهما: أن يكون قوله "ما" بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذ: والله خلقكم وعملكم. والآخر أن يكون بمعنى "الذي"، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم.

ذكر ابن عاشور: والواو في **(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)** واو الحال، أي أتيتم منكرًا إذ عبدتم ما تصنعونه بأيديكم والحال أن الله خلقكم وما تعملون وأنتم معرضون عن عبادته، أو وأنتم مشركون معه في العبادة مخلوقاتٍ دونكم.

و (ما) موصولة و (تَعْمَلُونَ) صلة الموصول، والرابط محذوف على الطريقة الكثيرة، أي وما تعملونها. ومعنى (تَعْمَلُونَ) تنحتون. وإنما عدل عن إعادة فعل (تنحتون) لكرهية تكرير الكلمة فلما تقدم لفظ (تَنْحِتُونَ) علم أن المراد ب (مَاتَعْمَلُونَ) ذلك المعمول الخاص وهو المعمول للنحت لأن العمل أعم. يقال: عملت قميصاً وعملتُ خاتماً. وخلقُ الله إياها ظاهر، وخلقها ما يعملونها: هو خلق المادة التي تصنع منها من حجر أو خشب، ولذلك جمع بين إسناد الخلق إلى الله بواو العطف، وإسنادِ العمل إليهم بإسناد فعل (تَعْمَلُونَ).

تدمير العمارة والمصانع والمزارع

قال تعالى: **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَادَّخَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ** (الأعراف: ١٣٧).

ذكر القرطبي: قال ابن عباس ومجاهد: أي ما كانوا يبنون من القصور وغيرها، وقال الحسن: هو تعريش الكرم.

ذكر البغوي: (وَدَمَّرْنَا) أهلكننا (مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ) في أرض مصر من العمارات، (وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) قال مجاهد: يبنون من البيوت والقصور. وقال الحسن: يعرشون من الأشجار والثمار والأعنان.

ذكر ابن عاشور: ما شاده من المصانع، وإسناد الصنع إليه مجاز عقلي لأنه الأمر بالصنع، وأما إسناده إلى قوم فرعون فهو على الحقيقة العقلية بالنسبة إلى القوم لا بالنسبة إلى كل فرد على وجه التغليب. و (يَعْرِشُونَ) ينشعون من الجنات ذات العرايش. والعريش: ما يُرْفَع من دوالي الكروم، ويطلق أيضاً على النخلات العديدة تربي في أصل واحد، ولعل جنات القبط كانت كذلك كما تشهد به بعض الصور المرسومة على هياكلهم نقشاً ودهناً.

الحيل صنف من الصناعة

يمثل علم "الحيل النافعة" الجانب التقني المتقدم في علوم الحضارة الإسلامية؛ حيث كان المهندسون والتقنيون يقومون بتطبيق معارفهم النظرية للإفادة منها تقنيا في كل ما يخدم الدين ويحقق مظاهر المدنية والإعمار... وقد جعلوا الغاية من هذا العلم (الحصول على الفعل الكبير

من الجهد اليسير)، ويقصد به: استعمال الحيلة مكان القوة، والعقل مكان العضلات، والآلة بدل البدن^١.

قال تعالى: **وَأَلْتَمِسْ فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** (طه: ٦٩).

ذكر ابن عاشور: لا ينجح الساحر حيث كان، لأن صنعته تنكشف بالتأمل وثبات النفس في عدم التأثر بها. واختير فعل أتى، لمراعاة كون معظم أولئك السحرة مجلوبون من جهات مصر.

وذكر ابن كثير عن الفارق بين الصناعة حقيقة، والحيلة فيها، قال: فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه، ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه، علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حق لا مريية فيه، ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كُن فيكون، فعند ذلك وقعوا سجداً لله.

خلاصة القول: إن الله تعالى خالق كل صانع وصنعه

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إن الله عز وجل

صنع كل صانع وصنعه، فهو الخالق وهو الصانع سبحانه)^٢.

^١ قنطجبي، د. سامر مظهر، فقه الابتكار المالي بين التثبت والتهافت، ط ٣.١،

٢٠١٦-٢٠٢٣، كاي للنشر، www.kantakji.com.

^٢ ذكره الثعلبي. وخرجه البيهقي من حديث حذيفة

وروى حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتَهُ) ^١، وروى حذيفة أيضاً: (إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنَعَتِهِ) ^٢.

بل إن الصنع يحتاج تعليماً، والتعليم والعلم كلاهما بدأ من الله تعالى عز وجل وهو العليم، فقال تعالى: وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ (البقرة: ٢٨٢)، وهو تعالى: بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (البقرة: ٢٨٢). وقال عن داوود عليه السلام: وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ (الأنبياء: ٨٠)، وعن نوح عليه السلام: وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا (هود: ٣٧).

فسبحان الله: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (السجدة: ٧).

^١ فتح الباري لابن حجر

^٢ المستدرک على الصحيحین للحاکم

الفصل الثالث - الاستكشاف

إن نعمة العقل، نعمة أسبغها الله على الإنسان، فمميزته عن غيره من الخلق، بوصفه (أي العقل) أداة الاستكشاف، فبه يكون الجديد كل حين. فما تنقله الحواس للعقل يتفاعل معها، فيكون منهجه تجريبياً لاستكشاف الجديد، فإن استقل العقل بآليات التفكير بإعمال الاستنباط كان منهجه استنباطياً لاستكشاف الجديد.

والاستكشاف ضرورة من ضرورات تطوير حياة الإنسان وسبل عيشه، حيث يهيه الله تعالى لهذا الإنسان مسببات الاستكشاف، فيعينه، ومن ذلك دعوته تعالى للإنسان للسير في أرجاء الأرض ورحابها ودعوته له ليُعمل بصره وبصيرته في ملاحظة كيف بُدئ الخلق، ليبني بالقياس على ذلك؛ إيمانه بالنشأة الآخرة، وهذا هديٌ منه تعالى لمن لديه نظر: **قُلْ**

**سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ
الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (العنكبوت ٢٠).

وقد ذكر الله تعالى للإنسان، أصغر قطعة بناءٍ أو أصغر جزء من العنصر الكيميائي يمكن الوصول إليه، يحتفظ بالخصائص الكيميائية للعنصر، وهو الذرة، موضحاً حدود المسؤولية الملقاة على كاهله، ودقة الحساب

وشدته، قال تعالى: **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** (الزلزلة: ٧-٨). وقال تعالى واصفاً من اتبع غيره كإله، بأنه لا يملك مثقال أصغر عنصر في الوجود لضعفه وهوانه، وهو ليس شريكاً في أيٍّ منها! فغيره لا يستحق أن يُعبد، قال تعالى: **قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ** (سبأ: ٢٢).

وعندما أقسم الله تعالى ببعض خلقه وهذا غير جائز إلا له - لأنه الخالق -، أقسم بما تبصره الأعين مما استطاعت إليه سبيلاً، وبما لا تبصره الأعين، دلالة على أن هناك أشياء لا تدركها الأعين البشرية دون أدوات، قال تعالى: **فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ* وَمَا لَا تُبْصِرُونَ** (الحاقة: ٣٧-٣٨)، ومن ذلك الأشعة ومفردها الشعاع، وهو ما تطلقه مصادر الطاقة المختلفة كالنجوم، والفحم المشتعل والمصابيح وغيرها، وكذلك الأجسام البشرية والحيوانية، كما يوجد أشعة غير مرئية كأشعة غاما والأشعة السينية وفوق البنفسجية، وغيرها كثير مما علمه الإنسان، ومما لم يعلم عنه بعد .

وأخبر الله تعالى بأنه قد : **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم** (العلق : ٥) ، تاركاً الباب أمامه مفتوحاً ليتعلم بلا حدود، بأداة العلم، مُعجِزاً لهم أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض دون سلطان، أي بأداة العلم، فقال تعالى :
**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا أَلَّا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ** (الرحمن : ٣٣) . وهذا تحفيز لأولي الهمم والنهي لأن يسعوا لتحقيق ذلك، فالآية لا تقول : إنه مستحيل، بل هو ممكن .

ويبدأ سلطان العلم بالتكوّن، بالقراءة، فكانت أول آية أنزلت من القرآن الكريم : **اقْرَأْ** ، قال تعالى : **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم** (القلم : ١-٥) ، فالقراءة أداة تحصيل العلم، وليس شرطاً أن تكون القراءة من شيء مكتوب، بل يمكن القراءة شفاهة، ومما خلق الله، أي بالمحاكاة . لذلك فالخبر الصادق أداة مساعدة في إزكاء العلم، فبعد أن طلب الله تعالى من الإنسان أن يقرأ، أخبره تعالى بأن ربه هو خالقه، خلقه من علقه يسيرة من الدم، ثم أضاف أداة التعلم بالكتابة وهو القلم،

فكانت (القراءة والخبر الصادق والكتابة) طرق العلم وتحصيله، ثم قال المولى بعدئذ: **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** (القلم: ٥)، وهذا دليل على أن رحلة العلم تبدأ بفضل من الله تعالى، وبالتعلم من البيئة المحيطة مع أعمال العقل في ذلك الكسب، وليس لهذه العملية من حدود إلا ما شاء الله تعالى.

لقد أوضح المولى للإنسان ضرورة التعلم بالمحاكاة، بأن يُنظر إلى الإبل كيف خُلقت؟، ففي الإبل الكثير من الإعجاز الخَلقي، وبأن يُنظر إلى السماء التي رُفعت دون أعمدة وليس فيها أية تشققات، وبالنظر إلى الجبال الشامخة كيف تثبت قشرة الأرض التي سُطحت ليسهل العيش عليها، فكانت مَهْدًا للإنسان كما تُمهدُّ الأم سرير وليدها وهي تربيته، قال رب العباد: **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ*** **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ** (الغاشية: ١٧-٢١)، وفي هذا الخلق المتقن،

تذكرة للعاقلين، بأن وراء ذلك خالق عظيم يستحق العبادة.

ولا يتوقف النظر بما هو ظاهر، بل يجب أعمال العقل بما وراء ذلك، فالله تعالى أخبرنا بأن خلقه الذي نظنُّه قد استقر وانتهى، هو ممتد متوسع، قال

تعالى: **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** (الذاريات: ٤٧)، وهذا يدعو علماء الفلك والفضاء للسعي وراء كيفية توسع الكون، ومن ذلك ما تم اكتشافه عام ١٩٩٨ من قبل مجموعتي بحث دوليتين، حول سرعة تباعد المجرات عن بعضها البعض وعن مجرة درب التبانة، وحاول علماء الفلك منذ آلاف السنين معرفة عُمر الكون وحجمه. وقد نجح محمد بن موسى بن شاكر مهندس الحيل والميكانيكا في قياس مساحة الأرض ومحيطها زمن الخليفة المأمون. وأوضح آدم ريس، عالم الفيزياء في جامعة جونز هوبكنز في بالتيمور^١ أنه: مع نفي أخطاء القياس، فما تبقى هو الاحتمال الحقيقي والمثير بأنه قد أسيء فهم الكون.

ويستبعد المنهج القرآني الخرافات وأشباهها، فلما طُلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرقى في السماء، أجابهم منزهاً ربه الذي لا يُعجزه شيء: هل كنتُ إلا بشراً رسولاً؟، قال تعالى: **أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ**

مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (الإسراء: ٩٣)، لذلك لم نر بشراً يسير على وجه الماء أو يفعل الخوارق.

^١ قناة روسيا اليوم، ٢٠٢٤-٣-١٤، رابط.

وقد أشار الله تعالى لصناعة الطيران بالطلب من الناس ملاحظة الطيور في السماء وهي تطير باسقاط أجنحتها ثم يقبضنها ليكون ذلك قوة دافعة لحمل وزنها ولطيرانها مُحلقة في الفضاء، قال تعالى: **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَاقَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ** (الملك: ١٩)، وقد ذكر بعض مهام تلك الطيور، كحمل الرسائل أو ما عُرف بالحمام الزاجل، وقد ذكر الله تعالى قصة هُدد سليمان عليه السلام عندما أوصل رسالته لملكة سبأ: **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ** (النمل: ٢٩). وكحمل قذائف نارية قتلت من خالف أمر الله واعتدى على رسوله والمؤمنين، فكانت تطير جماعات تحمل في أفواها حجارة طينية محمومة تقتل الكفار والمشركين، تعرفهم بسيماهم وأسمائهم، قال تعالى: **وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ* تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ** (الفيل: ٣-٤).

إذَّ العلم هو مادة العقل، وبه تكون الاستكشافات التي تحقق القيمة المضافة باستمرار، وبه يُعبد الله تعالى ويُتعرَّف عليه. لذلك لا غرابة أن اهتمت شريعة الإسلام بالعلم، واعتنت بالعقل، فأبعدت كل ما يُذهبه أو

يؤذيه، وجعلت التكليف بالأحكام الشرعية قائماً على وجوده، وجعلت
المحافظة عليه من الضروريات التي يُسمح باختراق كل شيء لأجله إذا
أصابه تهديد أو شرٌّ.

الفصل الرابع - اقصار الصناعة

رفع الإسلام من شأن الصناعة وعدّها من أفضل الأعمال، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال: (إيمان بالله، وجهاد في سبيله)، قلت: فأبي الرقاب أفضل؟ قال: (أغلاها ثمنًا، وأنفسها عند أهلها) قلت: فإن لم أفعل؟ قال: (تعين صانعًا أو تصنع لأخرق)^١، أي أن من لم يحسن عمله فهو أخرق.

وقال صلى الله عليه وسلم: (ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)^٢. وهذه إشارة لفضل العمل باليد، وإشارة لصناعة الطعام وتحضيره.

إتقان العمل وإتقان الصنع

أثنى الله تعالى على من يُحسن أداء عمله، قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا** (الكهف: ٣٠). والإحسان هو عمل الخير وهو من إجادة الصنع، أمر به الله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** (النحل: ٩٠).

١ صحيح البخاري

٢ صحيح البخاري

قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) ١.

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يحسن).

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) ٢.

وقد وصف الله تعالى ذاته العلية بأنه قد أتقن كل شيء صنع، فقال:

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي

أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (الأنعام: ٨٨). واتقان الصنع

إجادته وجعله حسناً، قال تعالى: الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (الكهف: ١٠٤).

مثال عن إتقان الصنع وكماله

يصف الله تعالى العمليات الإنتاجية متضمنة المراحل جميعها من مادة

أولية، هي الماء والتراب، ثم العميات الزراعية والصناعية، وصولاً

١ صحيح مسلم

٢ صحيح الجامع

للعمليات التسويقية حيث جمال المنظر ولذة الطعم. وذلك في الآية التالية من سورة الأنعام:

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ



توضح الآية الكريمة كمال القدرة والعلم والرحمة والإحسان في الخلق والصنع، فالله تعالى مُنزل الماء من السحاب، - والماء أصل كل مادة -، أخرج منه كل أصناف النبات والثمار بمختلف كمياتها وهيئاتها وطعمها ولونها. وابتدأ قوله من السماء، لأن ماء المطر يتكون في طبقات الجو العليا الباردة عند تصاعد البخار الأرضي إليها، فيصير البخار كثيفاً، وهو السحاب، ثم يتحول إلى ماء، والباء في (بِهِ) لبيان أن الماء سبب خروج النبات، والفاء في قوله: (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ) هي للتفريع؛ فأخرج من

^١ تفسير الطنطاوي، بتصرف

النبات الذي لا ساق له نباتاً غصاً أخضر، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة .

وقوله: (تُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا)، أي نُخرج من هذا النبات الخضر حباً متراكماً بعضه فوق بعض كما في الحنطة والشعير وسائر الحبوب . وصيغة المضارع في هذه الجملة هي لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة، لأن إخراج الحب المتراكب من هذا الخضر الغض، يدعو إلى التأمل والإعجاب بمظاهر قدرة الله .

ثم أتبعه بذكر ما ينبت من النوى، فقال: (وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ)، فأول ما يبدو ويخرج من تمر النخل هو الطلع والقشر، وما في داخله . والقنوان هو العرجون، فيُخرج الله بقدرته من طلع النخل قنوان دانية القطوف، سهلة التناول أو بعضها دانٍ قريب من بعض لكثرة حملها . وأخرج من الماء (جَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ)، وكذلك (الزَّيْتُونِ وَالرُّمَّانِ) فكل ذلك متفرع عن نبات كل شيء، منه المتشابه، ومنه غير المتشابه^٢ .

١ تفسير الزمخشري، صاحب الكشاف، بتصريف

٢ تفسير الألوسي، روح المعاني، بتصريف

ثم جاءت الدعوة إلى ملاحظة ومشاهدة بديع صنع الله، والمشاهدة بالملاحظة هي مدخل المنهج التجريبي، وذلك في قوله: (**انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه**)، فالأصل ماء، وهو مادة السقي نفسها لم تتغير، ويكون نتاجه ضعيف النفع والفائدة بداية الأمر، ثم يكتمل ويصير ثماراً مختلفة بجمالها، فإذا نضجت طاب مآكلها. قد جمع الصانع خلق الزرع وإنتاجه وتربيته وتغليفه لتبقى الفائدة والنفع واللذة محفوظاً طازجاً حتى يتم تناوله، أي حتى الاستهلاك.

إن تكرار هذه الدورة الإنتاجية دليل على قدرة الصانع، وأنه قادر على أن يعيد خلق أي مخلوق، فكما كُتب على الإنسان أن يُشاهد مراحل خلقه، كُتب عليه ألا يشاهد إعادة ذلك الخلق ثانية، بل جاء العلم إخباراً من الله تعالى بأنه سيبعثه، فأمن به من آمن، وكفر به من كفر، وجحد به من جحد، وكان حرياً بمن له عقل أن يعتبر من نزول المطر من السماء، ثم إنبات الأجساد كالنبات، ثم جعلها خضرة بالحياة ثم تصوير الأعمال بصور كثيرة، وإعطاء أطعمة مشتبهة في الصورة غير متشابهة في اللذة؛ فيؤمن غيباً بإعادة البعث.

وقد ذكر الله تعالى أربعة أنواع من الأشجار: النخل والعنب والزيتون والرمان، فقدم الزرع على الشجر لأن الزرع غذاء، وثمار الأشجار فواكه، والغذاء مقدم على الفاكهة، وقدم النخل على سائر الفواكه لأن التمر يجري مجرى الغذاء. وذكر العنب عقب النخيل، لأن العنب أشرف أنواع الفواكه، ولأنه بمجرد ظهوره يصبح قابلاً للانتفاع به. أما الزيتون فهو كثير النفع حيث يمكن تناوله كما هو، وينفصل عنه دهنٌ كثيرٌ عظيمُ النفع. وأما الرمان فحاله عجيب جداً. وإن أنواع النبات أكثر من أن تفي بشرحها مجلدات، فلهذا السبب ذكر سبحانه هذه الأقسام الأربعة التي هي أشرف أنواع النبات، واكتفى بذكرها تنبيهاً على غيرها.

إن النظر في حال الثمر ونضجه ابتداءً، إنما لأنه موضوع الاستدلال؛ فتولد في أول حدوثة صفات مخصوصة، وعند تمامه، لا يبقى على حالاته الأولى، بل تنتقل إلى أحوال مضادة للأحوال السابقة، فقد كانت موصوفة بلون الخضرة، ثم تصير ملونة بلون السواد أو الحمرة، وكانت موصوفة بالحموضة ثم تصير موصوفة بالحلاوة، وربما كانت في أول الأمر باردة فتصير في آخر أمرها حارة فحصول هذه المتبدلات والمتغيرات لا بد له من سبب. والسبب ليس تأثير الطبائع والفصول والنجوم والأفلاك، لأن نسبة

^١ تفسير الرازي

هذه الأحوال بأسرها إلى جميع هذه الأجسام المتباينة متساوية متشابهة، والنسب المتشابهة لا يمكن أن تكون أسباباً لحدوث الحوادث المختلفة. ولما بطل إسناد حدوث هذه الحوادث إلى الطبائع والنجوم والأفلاك وجب إسناده إلى القادر المختار الحكيم الرحيم المدبر لهذا العالم على وفق الرحمة، والمصلحة الحكيمة.

العمل يكون في الصناعة

يوفي الله تعالى الناس أجورهم بما عملوا، ويخص الله تعالى المؤمنين بأداء أجورهم في الدنيا وفي الآخرة لإيمانهم، أما الكافرين فليس لهم في الآخرة إلا جزاء النار، فما صنعوه في الدنيا يوفون أجرهم في الدنيا ولا أثر له في الآخرة، لذلك حبط عملهم. يقول تعالى في سورة هود:

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا
وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

ذكر الطبري: لأنهم كانوا يعملون لغير الله، فأبطله الله وأحبط عامله أجره.

ذكر ابن عاشور: أن الله عبّر ب (صنعوا)، لأن الإحسان يُسمى صنعة، واستشهد بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لما ذكر له فارس والروم

وما هم فيه من المتعة: (أولئك عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا) ،
 والباطل : هو الشيء الذي يذهب ضياعاً وخسراناً .
 وكذلك ضرب الله مثلاً قرية كفرت بأنعم الله ، فأذاقها عذاب الجوع
 والخوف ، بسبب ما كانوا يعملون أي يصنعون ، فالقرية وهي مكة في
 الغالب أو كل بلدة تفعل فعل أهلها المقصود ، كانت آمنة دون خوف ،
 وكان الرزق يأتيها براً وبحراً من كل مكان ، فكان عيشها رغيداً مطمئناً
 آمناً ، فبدل أن يشكر أهلها الله المنعم ، كفروا به وجحدوا نعمه فانقلبت
 حياتهم إلى خوف وجوع ، بما صنعوه ، أي لعدم شكرهم المنعم ولكفرانهم
 وجحودهم بما أنعم عليهم . قال تعالى في سورة النحل :

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمنةً مطمئنةً يأتيتها رزقها رغداً من
 كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما
 كانوا يصنعون

الصناعة تتضمن الحيلة وليست هي الحيلة

الحرفة للفرد وبمجموعها تكون صناعة ، وقد سمى النويري المحاسبة حرفة ،
 وسمى مجموعها بالصناعة ، والمشتغلين بها أهل الصناعة ، فقال : (لقد

حصل الاجتماع لجماعة من مشايخ أهل الصناعة ممن اتخذها حرفة من مبادئ عمره إلى أن طعن في سنّه^١.

وذكر حنين بن إسحاق^٢ عن حيل بني موسى، محمد وأحمد وحسن، زمن الخليفة المأمون براعتهم في (الهندسة والحيل في جرّ الأثقال والموسيقى والنجوم، ولهم في الحيل كتابٌ عجيب مشهور)، فكانت أعمالهم الصناعية الهندسية، ومنها جرّ الأثقال باستخدام الأدوات الميكانيكية، هي صناعة، لأن في ذلك حيلة لرفع الأوزان الكبيرة بأقل جهد.

ولما أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يلقي عصاه في مناظرة السحرة، قال: **(تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا)** إشارة إلى أن السحر صناعة تتضمن حيل تجعل الأشياء تتحرك ذاتياً، وقد يستعينوا على ذلك باستخدام علم الفيزياء والكيمياء، وهذه صناعة استخدمت لتضليل الناس في مجال السحر، ثم صارت صناعة تحويل مفيدة، أبتكر بها أدوات وتجهيزات، قادت الحضارة البشرية لتبلغ ذروتها في الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر. قال تعالى في سورة طه:

١ نهاية الأرب في فنون الأدب، ص ٣٠٥.
٢ عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٩

وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ

السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى

والكيد هو الحيلة المدبرة.

ذكر القرطبي: قرأ الباقون (كيداً) بالنصب بوقوع الصنع عليه، والكيد في الحقيقة على هذه القراءة مضاف للساحر لا للسحر، ويجوز فتح (أن) على معنى: لأن ما صنعوا كيد ساحر. ولا يفوز الساحر ولا ينجو حيث أتى من الأرض، وقيل: حيث احتال.

ذكر ابن عاشور: لا يَنجَحُ الساحر حيث كان، لأن صنعته تنكشف بالتأمل وثبات النفس في عدم التأثر بها. واختير فعل أتى، لمراعاة كون معظم أولئك السحرة مجلوبون من جهات مصر.

ذكر ابن كثير عن الفارق بين الصناعة حقيقة، والحيلة فيها قال: فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه، ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه، علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حق لا مريية فيه، ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كُن فيكون، فعند ذلك وقعوا سجداً لله.

التقدير في الصنع

قال تعالى في سورة سبأ:

أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ



ذكر القرطبي: اعمل سابغات، أي دروعاً سابغات، أي كوامل تامات واسعات، يقال: سبغ الدرع والثوب وغيرهما إذا غطى كل ما هو عليه وفضل منه. وقدّر في السرد، قال قتادة: كانت الدروع قبله صفائح فكانت ثقالا؛ فلذلك أمر بالتقدير فيما يجمع من الخفة والحصانة. أي قدّر ما تأخذ من هذين المعدنين بقسطه؛ أي لا تقصد الحصانة فتثقل، ولا الخفة فتزيل المنعة. وقال ابن زيد: التقدير الذي أمر به هو في قدر الحلقة، أي لا تعملها صغيرة فتضعف فلا تقوى الدروع على الدفاع، ولا تعملها كبيرة فينال لابسها. وقال ابن عباس: التقدير الذي أمر به هو في المسمار، أي لا تجعل مسمار الدرع رقيقاً فيقلق، ولا غليظاً فيفصم الحلق. والتقدير في هذا الموضع وطبقاً للتفاسير المذكورة يطال مخرجات العملية الصناعية بناء على مدخلاتها المقدرة والمستخدمة، فحتى يكون الدرع

متيناً ومقبولاً يجب أن تدخل فيه مواداً محددة وأن تكون طريقة الصنع خاصة بتحقيق المطلوب في صفة المخرجات .

الصناعة وتمائل الصنع

قال تعالى في سورة الملك :

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ
فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ

ذكر ابن كثير: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا)، أي: طبقة بعد طبقة، وقوله: (مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ)، أي: هو مستو، ليس فيه اختلاف، ولا تنافر، ولا مخالفة، ولا نقص، ولا عيب، ولا خلل، لهذا قال: (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ)، أي: انظر إلى السماء فتأملها، هل ترى فيها عيباً، أو نقصاً، أو خللاً، أو فطوراً، أي شقوقاً؟.

دل ذلك على أن الصناعة تشتمل صناعة أشياء متماثلة متطابقة، فلا غرابة إذن، أن انتقلت الصناعة من اليدوية التي لا بد لها من اختلاف وتباين، إلى الصناعة الآلية المتشابهة غير المتنافرة.

قال تعالى في سورة نوح:

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا

ذكر ابن كثير: واحدة فوق واحدة.

ذكر القرطبي: أي بعضها فوق بعض، كل سماء مطبقة على الأخرى كالقباب.

ذكر الطبري: الطباق مصدر طابقت مطابقة وطباقاً. وعنى بذلك: سماء فوق سماء مطابقة.

ذكر ابن عاشور: الرؤية بصرية، ويجوز أن تكون علمية، أي: ألم تعلموا؟ فيدخل فيه المرئي من ذلك.

لذلك كانت الآية الكريمة دعوة للبشر للملاحظة والمشاهدة بالبصر أو بالبصيرة لكيفية صنع الله تعالى للسموات من طبقات متطابقة فوق بعضها البعض، وهذا يدل البشر على التوجه نحو الصناعة المتماثلة سواء يدوياً أو باستخدام القوالب المتماثلة، وقد فعل الإنسان ذلك بصناعة الفخار عبر التاريخ وأنتج الأواني والأدوات التي تلزمه ثم طور موادها الأولية لأشكال عديدة.

وكانت الدراهم والدنانير يتم تبادلها بالعدد وبالوزن لعدم تماثلها، ثم لما تماثلت صناعتها صارت بالعدد، فاختلف حكم الأموال الربوية ليشمل المعدود والمذروع، فما الحكمة من تبادل آلتين من الطراز نفسه والقياس نفسه بآلة واحدة؟ وقد وحدت الصناعة نماذجها بالتمام والكمال، فصار

لزاماً أخذ هذه الحالة ضمن الأموال، وهذا ما توصلنا إليه في نموذجنا الرياضي للربا.

إعادة الصنع وإعادة التدوير

قال تعالى في سورة الروم:

وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

ذكر الطبري: الله تعالى هو الذي يبدأ الخلق من غير أصل، فينشؤه ويوجده، بعد أن لم يكن شيئاً، ثم يفنيه بعد ذلك، ثم يعيده، كما بدأه بعد فنائه، وهو أهون عليه.

ذكر ابن عاشور: إن إعادة المصنوع مرة ثانية أهون على الصانع من صنعته الأولى وأدخل تحت تأثير قدرته فيما تعارفه الناس في مقدوراتهم. وهذا دلالة على أن إعادة الصنع أهون من الصنع الأول، أي أول مرة، وهو أشبه بإعادة التدوير، والله المثل الأعلى، وهذا فيه إشارة لصناعات إعادة التدوير.

المواد الخام والصناعات الثقيلة

الخشب

يعتبر الشجر مصدر الحصول على الخشب، وهو المادة الخام التي تستخدم في أغلب الصناعات، وله فوائد ومنافع كبيرة، كالسفن والقوارب، والأثاث، والأعمدة وغيرها.

قال تعالى في سورة المنافقون:

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم
خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخْذِرْهُم قَاتِلْهُم
اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ

ذكر القرطبي: كانوا رجالا أجمل شيء كأنهم خشب مسندة، شبههم بخشب مسندة إلى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون، أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام. قال سيبويه: خشبة وخبب، وهو جمع الجمع، خشبة وخشاب وخبب، مثل ثمرة وثمار وثمر. والإسناد الإمالة.

صناعة السفن والقوارب

تصنع السفن والقوارب من أغصان الأشجار، والصانع هو النجار، وصنعتة هي النجارة، وخرق الخشب جاء في قوله تعالى في سورة الكهف:

فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالِ أَحْرَقْتَهَا تُغْرِقُ أَهْلَهَا

لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾

ذكر القرطبي: قد قلع منها لوحاً من ألواح السفينة بالقُدوم.

ذكر ابن كثير: أنه قلعها ثم رقعها، وكل ذلك من صنعة النجارة، وقال: إن في خرق السفينة دليل على أن لولوي أن ينقص مال اليتيم إذا رآه صلاحاً، مثل أن يخاف على ريعه ظالماً فيخرب بعضه.

جذع النخلة

قال تعالى في سورة مريم:

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا

وَ كُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾

ذكر ابن عاشور: الجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة هو العود الأصلي للنخلة الذي يتفرع منه الجريد. وهو ما بين العروق والأغصان، أي إلى أصل نخلة استندت إليه.

ذكر القرطبي: إلى جذع النخلة، كأنها طلبت شيئاً تستند إليه وتتعلق به، كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق. والجذع ساق النخلة اليابسة في

الصحراء الذي لا سَعَفَ عليه ولا غصن؛ ولهذا لم يقل إلى النخلة. وهذا كله من منافع الشجر وأغصانه وخشبه وسَعَفَه.

السفن تجري في البحر كالأعلام

قال تعالى في سورة الرحمن:

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾

ذكر السعدي: سخر تعالى لعباده السفن الجواري، التي تمخر البحر وتشقه بإذن الله، التي ينشؤها الآدميون، فتكون من كبرها وعظمتها كالأعلام، وهي الجبال العظيمة، فيركبها الناس، ويحملون عليها أمتعتهم وأنواع تجارتهم، وغير ذلك مما تدعو إليه حاجتهم وضرورتهم، وقد حفظها حافظ السماوات والأرض، وهذه من نعم الله الجليلة.

ذكر ابن كثير: كالأعلام أي: كالجبال في كبرها، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، مما فيه من صلاح للناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع.

ذكر ابن عاشور: ووصفت (الجواري) بأنها كالأعلام، أي الجبال وصفاً يفيد تعظيم شأنها في صنعها المقتضي بداعة إلهام عقول البشر لصنعها،

والمقتضى عظم المنّة بها لأن السفن العظيمة أمكنّ لحمل العدد الكثير من الناس والمتاع .

الإشراف على صناعة السفن

قال تعالى في سورة هود:

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا ﴿٣٧﴾

ذكر البغوي: قال ابن عباس بمرأى منا. وقال مقاتل: بعلمنا. وقيل: بحفظنا. (ووحينا) بأمرنا.

وفي القصة أن جبريل أتى نوحا عليه السلام فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تصنع الفلك، قال: كيف أصنع ولست بنجار؟ فقال: إن ربك يقول اصنع فإنك بعيني، فأخذ القدوم وجعل يصنع ولا يخطئ. وقيل: أوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر.

ذكر الطبري: اصنع الفلك، وهي السفينة؛ بأعيننا، وبمرأى منا، ومنظر، ووحينا، وبتعليمنا إياك صنعتها.

صنع السفن بالخشب والمسامير

قال تعالى في سورة القمر:

وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾

ذكر السعدي: ونجينا عبدنا نوحا على السفينة ذات الألواح والدرس، أي: المسامير التي قد سُمِّرت بها ألواحها وشُدَّ بها أسرها.

ذكر الطبري: الدسر: جمع دسار، والدسار: المسمار الذي تشدُّ به السفينة، يقال منه: دسرت السفينة إذا شددتها بمسامير أو غيرها.

ذكر ابن عاشور: وذات ألواح ودُسُر، صفة السفينة، أقيمت مقام الموصوف هنا عوضاً عن أن يقال: وحملناه على الفلك لأن في هذه الصفة بيان متانة هذه السفينة وإحكام صنعها. وفي ذلك إظهار لعناية الله بنجاة نوح ومن معه فإن الله أمره بصنع السفينة وأوحى إليه كيفية صنعها ولم تكن تُعرف سفينة قبلها.

صناعة الأسرة والأثاث

المهد

تُصنَع مضاجع الصبيان وأسرّتهم من الخشب أيضاً.

قال تعالى في سورة مريم:

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا

ذكر ابن عاشور: المهد شبه الصندوق من خشب لا غطاء له يمهد فيه مضجع للصبي مدة رضاعه يُوضع فيه لحفظه من السقوط.

الأثاث والفرش

قال تعالى في سورة مريم:

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِثِيًّا ﴿٧٤﴾

ذكر القرطبي: الأثاث متاع البيت . وقيل: هو ما جَدَّ من الفرش . وعلى

هذا قال ابن عباس: الرئي المنظر، فالمعنى: هم أحسن أثاثاً ولباساً .

ذكر الطبري: عن ابن عباس، الأثاث: المال، والرئي: المنظر.

ذكر ابن عاشور: الأثاث متاع البيوت الذي يُتزين به . وقال ابن كثير: قال

الحسن البصري: يعني الصور، وكذا قال مالك: أكثر أموالاً وأحسن

صوراً، والكل متقارب صحيح .

رفع الأسرة

قال تعالى في سورة الغاشية:

فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾

ذكر السعدي: السرر، جمع سرير، وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما

عليها من الفرش اللينة الوطيئة .

ذكر الطنطاوي: في الجنة أماكن يجلس عليها أهلها جلوساً مرتفعاً عن

الأرض، وينامون فوقها نوما هادئاً لذيذاً . والسرر: جمع سرير، وهو

الشيء ذو القوائم المرتفعة الذي يُتخذ للجلوس والاضطجاع. ووصف سبحانه وتعالى هذه السرر بالارتفاع، لزيادة تصوير حسنها.

ذكر البغوي: قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها، ثم ترتفع إلى مواضعها.

ذكر الطبري: سرر مصفوفة، بعضها فوق بعض.

ذكر ابن عاشور: وسُرر جمع سرير، وهو ما يُجلس عليه ويضطجع عليه فيسع الإنسان المضطجع، يتخذ من خشب أو حديد له قوائم ليكون مرتفعاً عن الأرض. ولما كان الارتفاع عن الأرض مأخوذاً في مفهوم السرر كان وصفها بمرفوعة لتصوير حسنها.

وكل ذلك إشارة لصناعة الأسرّة أو السرر العالية عن الأرض، واستدلال لصناعتها بتقنيات مريحة وجميلة. وقد عرف الناس مؤخراً مقاعد السيارات التي تتواضع للراكب حتى يتم جلوسه عليها ثم تعود فترتفع.

المقاعد

قال تعالى في سورة الجن:

وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا

رَّصَدًا ﴿٩﴾

ذكر ابن عاشور: حقيقة القعود، الجلوس، وهو ضد القيام، أي هو جعل النصف الأسفل مباشراً للأرض مستقراً عليها وانتصاب النصف الأعلى. وهو هنا مجاز في ملازمة المكان زمناً طويلاً لأن ملازمة المكان من لوازم القعود، والمقاعد: جمع مقعد وهو مفعول للمكان الذي يقع فيه القعود، وأطلق هنا على مكان الملازمة فإن القعود يطلق على ملازمة الحصول. وتُصنع المقاعد من الحجارة أحياناً، والغالب أنها تُصنع من الخشب، ومن أغصان الأشجار نفسها أيضاً.

العصا كأداة

أشار الله تعالى للعصا، وهي جذع شجرة، أو خشب منها.

قال تعالى في سورة طه:

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ

أُخْرَى ﴿١٨﴾

ذكر القرطبي: أتوكأ عليها أي أتحامل عليها في المشي والوقوف؛ ومنه الاتكاء. وأهش بها أيضاً أي أخطب بها الورق أي أضرب أغصان الشجر

ليسقط ورقها، فيسهل على غنمي تناوله فتأكله. وعصا موسى عليه السلام كانت أداة تفجير ينابيع الماء الإثنا عشر.

ذكر الطنطاوي: هي نعمة نافعة لهم في دنياهم؛ لأنها أزالوا عنهم الحاجة الشديدة إلى الماء ولولاه لهلكوا، وكانت نافعة لهم في دينهم؛ لأنها من أظهر الأدلة على وجود الله. وعلى قدرته وعلمه، ومن أقوى البراهين على صدق موسى عليه السلام في نبوته.

الحبال والعصي

قال تعالى في سورة طه:

قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ



ذكر ابن كثير: قال السدي في قوله: الثعبان: الذكر من الحيات، فاتحة فاهها، واضعة لحيها الأسفل في الأرض والآخر على سور القصر، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه. فلما رآها زعر منها، ووثب وأحدث، ولم يكن يحدث قبل ذلك، وصاح: يا موسى، خذها وأنا أو من بك، وأرسل معك بني إسرائيل. فأخذها موسى عليه السلام، فعادت عصا.

النار

إن إشعال النار للاستفادة منها يستلزم قدرة و طاقة، وبدون النار يفقد البشر خصائص كثيرة من الموارد المادية التي خلقها الله لهم .

تورية النار وكونها متاعاً للمقوين

قال تعالى في سورة الواقعة :

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ
الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَاعاً لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾

وفي هذا دعوة لإعمال البصر بالرؤية والمشاهدة، فكان التساؤل الموجه للبشر: هل رأيتم النار التي تُشعلون؟ .

ذكر القرطبي: أي أخبروني عن النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب .

ذكر السعدي: هذه نعمة تدخل في الضروريات التي لا غنى للخلق عنها، فإن الناس محتاجون إليها في كثير من أمورهم وحوادثهم، فقررهم تعالى بالنار التي أوجدها في الأشجار، وأن الخلق لا يقدر أن ينشعوا شجرها، وإنما الله تعالى الذي أنشأها من الشجر الأخضر، فإذا هي نار توقد بقدر حاجة العباد، فإذا فرغوا من حاجتهم، أطفأوها وأخمدوها .

استخدام الشجر الأخضر نارا

قال تعالى في سورة يس :

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ



ذكر الطنطاوي: المراد بالشجر الأخضر، هو الشجر النديّ الرطب، كشجر (المرخ والعفار) وهما نباتان أخضران إذا ضرب أحدهما بالآخر اتقدت منهما شرارة نار بقدره الله تعالى .

ذكر ابن كثير: شجر المرخ والعفار، ينبت بأرض الحجاز فيأتي من أراد قدح نار وليس معه زناد، فيأخذ منه عودين أخضرين، ويقدح أحدهما بالآخر، فتولد النار من بينهما، كالزناد سواء سواء .

ذكر ابن عاشور: المفاجأة المستفادة من: (فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ)، دالة على عجب إلهام الله البشر لاستعمال الاقتداح بالشجر الأخضر واهتدائهم إلى خاصيته .

القدح والشرارة

قال تعالى في سورة العاديات :

فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا

ذكر السعدي: ما يطأن بحوافرهن عليه من الأحجار تقدح النار من صلابة حوافرهن وقوتهن إذا عدون.

ذكر الطنطاوي: القَدْح ضرب شيء ليخرج من بينهما شرر النار، التي تخرج من أثر احتكاك حوافر الخيل بالحجارة خلال عدوها بسرعة.
ذكر القرطبي: والقداحة والقداح: الحجر الذي يوري النار.

وقد النار وصناعة الحلبي وبعض المتاع

قال تعالى في سورة الرعد:

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ



إن من خصائص النار أنها حامية، لقوله تعالى: نَارٌ حَامِيَةٌ (القارعة: ١١)، ويستفاد من حرارتها في صناعات عديدة، فالحلية يوقد عليها النار للتخلص من شوائبها لتصبح نقية.

ذكر البغوي: ومما توقدون، أي: ومن الذي توقدون عليه في النار، والإيقاد: جعل النار تحت الشيء ليذوب، كما تُطلب الحلية والذهب

والفضة للزينة، وكذلك الحديد، والنحاس، والرصاص، والصفير، تُذاب ليتخذ منها الأواني وغيرها مما المتاع الذي يُنتفع به . فبالإذابة تبقى الجواهر والمعدن المفيد، أما الزبد أو الخبث الذي خالطه فيعلوه ويذهب عنه لأنه لا نفع فيه .

وقد النار وشوي الطين للصناعة

قال تعالى في سورة القصص :

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ
مِنَ الْكَاذِبِينَ

طلب فرعون من وزيره أن يطبخوا الطين ليكون آجرًا ويبنوا به، فكُنِيَ عن البناء بمقدماته وهي إيقاد الأفران لتجفيف الطين المتخذ آجرًا . والآجر كانوا يبنون به بيوتهم فكانوا يجعلون قوالب من طين يتصلب إذا طبخ وكانوا يخلطونه بالتبن ليتماسك قبل إدخاله التنور . والصرح هو القصر المرتفع .

قال تعالى في سورة الهمزة :

نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ

ذكر ابن عاشور: أوقد النار، إذا أشعلها وألهبها. والتوقد: ابتداء التهاب النار فإذا صارت جمراً فقد خفّ لهبها، أو زال، فوصف النار بالموقدة، يُفيد أنها لا تزال تلتهب ولا يزول لهيبها.

التدفئة

قال تعالى في سورة النمل:

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ
آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾

قال تعالى في سورة طه:

إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا
بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَعَالِي النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

ذكر البغوي: الشهاب والقبس متقاربان في المعنى، وهو العود الذي في أحد طرفيه نار، وليس في الطرف الآخر نار. وقال بعضهم: الشهاب هو شيء ذو نور، مثل العمود، والقبس: القطعة من النار، وذلك بهدف تحقيق الدفء من البرد من وهج النار.

الطين

الطين اللاصق

قال تعالى في سورة الصافات:

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾

ذكر الطبري: إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب، لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء؛ والتراب إذا خلط بماء صار طينا لازبا، والعرب تُبدل أحيانا هذه الباء ميما، فتقول: طين لازم. وقال قتادة: هو الذي يلزق باليد. وهذه هي صفة الطين.

الفضار

قال تعالى في سورة الرحمن:

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِّن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾

ذكر القرطبي: صلصال كالفخار، الصلصال الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة، شبهه بالفخار الذي طبخ. وقيل: هو طين خلط برمل. وقيل: هو الطين المنتن. قال هنا: من صلصال كالفخار، وقال هناك: من صلصال من حمإ مسنون، وقال: إنا خلقناهم من طين لازب، وقال: كمثل آدم

خلقه من تراب وذلك متفق المعنى، وذلك أنه أخذ من تراب الأرض فعجنه فصار طيناً، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالا كالفخار.

ذكر الطبري: خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال، وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرّك ونقر كالفخار، والفخار: هو الذي قد طبخ من الطين بالنار، والطين اللازب: اللزج الطيب من بعد حمأ مسنون مُنتن، والحمأ المسنون: المنتن الريح.

ذكر الطنطاوي: الفخار هو الخزف المجوف الذي صار كذلك بعد أن أدخل في النار.

الطين اليابس

قال تعالى في سورة الحجر:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٦﴾

ذكر السعدي: من طين قد يبس بعد ما خمر حتى صار له صلصلة وصوت، كصوت الفخار، والحمأ المسنون: الطين المتغير لونه وريحه من طول مكثه.

قال تعالى في سورة الحجر:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ



قال تعالى في سورة الحجر:

قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ

وردت هذه الآيات الكريمة متتالية تقريباً في سورة الحجر:

- تناول الذكر الأول إخباراً عاماً من الله تعالى،
- والثاني إخباراً خاصاً للملائكة،
- والثالث إنكار إبليس وجحوده.

الحديد

أشار القرآن الكريم لاستخدام الحديد في مجال التصنيع لقوته، فذكره في ثلاثة مواطن، تشير للصناعة الثقيلة:

خليط قطع الحديد والنحاس المذاب

١- ذكره في سورة الكهف عند بناء السد ليكون ضمن الخليط المشكّل لحائط السد، قال تعالى في سورة الكهف:

آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا
 جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

ذكر القرطبي: أي أعطوني زبر الحديد وناولونيها، أمرهم بنقل الآلة، وزبر الحديد قطع الحديد. ويقال للبناء المرتفع صدف تشبيهه بجانب الجبل.
 ذكر الطبري: (حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا)، فنفخوا، حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا، (قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا)، يقول: أصب عليه قطرا، والقِطْرُ: النحاس.

ذكر البغوي: فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس.

عجينة الحديد اللينة

٢- ذكره في سورة سبأ عندما ألان الله الحديد لنبيه داود عليه السلام، فقال تعالى في سورة سبأ:

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَمِنْهَا فِضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّالَةَ

الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾

ذكر ابن كثير: قال الحسن البصري وقتادة والأعمش وغيرهم: كان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط.

ذكر القرطبي: قال السدي: كان الحديد في يده كالطين المبلول والعجين والشمع، يُصرفه كيف شاء، من غير إدخال نار ولا ضرب بمطرقة. وكان يفرغ من الدرع في بعض اليوم أو بعض الليل. وقيل: أعطي قوة يثني بها الحديد. ودعا الله في أن يعلمه صنعة ويسهلها عليه، فعلمه صنعة لبوس فألان له الحديد فصنع الدروع، فكان يصنع الدرع فيما بين يومه وليلته يساوي ألف درهم، حتى ادخر منها كثيراً وتوسعت معيشة منزله، وتصدق على الفقراء والمساكين، وكان ينفق ثلث المال في مصالح المسلمين، وهو أول من اتخذ الدروع وصنعها وكانت قبل ذلك صفائح.

الحديد مادة الصناعات شديدة البأس

٣- ذكره في سورة الحديد التي سميت باسمه لأهميته، وذكر تعالى بأن مادة الحديد ليس من مكونات الأرض بل أنزلها بفضله للأرض، ووصفه بأن بأسه شديد، وأن منافعه للناس عديدة، وأهمها كونه يستخدم في الصناعة الحربية عندما أشار المولى له بالنصر ثم أتبعه باسمه القوي سبحانه وتعالى.

قال تعالى في سورة الحديد:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ
لِيُقِيمُوا النَّاسَ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

ذكر القرطبي: فيه بأس شديد، أي: لإهراق الدماء. وقيل: أنزلنا الحديد أي أنشأناه وخلقناه. وقال أهل المعاني: أي أخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه. فيه بأس شديد يعني السلاح والكراع والجنه. وقيل: فيه من خشية القتل خوف شديد. ومنافع للناس قال مجاهد: يعني جنه. وقيل يعني انتفاع الناس بالماعون من الحديد، مثل السكين والفأس والإبرة ونحوه. وليعلم الله من ينصره، أي: أنزل الحديد ليعلم من ينصره. وقيل: هو عطف على قوله تعالى: ليقوم الناس بالقسط، أي: أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم الكتاب، وهذه الأشياء، ليتعامل الناس بالحق، وليعلم الله من ينصره، وليرى الله من ينصر دينه وينصر رسله بالغيب.

التعدين والنحاس المسال

قال تعالى في سورة سبأ:

وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَعْدَ وَالْقَطْرَ ﴿١٣﴾

ذكر القرطبي: القطر: النحاس، أسيلت له مسيرة ثلاثة أيام كما يسيل الماء، وكانت بأرض اليمن، ولم يذب النحاس فيما روي لأحد قبله، وكان لا يذوب، ومن وقته ذاب، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله تعالى لسليمان .

ذكر ابن عاشور: ومعنى تسخيره الريح: خلق ريحاً تلائم سير سفائنه للغزو أو التجارة، فجعل الله لمراسيه في شطوط فلسطين رياحاً موسمية تهبّ شهراً مشرقة لتذهب في ذلك الموسم سفنه، وتهبّ شهراً مغرّبة لترجع سفنه إلى شواطئ فلسطين.

الإسالة: جعل الشيء سائلاً، أي مائعاً منبطحاً في الأرض كمسيل الوادي. وعين القطر ليست عيناً حقيقة ولكنها مستعارة لمصب ما يصهر في مصانعه من النحاس حتى يكون النحاس المذاب سائلاً خارجاً من فساقبي ونحوها من الأنابيب كما يخرج الماء من العين لشدة إصهار النحاس وتوالي إصهاره فلا يزال يسيل ليصنع له آنية وأسلحة ودراً، وما ذلك إلا بإذابة وإصهار خارقين للمعتاد بقوة إلهية، شبه الإصهار بالكهرباء أو بالألسنة النارية الزرقاء، وذلك ما لم يؤته ملك من ملوك زمانه .

السلاسل المعدنية

قال تعالى في سورة الحاقة:

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾

ذكر القرطبي: قال كعب: إن حلقة من السلسلة التي قال الله تعالى:

ذرعها سبعون ذراعاً، أن حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا.

ذكر الطبري: قال نوف البكالي: كلّ ذراع سبعون باعاً، كلّ باع أبعد مما

بينك وبين مكة، وهو يومئذ في مسجد الكوفة.

ذكر ابن عاشور: أي داخلاً في السلسلة وذلك بأن تلف عليه السلسلة

فيكون في وسطها، ويقال: سلّكه، إذا أدخله في شيء، أي اجعلوه في

الجحيم مكبلاً في أغلاله.

إذابة معدني الحديد والنحاس

قال تعالى في سورة المعارج:

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾

ذكر السعدي: أي كالرصاص المذاب، أو كعكر الزيت، من شدة حرارته.

قال تعالى في سورة الرحمن:

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾

ذكر الطنطاوي: الشواظ: اللهب الذي لا يخالطه دخان، لأنه قد تم اشتعاله فصار أشد إحراقاً، والنحاس: المراد به هنا الدخان الذي لا لهب فيه، ويصح أن يراد به: الحديد المذاب.

ثقب المعدن

قال تعالى في سورة الكهف:

فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

ذكر الطنطاوي: فما استطاع قوم يأجوج ومأجوج أن يرتفعوا على ظهر السد، أو يرقوا فوقه لملاسته وارتفاعه، وما استطاعوا أن يحدثوا فيه نقباً أو خرقاً لصلابته ومتانته وثخانتته.

مقامع حديدية

قال تعالى في سورة الحج:

وَلَهُمْ مَّقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾

ذكر الطنطاوي: هي مضارب من حديد.
ذكر القرطبي: المقمع كالمحجن، يضرب به على رأس الفيل.

ذكر ابن عاشور: المقامع جمع مقمعة بكسر الميم بصيغة اسم آلة القمع. والقمع: الكف عن شيء بعنف. والمقمعة: السوط، أي يضربون بسياط من حديد.

الصهر

قال تعالى في سورة الحج:

يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ

ذكر ابن كثير: أي إذا صب على رؤوسهم الحميم، وهو الماء الحار في غاية الحرارة. وقال سعيد بن جبير هو النحاس المذاب، أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء.

الأغلال

قال تعالى في سورة الأعراف:

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

ذكر البغوي: قال قتادة: يعني التشديد الذي كان عليهم في الدين، (وَالْأَغْلَالَ) يعني: الأثقال (الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) وذلك مثل: قتل الأنفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض،

وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية، وترك العمل في السبت، وأن صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس، وغير ذلك من الشدائد. وشبهت بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق.

قال تعالى في سورة سبأ:

وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا

ذكر ابن كثير: هي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم.

قال تعالى في سورة يس:

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ

ذكر ابن كثير: قال العوفي، عن ابن عباس قال: هو كقول الله تعالى: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ (الإسراء: ٢٩) يعني بذلك: أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير.

ذكر البغوي: قال الفراء: أي إنا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله كقوله تعالى: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (الإسراء: ٢٩)، أي: لا تمسكها عن النفقة.

السلاسل والأغلال

قال تعالى في سورة الإنسان:

إِنَّا عْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾

ذكر القرطبي: أغلالاً جمع غل تُغل بها أيديهم إلى أعناقهم. وعن جبير بن نفير عن أبي الدرداء كان يقول: ارفعوا هذه الأيدي إلى الله جل ثناؤه قبل أن تُغل بالأغلال. قال الحسن: إن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الرب سبحانه ولكن إذلالاً.

الأصفاد

قال تعالى في سورة إبراهيم:

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾

ذكر البغوي: مشدودين بعضهم ببعض في القيود والأغلال، واحدها صفد، وكل من شدته شداً وثيقاً فقد صفدته.

قال تعالى في سورة ص:

وَآخِرِينَ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾

ذكر ابن كثير: موثقون في الأغلال والأكبال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء في صنيعه واعتدى.

الوثاق

قال تعالى في سورة محمد :

فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا
الْوَثَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَاِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴿٤﴾

ذكر البغوي: أي فاضربوا رقابهم يعني أعناقهم. حتى إذا بالغتم في القتل وقهرتموهم (فشدوا الوثاق) يعني في الأسر حتى لا يفلتوا منكم، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل، وبعد أن تأسروهم فيما أن تمنوا عليهم منّا بإطلاقهم من غير عوض، وإما أن تفادوهم فداء.

قال تعالى في سورة الفجر:

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾

ذكر البغوي: أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق كوثاقه أحد، يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب، والوثاق: هو الإسار في السلاسل والأغلال.

السوط

قال تعالى في سورة الفجر:

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ

ذكر الطبري: فأنزل بهم يا محمد ربك عذابه، وأحلَّ بهم نقمته، بما أفسدوا في البلاد، وطغَوْا على الله فيها. وقيل: فصَّبَّ عليهم ربك سَوْطَ عَذَابٍ. وإنما كانت نِقْمًا تنزل بهم، إما ريحا تُدَمِّرهم، وإما رَجْفًا يُدَمِّم عليهم، وإما غَرْقًا يُهْلِكهم من غير ضرب بسوط ولا عصا؛ لأنه كان من أليم عذاب القوم الذين خوطبوا بهذا القرآن، الجلد بالسياط، فكثير استعمال القوم الخبر عن شدَّة العذاب الذي يعذَّب به الرجل منهم أن يقولوا: ضُرب فلان حتى بالسياط.

ذكر ابن عاشور: السوط: آلة ضرب تتخذ من جلود مضافورة تضرب بها الخيل للتأديب ولتحملها على المزيد في الجري. وإضافة سوط إلى عذاب من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي صب عليهم عذاباً سوطاً، أي كالسوط في سرعة الإصابة فهو تشبيهه بليغ.

السكاكين

قال تعالى في سورة يوسف:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّارَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ

وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ



ذكر السعدي: تدعوهم إلى منزلها للضيافة، (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا)، أي: محلاً مهياً بأنواع الفرش والوسائد، وما يقصد بذلك من المآكل اللذيذة، وكان في جملة ما أتت به وأحضرتة في تلك الضيافة، طعام يحتاج إلى سكين، إما أترج، أو غيره، (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا)، ليقطعن فيها ذلك الطعام.

صناعة الطيران

لفت الله تعالى نظر الإنسان إلى شكل الطير وهيئته ليستخدم شكله وهيئته، قال تعالى في سورة الملك:

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَاقَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَانُ



ذكر القرطبي: ما يمسكهن إلا الله في حال القبض والبسط والاصطفاف، بين لهم كيف يعتبرون بها على وحدانيته. إن في ذلك لآيات أي علامات وعبراً ودلالات.

ذكر الطنطاوي: إنهم لو نظروا نظر تأمل وتعقل، لعلموا أن المسخر لهن هو الله الذي لا معبود بحق سواه وفي قوله تعالى (مسخرات) إشارة إلى أن طيرانها في الجو ليس بمقتضى طبعها، وإنما هو بتسخير الله تعالى لها وبسبب ما أوجد لها من حواس ساعدتها على ذلك، كالأجنحة وغيرها. وأضاف سبحانه الجو إلى السماء لارتفاعه عن الأرض، ولإظهار كمال قدرته سبحانه.

قال تعالى في سورة النحل:

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ



ذكر ابن عاشور: ما يمسكهن عن السقوط إلى الأرض من دون إرادتها، وإمسك الله إياها خلقه الأجنحة لها والأذنان، وجعله الأجنحة والأذنان قابلة لللبس، وخلق عظامها أخف من عظام الدواب بحيث إذا بسطت أجنحتها وأذنانها ونهضت بأعصابها خفت خفة شديدة فسبحت في الهواء فلا يصلح ثقلها لأن يخرق ما تحتها من الهواء إلا إذا قبضت من أجنحتها وأذنانها وقوست أعصاب أصلابها عند إرادتها النزول إلى الأرض أو الانخفاض في الهواء. فهي تحوم في الهواء كيف شاءت ثم تقع متى

شاءت أو عييت . فلولا أن الله خلقها على تلك الحالة لما استمسكت،
فُسِّمِي ذلك إمساكاً على وجه الاستعارة، وهو لطف بها .

السلم والمصعد

قال تعالى في سورة الطور:

أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

ذكر القرطبي: أيدعون أن لهم مرتقى إلى السماء ومصعداً وسبباً
يستمعون فيه، أي عليه الأخبار ويصلون به إلى علم الغيب، كما يصل
إليه محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي .
ذكر ابن عاشور: علم من اسم السلم أنه آلة الصعود .

طاقة الريح

قوة الريح

قال تعالى في سورة سبأ:

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْاحُهَا شَهْرٌ ﴿١٢﴾

ذكر الطنطاوي: سخرنا لنبينا سليمان بن داود عليهما السلام الريح، تجرى
بأمره في الغدوة الواحدة مسيرة شهر، وتعود بأمره في الروحة الواحدة

مسيرة شهر. أي أنها لسرعتها تقطع في مقدار الغدوة الواحدة ما يقطعه الناس في شهر من الزمان، وكذلك الحال بالنسبة للروحة الواحدة، وهي في كل مرة تسير بأمر سليمان، ووفق إرادته التي منحها الله تعالى إياها. ذكر ابن كثير: قال الحسن البصري: كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغذى بها، ويذهب راثحا من إصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع، وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع.

ذكر ابن عاشور: معنى تسخيره الريح: خلق ريحاً تلائم سير سفائنه للغزو أو التجارة، فجعل الله لمراسيه في شطوط فلسطين رياحاً موسمية تهبّ شهراً مشرقة لتذهب في ذلك الموسم سفنه، وتهبّ شهراً مغربة لترجع سفنه إلى شواطئ فلسطين.

الريح العاتية

قال تعالى في سورة الإسراء:

أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ كُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ
الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَّا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا



ذكر الطنطاوي: القاصف من الريح: هو الريح العاتية الشديدة التي تقصف وتحطم كل ما مرت به من أشجار وغيرها. يقال: قصف فلان الشيء، إذا كسره.

الريح العاصف

قال تعالى في سورة الأنبياء:

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾

ذكر الطنطاوي: وصفت الريح هنا بأنها عاصفة، وفي آية أخرى بأنها رخاء قال تعالى: (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ)، لأنها تارة تكون عاصفة، وتارة تكون لينة رخاء. على حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه.

الريح الساكنة

قال تعالى في سورة الشورى:

إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾

ذكر الطبري: إن يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر أن لا تجري فيه، أسكن الريح التي تجري بها فيه، فثبتن في موضع واحد، ووقفن على ظهر الماء لا تجري، فلا تتقدم ولا تتأخر.

ذكر ابن كثير: (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ)، أي: التي تسير بالسفن، لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن، بل تظل راكدة لا تجيء ولا تذهب، بل واقفة على ظهره، أي: على وجه الماء، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ)، أي: في الشدائد، شكور، أي: إن في تسخيره البحر وإجرائه الهوى بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم، لدلالات على نعمه تعالى على خلقه، لِكُلِّ صَبَّارٍ، أي: في الشدائد، (شكور)، في الرخاء.

الريح العقيم

قال تعالى في سورة الذاريات:

وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ

ذكر الطبري: يعني بالريح العقيم التي لا تلقح الشجر. قال ابن عباس: لا تلقح الشجر، ولا تثير السحاب. قال قتادة: الريح التي لا تنبت.

ذكر ابن عاشور: هي الخليّة من المنافع التي تُرجى لها الرياح من إثارة السحاب وسوقه، ومن إلقاح الأشجار بنقل غبرة الذكر من ثمار إلى

الإناث من أشجارها، أي الريح التي لا نفع فيها، أي هي ضارة. وهذا الوصف لما كان مشتقاً مما هو من خصائص الإناث كان مستغنياً عن لحاق هاء التأنيث لأنها يُؤتى بها للفرق بين الصنفين. والعرب يكرهون العقم في مواشيهم، أي ريح كالناقة العقيم لا تثمر نسلًا ولا درًا، فوصف الريح بالعقيم تشبيهه بليغ في الشؤم.

الريح لتحريك السفن

قال تعالى في سورة يونس:

هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ
بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا
مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾

ذكر الطبري: الله الذي يسيركم، أيها الناس، في البر على الظهر وفي البحر في الفلك، حتى إذا كنتم في الفلك، أي السفن، وجرت الفلك بالناس، (بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ)، في البحر، (وَفَرِحُوا بِهَا)، يعني: وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التي يسيرون بها.

الريح لتحريك السحاب

قال تعالى في سورة فاطر:

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٦﴾

ذكر الطبري: عن قتادة قال: يرسل الرياح فتسوق السحاب، فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء، فكذلك يبعثه يوم القيامة.

صناعة السحاب وتحويله إلى مطر

قال تعالى في سورة النور:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ
يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ
مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَن يَشَاءُ يَكَادُ سُنَّابُ رِقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ



ذكر السعدي: ألم تشاهد ببصرك، عظيم قدرة الله، وكيف، (يزجي)، يسوق، (سحاباً)، قطعاً متفرقة، (ثم يؤلف)، بين تلك القطع، فيجعله سحاباً متراكماً، مثل الجبال. (فترى الودق)، أي: الوابل والمطر، يخرج

من خلال السحاب، نقطاً متفرقة، ليحصل بها الانتفاع من دون ضرر، فتمتلئ بذلك الغدران، وتتدفق الخلجان، وتسيل الأودية، وتنبت الأرض من كل زوج كريم، وتارة ينزل الله من ذلك السحاب برداً يتلف ما يصيبه.

الرياح مبشرات

قال تعالى في سورة الروم:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ
وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ



ذكر الطنطاوي: يرسل الرياح مبشرات بالأمطار ويرسلها ليمنحكم من رحمته الخصب والنماء لزرعكم، ولتجري الفلك عند هبوبها في البحر بإذنه تعالى ولتبتغوا أرزاقكم من فضله سبحانه عن طريق الأسفار، والانتقال من مكان إلى آخر، ولكي تشكروا الله تعالى على هذه النعم.

الرياح اللواقح

قال تعالى في سورة الحجر:

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ



ذكر السعدي: وسخرنا الرياح، رياح الرحمة تلقح السحاب، كما يلحق الذكر الأثني، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله، فيسقيه الله العباد ومواشيهم وأرضهم، ويبقى في الأرض مدخراً لحاجاتهم وضروراتهم ما هو مقتضى قدرته ورحمته، (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)، أي: لا قدرة لكم على خزنه وادخاره، ولكن الله يخزنه لكم ويسلكه ينابيع في الأرض رحمة بكم وإحساناً إليكم.

ذكر البغوي: قال أبو عبيدة: أراد باللواقح الملاقح واحدتها ملقحة، لأنها تلقح الأشجار. قال عبيد بن عمير: يبعث الله الريح المبشرة فتقم الأرض قما، ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركاما، ثم يبعث اللواقح فتلقح الشجر. وقال أبو بكر بن عياش: لا تقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه، فالصبا تهيجه، والشمال تجمععه، والجنوب تذرّه، والدبور تفرقه.

طاقة الماء

الرياح والماء وبث الحياة

قال تعالى في سورة الأعراف:

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا
ثِقَالًا سَقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

ذكر الطنطاوي: إن الله تعالى هو الذي يرسل الرياح مبشرات بنزول الغيث، حتى إذا حملت الرياح سحابا ثقالا من كثرة ما فيها من الماء، سقناه، أي السحاب إلى «بلد ميت» أي إلى أرض لا نبات فيها ولا مرعى، فاهتزت وربت وأخرجت النبات والمرعى. فأطلق سبحانه الموت على الأرض التي لا نبات فيها، وأطلق الحياة على الأرض الزاخرة بالنبات والمرعى لأن حياتها بذلك.

الماء الطهور سقيا للأنعام وللناس

قال تعالى في سورة الفرقان:

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا
 وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

ذكر السعدي: هو وحده الذي رحم عباده وأدر عليهم رزقه بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته وهو المطر فثار بها السحاب وتألف وصار كسفا وألقحته وأدرته بإذن أمرها والمتصرف فيها ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة. (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا)، يطهر من الحدث والخبث ويطهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتا فتختلف أصناف النوبات والأشجار فيها مما يأكل الناس والأنعام. (وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا)، أي: نسقيكموه أنتم وأنعامكم، أليس الذي أرسل الرياح المبشرات وجعلها في عملها متنوعات، وأنزل من السماء ماء طهوراً مباركاً فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره؟

مياه الأنهار: المياه السطحية

قال تعالى في سورة الرعد:

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَادًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 جَعَلَ فِيهَا رِوَادًا وَجِبْنَ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

ذكر السعدي: (أنهاراً)، تسقي الآدميين وبهائمهم وحروثهم، فأخرج بها
 من الأشجار والزروع والثمار خيراً كثيراً.

ذكر الطنطاوي: الأنهار: جمع نهر، وهو مجرى الماء الفائض، ويطلق على
 الماء السائل على الأرض.

ذكر ابن كثير: أجرى فيها الأنهار والجداول والعيون لسقي ما جعل فيها
 من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح.

مياه البحر: المياه السطحية

قال تعالى في سورة الإسراء:

رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ
 كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

ذكر الطنطاوي: اذكروا أيها الناس لتعتبروا وتشكروا ربكم الذي من
 مظاهر نعمته عليكم، أنه يسوق لكم بلطفه وقدرته السفن التي تركبونها

في البحر لكي تطلبوا من وراء ركوبها الرزق الذي يصلح معاشكم،
والذي هو لون من ألوان فضل الله عليكم.

ذكر القرطبي: وإزجاء الفلك: سوقه بالريح اللينة. والبحر الماء الكثير عذباً
كان أو ملحاً، وقد غلب هذا الاسم على الملح... لتبتغوا من فضله أي في
التجارات.

ذكر الطبري: يقول تعالى ذكره للمشركين به: ربكم أيها القوم هو الذي
يسير لكم السفن في البحر، فيحملكم فيها (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) لتوصلوا
بالركوب فيها إلى أماكن تجارتكم ومطالبكم ومعاشكم، وتلتمسون من
رزقه (إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)، يقول: إن الله كان بكم رحيمًا حين أجرى
لكم الفلك في البحر، تسهلاً منه بذلك عليكم التصرف في طلب فضله
في البلاد النائية التي لولا تسهيله ذلك لكم لصعب عليكم الوصول
إليها.

مياه الينابيع: المياه الجوفية

قال تعالى في سورة الزمر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِطُ بِهِ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

ذكر السعدي: ما أنزله من السماء من الماء، وأنه سلكه ينابيع في الأرض،
أي: أودعه فيها ينبوعا، يستخرج بسهولة ويسر.

ذكر الطنطاوي: الينابيع: جمع ينبوع، وهو المنبع أو المجرى الذي يكون
في باطن الأرض، والذي يحمل الكثير من المياه الجارية أو المخزونة في
جوف الأرض.

سقي الأرض المجدبة بالماء

قال تعالى في سورة السجدة:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ
مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

ذكر السعدي: (أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ)، التي لا نبات فيها،
فيسوق الله المطر، الذي لم يكن قبل موجوداً فيها، فيفرغه فيها، من
السحاب، أو من الأنهار. (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا)، أي: نباتاً، مختلف الأنواع،

(تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ)، وهو نبات البهائم، (وَأَنْفُسُهُمْ)، وهو طعام
الآدميين.

طاقة الشمس

الإنارة

قال تعالى في سورة يونس :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا
عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

ذكر الطنطاوي: الله تعالى وحده هو الذي جعل لكم الشمس ذات ضياء،
وجعل لكم القمر ذا نور، لكي تنتفعوا بهما في مختلف شؤونكم.
ذكر القرطبي: لاختصاص الليل بظلامه والنهار بضيائه.

الإضاءة

قال تعالى في سورة نوح:

وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا

ذكر الطنطاوي: كالسراج في إضاءتها وتوهجها وإزالة ظلمة الليل، إذ السراج هو المصباح الزاهر نوره، الذي يضيء ما حوله.

النور والدفء

قال تعالى في سورة الفرقان:

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا



ذكر السعدي: جعل فيه النور والحرارة وهو الشمس. والقمر فيه النور لا الحرارة وهذا من أدلة عظمته.

نور الشمس

قال تعالى في سورة النبأ:

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا

ذكر ابن كثير: يعني الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم.

ذكر ابن عاشور: ذكر السماوات يناسبه ذكر أعظم ما يشاهده الناس في فضائها وذلك الشمس، ففي ذلك مع العبرة بخلقها عبرة في كونها على

تلك الصفة ومَنَّة على الناس باستفادتهم من نورها فوائد جمّة . والسراج :
 حقيقة المصباح الذي يُستضاء به وهو إناء يجعل فيه زيت وفي الزيت
 خرقة مفتولة تسمى الذُّبَالَة تُشعل بنار فتضيء ما دام فيها بلل الزيت .
 والوهاج : أصله الشديد الوَهج (بفتح الواو وفتح الهاء، ويقال : بفتح الواو
 وسكون الهاء) وهو الاتقاد . ويطلق الوهاج على المتألىء المضىء وهو
 المراد هنا لأن وصف وهاج أُجْرِيَّ على سراج، أي سراجاً شديد الإضاءة،
 ولا يقال : سراج ملتهب . قال الراغب : الوَهجُ حصول الضوء والحرُّ من
 النار . وتوهجت النار، إذ تلمظت فتوهجت بضوئها وحرّها .

ذكر السعدي : نبه بالسراج على النعمة بنورها، الذي صار كالضرورة
 للخلق، وبالوهاج الذي فيه الحرارة على حرارتها وما فيها من المصالح .

صناعة العمارة والتشييد والعمران

قطع الصخور

قال تعالى في سورة الفجر:

وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ

قوم ثمود هم قوم نبي الله صالح، كانوا يقطعون الصخر من الوديان،
 وينحتونه في الوديان والجبال .

ذكر القرطبي: قال المفسرون: أول من نحت الجبال والصور والرخام: ثمود. فبنوا من المدائن ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة. ومن الدور والمنازل ألفي ألف وسبعمائة ألف، كلها من الحجارة. وكانوا لقوتهم يخرجون الصخور، وينقبون الجبال، ويجعلونها بيوتا لأنفسهم.

المصانع والقصور الضخمة

قال تعالى في سورة الشعراء:

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعَايَةٍ تَعْبَثُونَ ﴿١٣٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ
تَخْلُدُونَ ﴿١٣٩﴾

ذكر الطنطاوي: تعملون مصانع أي قصورا ضخمة متينة، أو حياضاً تجمعون فيها مياه الأمطار.

ذكر ابن كثير: قال مجاهد: المصانع: البروج المشيدة، والبنيان الخلد. وقال قتادة: هي مأخذ الماء.

ذكر الطبري: إن المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً وحصوناً مشيدة، وجائز أن يكون كان مأخذاً للماء.

نحت البيوت الآمنة من الجبال

قال تعالى في سورة الحجر:

وَكَاُنُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾

ذكر ابن كثير: كانوا ينحتون من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشراً وبطراً وعبثاً، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر، الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب إلى تبوك فقع رأسه وأسرع دابته، وقال لأصحابه: (لا تدخلوا بيوت القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تبكوا فتباكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم).

نحت البيوت الفارهة من الجبال

قال تعالى في سورة الشعراء:

وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾

ذكر الطنطاوي: النحت: البري. يُقال: نحت فلان الحجر نحتاً إذا براه وأعدده للبناء. وفارِهين أي: ماهرين حاذقين في نحتها، إذا برع في فعل الشيء، وعرف غوامضه ودقائقه.
ذكر البغوي: قال قتادة: معجبين بصنيعكم.

ذكر ابن عاشور: الفراهة هي الحذق والكياسة، أي عارفين حذقين بنحت البيوت من الجبال بحيث تصير بالنحت كأنها مبنية.

تكسير الأحجار

قال تعالى في سورة الأنبياء:

فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

ذكر ابن عاشور: الجُذاد هو القطع، أي كسرهم وجعلهم قطعاً.

إحياء الأرض

قال تعالى في سورة يس:

وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ

﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مَنَّ

الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾

ذكر الطنطاوي: من العلامات الواضحة لهؤلاء المشركين على قدرتنا على إحياء الموتى، أننا ننزل الماء على الأرض الجذباء. فتهتز وتربو، وتخرج ألواناً وأصنافاً من الحبوب التي يعيشون عليها.

ذكر ابن عاشور: موت الأرض: جفافها وجرارتها لخلوها من حياة النبات فيها، وإحيائها: خروج النبات منها من العشب والكلأ والزرع.

تمهيد الأرض

قال تعالى في سورة الشمس:

وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾

ذكر السعدي: مدّها ووسعها، فتمكن الخلق حينئذ من الانتفاع بها، بجميع وجوه الانتفاع.

ذكر الطنطاوي: جعلها مهية للاستقرار عليها.

ذكر القرطبي: بسطها.

ذكر ابن عاشور: بسطها وتوطئتها للسير والجلوس والاضطجاع.

فتح الطرق الموصلة

قال تعالى في سورة طه:

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾

ذكر السعدي: فراشاً: بحالة تتمكنون من السكنون فيها، والقرار، والبناء، والغراس، وإثارها للازدراع وغيره، وذلكها لذلك، ولم يجعلها ممتنعة عن مصلحة من مصالحكم.

وقوله: (وَسَلِّكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا)، أي: نفذ لكم الطرق الموصلة، من أرض إلى أرض، ومن قطر إلى قطر، حتى كان الآدميون يتمكنون من الوصول إلى جميع الأرض بأسهل ما يكون، وينتفعون بأسفارهم، أكثر مما ينتفعون بإقامتهم. وأنزل المطر وأنبت بذلك جميع أصناف النوبات على اختلاف أنواعها، وتشتت أشكالها، وتباين أحوالها، فساقه، وقدره، ويسره، رزقنا ولأنعامنا، ولولا ذلك لهلك من عليها من آدمي وحيوان.

ذكر الطنطاوي: هذه الآية الكريمة اشتملت على أربع منن قد امتن الله بها على عباده، وهي:

- تمهيد الأرض،
- وجعل الطرق فيها،
- وإنزال المطر من السماء،
- وإخراج النبات المتنوع من الأرض.

قواعد البناء

قال تعالى في سورة البقرة:

وَإِذِ رَفَعْنَا إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

ذكر الطنطاوي: القواعد: جمع قاعدة، وهي أساس البناء الموالي للأرض، وبها يكون ثبات البناء. ورفعها: إبرازها عن الأرض بالبناء عليها. والمراد بالبيت الكعبة.

ذكر البغوي: قال ابن عباس: بعث الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلها إلى أن وافق مكة ووقفت على موضع البيت فنودي منها إبراهيم أن ابن علي ظلها لا تزد ولا تنقص، وقيل: أرسل الله جبريل ليُدله على موضع البيت، كقوله تعالى (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) (الحج: ٢٦) فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت، فكان إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجر، فذلك قوله تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) يعني أسسه وأحدثها قاعدة. وقال الكسائي: جدر البيت، قال ابن عباس: إنما بني البيت من خمسة أجبل، طور سيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام، والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من حراء وهو جبل بمكة.

تأسيس البنيان

قال تعالى في سورة التوبة :

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

ذكر الطنطاوي: أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة، وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه (خَيْرٌ أَمْ مَنْ) أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وأرعاها وأقلها بقاء، وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل (شَفَا جُرْفٍ هَارٍ) في قلة الثبات والاستمسك . وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى، لأنه جعل مجازا عما ينافي التقوى .

الأعمدة

قال تعالى في سورة الرعد :

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ
يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

ذكر الطنطاوي: العمَد: جمع عماد، وهو ما تقام عليه القبة أو البيت .
فالله سبحانه هو الذي رفع هذه السموات الهائلة في صنعها وفي
ضخامتها، بغير مستند يسندها، وبغير أعمدة تعتمد عليها، وأنتم ترون
ذلك بأعينكم بجلاء ووضوح .

ذكر القرطبي: فانظروا في مصنوعاته لتعرفوا كمال قدرته .

ذكر الطبري: العمَد جمع عمود، وهي السَّواري، وما يعمد به البناء .

العمد الممددة

قال تعالى في سورة الهمزة:

فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

ذكر القرطبي في تفسيره: العمود هو عمود البيت، وجمع القلة: أعمدة،
وجمع الكثرة عمد، وعمد . وقال أبو عبيدة: العمود، كل مستطيل من
خشب أو حديد، وهو أصل للبناء مثل العماد . عمدت الشيء فانعمد؛
أي أقمته بعماد يعتمد عليه وأعمدته جعلت تحته عمداً .

الأعمدة الأوتاد

قال تعالى في سورة الفجر:

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾

ذكر الطنطاوي: الأوتاد: جمع وتد، وهو ما يُدق في الأرض لتثبيت الشيء وتقويته. والمراد بها هنا: المباني الضخمة العظيمة، أو الجنود الذين يثبتون ملكه كما تثبت الأوتاد البيت، أو الملك الثابت ثبوت الأوتاد.

ذكر ابن عاشور: جمع وتد بكسر التاء: عود غليظ له رأس مفلطح يُدق في الأرض ليشد به الطُّنْب، وهو الحبل العظيم الذي تشد به شقّة البيت والخيمة فيشد إلى الوتد وترفع الشقة على عماد البيت.

الجبال الأوتاد

قال تعالى في سورة النبأ:

وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا

ذكر السعدي: تمسك الأرض لئلا تضطرب بكم وتميد.

ذكر الطنطاوي: لقد صيرنا بقدرتنا الأرض كالمهاد لتمكنوا من الاستقرار عليها، وجعلنا الجبال كأوتاد للأرض، لئلا تميد أو تضطرب بكم.

عمارة الجدران

قال تعالى في سورة الكهف:

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَن يُضَيَّفُوهُمَا
فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ
أَجْرًا ﴿٧٧﴾

ذكر الطنطاوي: بناء مرتفعا (يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ)، أي: ينهدم ويسقط،
(فَأَقَامَهُ)، أي الخضر، بأن سواه وأعاد إليه اعتداله، أو بأن نقضه وأخذ في
بنائه من جديد .

السقف

قال تعالى في سورة النحل:

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ
السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣١﴾

ذكر الطنطاوي: خر علينا سقف، ووقع علينا حائط، إذا كان يملكه وإن لم
يكن وقع عليه . فجاء بقوله: (مِنْ فَوْقِهِمْ) ليخرج هذا الشك الذي في
كلام العرب، فقال: (مِنْ فَوْقِهِمْ) أي: عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا وما
أفلتوا .

ذكر القرطبي: وإذا اختلت القواعد سقط البناء . وقال: وأولى القولين
بتأويل الآية، قول من قال: معنى ذلك: تساقطت عليهم سقوف بيوتهم،

إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله، فائتفكت بهم منازلهم لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان، وخرّ السقف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر الأعراف منها، أولى من توجيهها إلى غير ذلك ما وجد إليه سبيل.

ذكر ابن عاشور: مبدأ الإتيان الذي هو بمعنى الاستئصال، فهو في معنى هدمه، والقواعد: الأسس والأساطين التي تجعل عمداً للبناء يقام عليها السقف. والخرور: السقوط والهوي، والسقف: حقيقته غطاء الفراغ الذي بين جدران البيت، يجعل على الجدران ويكون من حجر ومن أعواد، وهو هنا مستعار لما استعير له البناء. ومن مجموع هذه الاستعارات تتركب الاستعارة التمثيلية، وهي تشبيه هيئة القوم الذين مكروا في المنعة فأخذهم الله بسرعة وأزال تلك العزة بهيئة قوم أقاموا بنياناً عظيماً ذا دعائم وآووا إليه فاستأصله الله من قواعد فخر سقف البناء دفعة على أصحابه فهلكوا جميعاً.

رفع السقف

قال تعالى في سورة الطور:

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ

ذكر القرطبي: السقف المرفوع يعني السماء، سماها سقفا؛ لأنها للأرض كالسقف للبيت.

السقف المحفوظ

قال تعالى في سورة الأنبياء:

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾

ذكر الطنطاوي: وجعلنا السماء سقفا للأرض كما يكون السقف للبيت، وجعلناه محفوظا من السقوط ومن التشقق، ومن كل شيطان رجيم. ذكر القرطبي: قيل: محفوظا من الهدم والنقض، وعن أن يبلغه أحد بحيلة. وقيل: محفوظا فلا يحتاج إلى عماد.

ذكر ابن عاشور: والسقف، حقيقته: غطاء فضاء البيت الموضوع على جدرانها، ولا يقال السقف على غطاء الخباء والخيمة. وأطلق السقف على السماء على طريقة التشبيه البليغ، أي جعلناها كالسقف لأن السماء ليست موضوعة على عمد من الأرض.

الأدراج وسقف من فضة

قال تعالى في سورة الزخرف:

وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٢٣﴾

ذكر السعدي: يخبر تعالى بأن الدنيا لا تسوى عنده شيئا، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده، التي لا يُقدّم عليها شيئا، لو سَع الدنيا على الذين كفروا توسيعا عظيما، ولجعل لبيوتهم درجا من فضة يظهرون بها على سطوحهم.

ذكر القرطبي: المعارج يعني الدرج. قال ابن عباس وهو قول الجمهور. واحدها معراج، والمعراج السلم.

– استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن السقف لا حق فيه لرب العلو؛ لأن الله تعالى جعل السقوف للبيوت كما جعل الأبواب لها. وهذا مذهب مالك رحمه الله. قال ابن العربي: وذلك لأن البيت عبارة عن قاعة وجدار وسقف وباب، فمن له البيت فله أركانه. ولا خلاف أن العلو له إلى السماء. واختلفوا في السفلى، فمنهم من قال هو له، ومنهم من قال ليس له في باطن الأرض شيء. وفي مذهبنا القولان. وقد بين حديث الإسرائيلى الصحيح فيما تقدم: أن رجلا باع من رجل دارا فبناها فوجد فيها جرة من ذهب، فجاء بها إلى البائع فقال: إنما اشتريت الدار دون الجرة، وقال البائع: إنما بعث الدار بما فيها، وكلهم تدافعها ففضى بينهم

النبي صلى الله عليه وسلم أن يزوج أحدهما ولده من بنت الآخر ويكون المال لهما. والصحيح أن العلو والسفل له إلا أن يخرج عنهما بالبيع، فإذا باع أحدهما أحد الموضعين فله منه ما ينتفع به وباقيه للمبتاع منه.

– من أحكام العلو والسفل: إذا كان العلو والسفل بين رجلين فيعتل السفل أو يريد صاحبه هدمه؛ فذكر سحنون عن أشهب أنه قال: إذا أراد صاحب السفل أن يهدم، أو أراد صاحب العلو أن يبني علوه فليس لصاحب السفل أن يهدم إلا من ضرورة، ويكون هدمه له أرفق لصاحب العلو، لئلا ينهدم بانهدامه العلو، وليس لرب العلو أن يبني على علوه شيئاً لم يكن قبل ذلك إلا الشيء الخفيف الذي لا يضر بصاحب السفل. ولو انكسرت خشبة من سقف العلو لأدخل مكانها خشبة ما لم تكن أثقل منها ويخاف ضررها على صاحب السفل. قال أشهب: وباب الدار على صاحب السفل. قال: ولو انهدم السفل أجبر صاحبه على بنائه، وليس على صاحب العلو أن يبني السفل، فإن أبى صاحب السفل من البناء قيل له بع ممن يبني. وروى ابن القاسم عن مالك في السفل لرجل والعلو لآخر فاعتل السفل، فإن صلاحه على رب السفل وعليه تعليق العلو حتى يصلح سفله؛ لأن عليه إما أن يحمله على بنيان أو على تعليق، وكذلك لو كان على العلو فتعليق العلو الثاني على صاحب

الأوسط . وقد قيل : إن تعليق العلو الثاني على رب العلو حتى يبني الأسفل . وحديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) ، أصل في هذا الباب . وهو حجة لمالك وأشهب . وفيه دليل على أن صاحب السفن ليس له أن يحدث على صاحب العلو ما يضرُّه ، وأنه إن أحدث عليه ضررا لزمه إصلاحه دون صاحب العلو ، وأن لصاحب العلو منعه من الضرر ، لقوله عليه السلام : (فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) ، ولا يجوز الأخذ إلا على يد الظالم أو من هو ممنوع من إحداث ما لا يجوز له في السنة . وفيه دليل على استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد مضى في (الأنفال) وفيه دليل على جواز القرعة واستعمالها ، وقد مضى في (آل عمران) فتأمل كلا في موضعه تجده مبينا ، والحمد لله .

الغرف

قال تعالى في سورة الزمر:

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

ذكر ابن عاشور: الغرفة: البيت المعتلي يصعد إليه بدرج وهو أعزّ منزلاً
من البيت الأرضي .

السكن والبيوت

سُكْنَى بِيوتِ الْجِبَالِ

قال تعالى في سورة النحل:

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ
وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٢٦٨﴾

ذكر ابن كثير: الإلهام والهداية والإرشاد إلى النحل أن تتخذ من الجبال
بيوتاً تأوي إليها، ومن الشجر، ومما يعرشون .

ذكر ابن عاشور: اتخذ البيوت هو أول مراتب الصنع الدقيق الذي أودعه
الله في طبائع النحل فإنها تبني بيوتاً بنظام دقيق، ثم تقسم أجزائها

أقساماً متساوية بأشكال مسدّسة الأضلاع بحيث لا يتخلّل بينها فراغ تنساب منه الحشرات، لأن خصائص الأشكال المسدّسة إذا ضُم بعضها إلى بعض أن تتّصل فتصير كقطعة واحدة، وما عداها من الأشكال من المثلث إلى المعشّر إذا جمع كلّ واحد منها إلى أمثاله لم تتّصل وحصلت بينها فُرج، ثم تُغشي على سطوح المسدّسات بمادة الشمع، وهو مادة دهنية متميعة أقرب إلى الجمود، تتكوّن في كيس دقيق جداً تحت حلقة بطن النحلة العاملة فترفعه النحلة بأرجلها إلى فمها وتمضغه وتضع بعضه لصق بعض لبناء المسدّس المسمى بالشهد لتمنع تسرب العسل منها.

سكنى البيوت من الجلود

قال تعالى في سورة النحل:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ
الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ
أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾

ذكر السعدي: يُذكر تعالى عباده نعمه، ويستدعي منهم شكرها والاعتراف بها فقال: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا)، في الدور والقصور ونحوها تكنكم من الحر والبرد وتستركم أنتم وأولادكم

وأمتعتكم، وتتخذون فيها الغرف والبيوت التي هي لأنواع منافعكم ومصالحكم وفيها حفظ لأموالكم وحرملكم وغير ذلك من الفوائد المشاهدة، (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ)، إما من الجلد نفسه أو مما نبت عليه، من صوف وشعر ووبر، (بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا)، أي: خفيفة الحمل تكون لكم في السفر والمنازل التي لا قصد لكم في استيطانها، فتقيكم من الحر والبرد والمطر، وتقي متاعكم من المطر، وجعل لكم من أصواف الأنعام وأوبارها وأشعارها أثاثا، وهذا شامل لكل ما يُتخذ منها من الآنية والأوعية والفرش والألبسة والأجلة، وغير ذلك. تتمتعون بذلك في هذه الدنيا وتنتفعون بها، فهذا مما سخر الله العباد لصنعتة وعمله.

سكنى مساكن من سبق

قال تعالى في سورة إبراهيم:

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا

بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

ذكر القرطبي: سكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال أي في بلاد ثمود ونحوها فهلا اعتبرتم

بمساكنهم، بعدما تبين لكم ما فعلنا بهم، وبعد أن ضربنا لكم الأمثال في القرآن .

سكنى القرى والمدن

قال تعالى في سورة الأعراف :

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾

ذكر الطنطاوي: القرية هي البلدة المشتملة على مساكن، والمراد بها هنا بيت المقدس على الراجح وقيل المراد بها أريحاء .

قال تعالى في سورة الإسراء :

وَقُلْنَا مَنْ بَعْدِهِ لَبِئْسَ إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ

جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

ذكر القرطبي: يعني أرض مصر والشام .

سكنى الكهوف

قال تعالى في سورة الكهف :

إِذْ أَوْى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾

ذكر الطنطاوي: (أوى): يشعر بأنهم بمجرد عثورهم على الكهف. ألقوا
رحالهم فيه واستقروا به استقرار من عثر على ضالته، وآثروه على
مساكنهم المريحة، لأنه وارا هم عن أعين القوم الظالمين.

ذكر القرطبي: هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين
والقربات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقيه الإنسان من
الحنة... فسكنى الجبال ودخول الغيران، والعزلة عن الخلق والانفراد
بالخالق، وجواز الفرار من الظالم هي سنة الأنبياء صلوات الله عليهم
والأولياء.

سُكِنَى النُّزُلِ

قال تعالى في سورة السجدة:

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

ذكر الطنطاوي: النزول أصله ما يهياً للضيف النازل من الطعام والشراب
والصلة، ثم عمم في كل عطاء.

قال تعالى في سورة الكهف :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا



قال تعالى في سورة الكهف :

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا

جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا

سُكْنَى الْقُصُورِ الْمَرْفُوعَةِ

قال تعالى في سورة الفجر :

إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۗ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۗ

ذكر القرطبي : قيل : ذات العماد أي ذات الأبنية المرفوعة على العمد .
وكانوا ينصبون الأعمدة ، فيبنون عليها القصور . قال ابن زيد : ذات
العماد يعني إحكام البنيان بالعمد . وفي الصحاح : والعماد : الأبنية
الرفيعة .

ذكر ابن كثير : قال السدي : إن إرم بيت مملكة عاد .

سكنى القصور في السهول

قال تعالى في سورة الأعراف:

وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ



ذكر القرطبي: أي بوأكم في الأرض منازل. تتخذون من سهولها قصورا أي تبنون القصور بكل موضع. وتنحتون الجبال بيوتا أي اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم؛ فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم.

ذكر الطنطاوي: قيل إنهم كانوا يسكنون الجبال في الشتاء لما في البيوت المنحوتة من القوة التي لا تؤثر فيها الأمطار والعواصف، ولما فيها من الدفء. أما في غير الشتاء فكانوا يسكنون السهول لأجل الزراعة والعمل، ومن التعبير القرآني نلحح أثر النعمة والتمكين في الأرض لقوم صالح، وندرك طبيعة الموقع الذي كانوا يعيشون فيه، فهو سهل وجبل، يتخذون في السهل القصور، وينحتون في الجبال البيوت، فهم في حضارة عمرانية واضحة المعالم.

البيوت الخاوية

قال تعالى في سورة النمل:

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾

ذكر السعدي: قد تهدمت جدرانها على سقوفها وأوحشت من ساكنيها وعطلت من نازليها.

ذكر القرطبي: أي خالية عن أهلها خراباً ليس بها ساكن.

صفات البيوت الداخلية: لها أبواب وفيها أسرة

قال تعالى في سورة الزخرف:

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَّكِنُونَ ﴿٣٤﴾

ذكر الطنطاوي: لبيوتهم أبوابا جميلة، وسررا ثمينة، على السرر يتكئون وهم جالسون فوقها.

صفات البيوت الداخلية: تدخلها الشمس

قال تعالى في سورة الكهف:

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ
تَقَرَّبُ إِلَيْهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ
فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا

ذكر السعدي: حفظهم الله من الشمس فيسرّ لهم غاراً إذا طلعت الشمس
تميل عنه يمينا، وعند غروبها تميل عنه شمالا، فلا ينالهم حرّها فتفسد
أبدانهم بها، (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ)، أي: من الكهف مكان متسع، وذلك
ليطرقهم الهواء والنسيم.

ذكر ابن كثير: أرشدهم تعالى إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء،
والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم.

أخلاق البيوت وآدابها

قال تعالى في سورة الأحزاب:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى
طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرٍ مِنْ إِنَاءِهِ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ
مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا
 أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾

ذكر السعدي: يأمر تعالى عباده المؤمنين، بالتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في:

– دخول بيوته: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام، ولا تكونوا منتظرين ومتأنين لانتظار نضجه، أو سعة صدرٍ بعد الفراغ منه. والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين:

● الإذن لكم بالدخول، بأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، قبل الطعام وبعده.

● لأن انتظاركم الزائد على الحاجة، يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شؤون بيته، واشتغاله فيه فيستحيي منكم أن يقول لكم: اخرجوا، كما هي العادة، فأهل الكرم يستحيون أن يُخرجوا الناس من مساكنهم.

– في خطاب زوجاته: فإنه إما أن يحتاج إلى ذلك أو لا يحتاج إليه، فإن لم يحتج إليه، فلا حاجة إليه، والأدب تركه، وإن احتج إليه، كأن يسألن متاعاً، أو غيره من أواني البيت أو نحوها، فإنهن يُسألن وبينكم وبينهن ستر، يستر عن النظر، لعدم الحاجة إليه.

الاستئناس والاستئذان

قال تعالى في سورة النور:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

ذكر السعدي: يُرشد الباري عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم بغير استئذان، فإن في ذلك عدة مفسد: منها ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)، فبسبب الإخلال به، يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده.

ومنها: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية، يدل على الشر، ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم حتى يستأذنوا. وسمي الاستئذان استئناساً، لأن به يحصل الاستئناس، وبعده تحصل الوحشة، وصفة ذلك، ما جاء في الحديث: (السلام عليكم، أَدْخَلَ؟).

الأكل من البيوت

قال تعالى في سورة النور:

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ
أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا
فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ
طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

ذكر الطنطاوي: أن امرأة من الأنصار جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني
عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل عليّ، وإنه لا يزال يدخل
عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزل قوله
تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا).

الخانات والمساكن في الطرق

قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام، ليس فيها ساكن، فأنزل الله تعالى:

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ
لَكُمْ

والمراد بالبيوت في قوله تعالى: (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا)، أي البيوت المسكونة من أصحابها، بدليل قوله سبحانه بعد ذلك: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ).

وقوله تعالى: (تَسْتَأْنِسُوا)، من الاستئناس بمعنى الاستعلام والاستكشاف، فهو من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً، ومنه قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا)، أي: قال لأهله إنني رأيت ناراً.

البنائون

قال تعالى في سورة ص:

وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَغَوَاصِّ



ذكر الطبري: يستعملها فيما يشاء من أعماله من بناء وغواص، فالبناء منها يصنعون محاريب وتمائيل، والغاصة يستخرجون له الحلي من البحار، وآخرون ينحتون له جفاناً وقدوراً.

ذكر ابن عاشور: البناء: الذي يبني وهو اسم فاعل مصوغ على زنة المبالغة للدلالة على معنى الصناعة مثل نجار وقصّار وحدّاد. والغواص: الذي يغوص في البحر لاستخراج محار اللؤلؤ، وهو أيضاً مما صيغ على وزن المبالغة للدلالة على الصناعة.

وقد بلغت الصناعة في ملك سليمان مبلغاً من الإتقان والجودة والجلال، وناهيك ببناء هيكل أورشليم وهو الذي سُمي في الإسلام المسجد الأقصى وما جلب إليه من مواد إقامته من الممالك المجاورة له، وكذلك الصرح الذي أقامه وأدخلت عليه فيه مملكة سبأ.

البنيان

قال تعالى في سورة الصافات:

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ



ذكر البغوي: قال مقاتل: بنوا له حائطاً من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وملئوه من الحطب وأوقدوا فيه النار وطرحوه فيها.

ذكر الطبري: ذكر أنهم بنوا له بنياناً يشبه التنور، ثم نقلوا إليه الحطب، وأوقدوا عليه (فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ) والجحيم عند العرب: جمر النار بعضه على بعض، والنار على النار.

عمارة المساجد

قال تعالى في سورة التوبة:

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
 بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا
 يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
 الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ
 ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

ذكر الطنطاوي: المراد بعمارة المساجد، هنا: ما يشمل إقامة العبادة فيها، وإصلاح بنائها وخدمتها، ونظافتها، واحترامها، وصيانتها عن كل مالا يتناسب مع الغرض الذي بنيت من أجله.

ذكر البغوي: أوجب على المسلمين منعهم من ذلك؛ لأن المساجد إنما تُعمر لعبادة الله وحده، فمن كان كافراً بالله فليس من شأنه أن يعمرها. فذهب جماعة إلى أن المراد منه: العمارة المعروفة من بناء المساجد وممرمته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا تمتثل. وحمل بعضهم العمارة ها هنا على دخول المسجد والقعود فيه.

المحراب

قال تعالى في سورة مريم:

خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا



ذكر ابن عاشور: المحراب، بيت أو محتجر يُخصص للعبادة الخاصة.

ذكر الطبري: أن المحراب هو مقدم المسجد.

ذكر القرطبي: فخرج على قومه من المحراب أي أشرف عليهم من المصلى. والمحراب أرفع المواضع، وأشرف المجالس، وكانوا يتخذون المحاريب فيما

ارتفع من الأرض؛ دليله محراب داود عليه السلام. واختلف الناس في اشتقاقه؛ فقالت فرقة: هو مأخوذ من الحرب كأن ملازمه يحارب الشيطان والشهوات. وقالت فرقة: هو مأخوذ من الحرب (بفتح الراء) كأن ملازمه يلقي منه حربا وتعبا ونصبا.

وقال تعالى في سورة آل عمران:

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى
مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ

المرصاد

قال تعالى في سورة الفجر:

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ

ذكر ابن عاشور: المرصاد: المكان الذي يتربص فيه الرصد، أي الجماعة المراقبون شيئاً، وصيغة مفعول تأتي للمكان وللزمان كما تأتي للآلة، فمعنى الآلة هنا غير محتمل، فهو هنا إما للزمان أو المكان إذ الرصد الترقب.

وتعريف «المرصاد» تعريف الجنس وهو يفيد عموم المتعلق، أي بالمرصاد لكل فاعل، فهو تمثيل لعموم علم الله تعالى بما يكون من أعمال العباد

وحركاتهم، بحال اطلاع الرصد على تحركات العدو والمغيرين، وهذا المثل كناية عن مجازاة كل عامل بما عمله وما يعمله إذ لا يقصد الرصد إلا للجزاء على العدوان، وفي ما يفيد من التعليل إيماء إلى أن الله لم يظلمهم فيما أصابهم به .

ذكر الطنطاوي: المرصاد في الأصل: اسم للمكان الذي يجلس فيه الجالس لترقب أو رؤية شيء ما .

الجب

قال تعالى في سورة يوسف :

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ

بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾

ذكر البغوي: الجب: البئر غير المطوية لأنه جب، أي: قطع ولم يطو.

قال تعالى في سورة يوسف :

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ

لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

الآبار المعطلة والقصور المهجورة

قال تعالى في سورة الحج:

فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا

وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾

ذكر السعدي: أي: وكم من بئر، قد كان يزدحم عليه الخلق، لشربهم، وشرب مواشيهم، ففقد أهله، وعدم منه الوارد والصادر.

ذكر الطنطاوي: وكثير من القوي أهلكتها بسبب ظلمهم وكفرهم، فإذا ما نظرت إليها وجدتها خالية من أهلها، وقد سقطت سقوفها على جدرانها. وكثير من الآبار التي كانت تتفجر بالماء عطلناها وصارت مهجورة، وكثير أيضا من القصور المشيدة الفخمة أخليناها من أهلها.

ذكر ابن عاشور: المعطلة: التي عطل الانتفاع بها مع صلاحها للانتفاع، أي هي نابعة بالماء وحولها وسائل السقي ولكنها لا يستقى منها لأن أهلها هلكوا. وقد وجد المسلمون في مسيرهم إلى تبوك بغاراً في ديار ثمود ونهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الشرب منها إلا بئراً واحدة التي شربت منها ناقة صالح عليه السلام. والقصر: المسكن المبني بالحجارة المجمعول طباقاً. والمشيد: المبني بالشيد بكسر الشين وسكون الياء وهو

الحصّ: وإنما يبني به البناء من الحجر لأنّ الحصّ أشدّ من التراب فبشدة مسكه يطول بقاء الحجر الذي رُصّ به. والقصور المشيّدة: وهي الخلفة عن القرى التي أهلكتها الله كثيرة، مثل: قصر عُمدان في اليمن، وقصور ثمود في الحجر، وقصور الفراعنة في صعيد مصر.

السجن

قال تعالى في سورة يوسف:

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

ذكر ابن عاشور: السجن أي الحبس، وكان الحبس عقاباً قديماً في ذلك العصر، واستمر إلى زمن موسى عليه السلام.

ذكر ابن عاشور: السجن بفتح السين: قياس مصدر سجّنه، بمعنى الحبس في مكان محيط لا يخرج منه. ولم أره في كلامهم بفتح السين إلا في قراءة يعقوب هذه الآية. والسجن بكسر السين: اسم للبيت الذي يسجن فيه، كأنهم سموه بصيغة المفعول كالذبح وأرادوا المسجون فيه.

الملاجئ والأنفاق

قال تعالى في سورة التوبة:

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ



ذكر الطنطاوي: الملجأ: اسم للمكان الذي يلجأ إليه الخائف ليحتمي به سواء أكان حصناً أو قلعة أو غيرهما. والمغارات: جمع مغارة وهي المكان المنخفض في الأرض أو في الجبل. والمدخل بتشديد الدال اسم للموضع الذي يدخلون فيه، بصعوبة ومشقة لضيقه، كالنفق في الأرض. والمعنى: أن هؤلاء المنافقين لو يجدون حصناً يلتجئون إليه أو مغارات يستخفون فيها. أو سرداباً في الأرض ينجحرون فيه، لأقبلوا نحوه مسرعين أشد الإسراع دون أن يردهم شيء.

زخرفة البيوت

قال تعالى في سورة الإسراء:

أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُقِيِّكَ
حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا



ذكر القرطبي: أو يكون لك بيت من زخرف أي من ذهب. وأصله الزينة، والمزخرف المزين.

التزيين

قال تعالى في سورة ق :

أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ
كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾

ذكر السعدي: لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة وشد رحل، بل هو في غاية السهولة، فينظرون قبة مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، مزينة بالنجوم الخنّس، والجوار الكنّس، التي ضربت من الأفق إلى الأفق في غاية الحسن والملاحة، لا ترى فيها عيباً، ولا فروجاً، ولا خلالاً، ولا إخلالاً. وقد جعلها الله سقفاً لأهل الأرض، وأودع فيها من مصالحهم الضرورية ما أودع.

ذكر ابن عاشور: التزيين جعل الشيء زيناً، أي حسناً أي تحسين منظرها للرائي بما يبدو فيها من الشمس نهاراً والقمر والنجوم ليلاً. واقتصر على آية تزيين السماء دون تفصيل ما في الكواكب المزينة بها من الآيات لأن التزيين يشترك في إدراكه جميع الذين يشاهدونه وللجمع بين الاستدلال والامتنان بنعمة التمكين من مشاهدة المرئي الحسنة كما قال تعالى. ثم يتفاوت الناس في إدراك ما في خلق الكواكب والشمس والقمر ونظامها

من دلائل على مقدار تفاوت علومهم وعقولهم . والآية صالحة لإفهام جميع الطبقات .

القوس

قال تعالى في سورة النجم :

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ

ذكر الطنطاوي : القوس : آلة معروفة عند العرب ، يُشد بها وتر من جلد ، وتستعمل في الرمي بالسهم .
وكان من عادة العرب في الجاهلية ، أنهم إذا تحالفوا ، يُخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى ، فيكون قاب إحداهما ملاصقاً للآخر ، حتى لكأنهما قاب واحد ، ثم ينزعونهما معاً ويرمون بهما سهماً واحداً ، فيكون ذلك دليلاً على التحالف التام والرضا الكامل .

النحت

قال تعالى في سورة الصافات :

قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ

ذكر السعدي: أي: تنحتونه بأيديكم وتصنعونه؟ فكيف تعبدونهم، وأنتم الذين صنعتموهم، وتتركون الإخلاص لله؟

ذكر القرطبي: قال محتجاً: أتعبدون ما تنحتون، أي: أتعبدون أصناماً أنتم تنحتونها بأيديكم تنجرونها. والنحت النجر والبري، نحته ينحته بالكسر نحتاً، أي: براه. والنحاة البراية، والمنحت ما ينحت به.

ذكر ابن عاشور: النحت: بري العود ليصير في شكل يُراد، فإن كانت الأصنام من الخشب فإطلاق النحت حقيقة، وإن كانت من حجارة كما قيل، فإطلاق النحت على نقشها وتصويرها مجاز.

الدهان

قال تعالى في سورة الرحمن:

فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ

ذكر الطنطاوي: الوردة جمعها ورود، وهي زهرة حمراء معروفة ذات أغصان شائكة. والدهان: ما يدهن به الشيء. أي: فإذا انشقت السماء، فصارت حين انشاقها وتصدعها، كالوردة الحمراء في لونها، وكالدهان الذي يدهن به الشيء في ذوبانها وسيلانها، رأيت ما يفرغ القلوب، ويزلزل النفوس من شدة الهول.

ذكر البغوي: قال عطاء بن أبي رباح: "كالدهان" كعصير الزيت يتلون في الساعة ألوأنا.

المغتسل

قال تعالى في سورة ص:

ارْ كُضِّ بِرِ جِلِّكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٣﴾

ذكر القرطبي: المغتسل الماء الذي يغتسل به، قال القتيبي: وقيل: إنه الموضع الذي يُغتسل فيه، قال مقاتل. الجوهري: واغتسلت بالماء، والغسول: الماء الذي يغتسل به، وكذلك المغتسل، والمغسل والمغسل بكسر السين وفتحها مغسل الموتى والجمع المغاسل.

ذكر الطبري: (مُغْتَسَلٌ): ما يُغْتَسَلُ به من الماء، يُقال منه: هذا (مُغْتَسَلٌ)، وغسول للذي يَغْتَسَلُ به من الماء. وقوله: (وَشَرَابٌ)، يعني: ويشرب منه، والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلاً.

العرش

قال تعالى في سورة النمل:

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ



ذكر ابن كثير: كان قد ذكر له عرشها فأعجبه، وكان من ذهب، وقوائمه لؤلؤ وجوهر، وكان مستتراً بالديباج والحريز، وكانت عليه تسعة مغاليق.

الصرح الممرد

قال تعالى في سورة النمل:

قِيلَ لَهَا ادْخِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ

مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ذكر القرطبي: كان الصرح صحناً من زجاج تحته ماء وفيه الحيتان، عمله ليربها ملكاً أعظم من ملكها؛ قاله مجاهد. وقال قتادة: كان من قوارير خلفه ماء حسبته لجة أي ماء. وقيل: الصرح: القصر. وحكى أبو عبيدة في الغريب المصنف أن الصرح كل بناء عال مرتفع من الأرض، وأن الممرد الطويل.

والصرح الممرد من قوارير والممرد المحكوك المملس.

بناء الصرح

قال تعالى في سورة غافر:

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرٌّ حَالَعِي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾

ذكر ابن عاشور: الصرح هو القصر المرتفع.

قال تعالى في سورة القصص:

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرٌّ حَالَعِي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ

مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾

ذكر الطنطاوي: الصرح: البناء الشاهق المرتفع. أي: فاصنع لي يا هامان من الطين آجراً قوياً، ثم هيء لي منه بناءً عالياً مكشوفاً. أصدع عليه، لعلني أرى إله موسى من فوقه. والمراد بالظن في قوله: (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ): اليقين.

ذكر البغوي: لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح، جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون ألف بناءً سوى الأتباع والأجراء، ومن يطبخ الآجر والجص وينجر الخشب ويضرب المسامير، فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق.

ذكر ابن كثير: بنى فرعون هذا الصرح الذي لم ير في الدنيا بناء أعلى منه، إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون؛ لهذا قال: (وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)، أي: في قوله إن ثم رباً غيري، لا أنه كذبه في أن الله أرسله؛ لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع.

ذكر ابن عاشور: أن يأمر هامان عماله أن يطبخوا الطين ليكون آجراً ويبنوا به، فكني عن البناء بمقدماته وهي إيقاد الأفران لتجفيف الطين المتخذ آجراً. والآجر كانوا يبنون به بيوتهم فكانوا يجعلون قوالب من طين يتصلب إذا طبخ وكانوا يخلطونه بالتبن ليماسك قبل إدخاله التنور.

وابتدأ بأمره بأول أشغال البناء للدلالة على العناية بالشروع من أول أوقات الأمر لأن ابتداء البناء يتأخر إلى ما بعد إحضار مواده فلذلك أمره بالأخذ في إحضار تلك المواد التي أولها الإيقاد، أي إشعال التنانير لطبخ الآجر.

وعبر عن الآجر بالطين لأنه قوام صنع الآجر وهو طين معروف. وكأنه لم يأمره ببناء من حجر وكلس قصداً للتعجيل بإقامة هذا الصرح المرتفع إذ ليس مطلوباً طول بقاءه بإحكام بنائه على مر العصور بل المراد سرعة الوصول إلى ارتفاعه كي يشهده الناس، ويحصل اليأس ثم ينقض من الأساس.

وعدل عن التعبير بالآجر، قال ابن الأثير في «المثل السائر»: لأن كلمة الآجر ونحوها كالقرمد والطوب كلمات مبتذلة فذكر بلفظ الطين. وأظهر من كلام ابن الأثير: أن العدول إلى الطين لأنه أخف وأفصح. وإسناد الإيقاد على الطين إلى هامان مجاز عقلي باعتبار أنه الذي يأمر بذلك كما يقولون: بنى السلطان قنطرة وبنى المنصور بغداد.

تدمير البنى التحتية

تدمير الصناعة

قال تعالى في سورة الأعراف:

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا
الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ^ط وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا
صَبَرُوا ^ط أَوْ دَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ



ذكر الطبري: وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع، وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور، وأخرجناهم من ذلك كله، وخرّبنا جميع ذلك.

ذكر ابن عاشور: التدمير: التخريب الشديد وهو مصدر دمر الشيء إذا جعله دامراً للتعديّة متصرف من الدمار بفتح الدال وهو مصدر قاصر... والظاهر أن إطلاق التدمير على إهلاك المصنوع مجازي علاقته بالإطلاق لأن الظاهر أن التدمير حقيقة إهلاك الإنسان.

وما كان يصنع فرعون: ما شاده من المصانع، وإسناد الصنع إليه مجاز عقلي لأنه الأمر بالصنع، وأما إسناده إلى قوم فرعون فهو على الحقيقة العقلية بالنسبة إلى القوم لا بالنسبة إلى كل فرد على وجه التغليب.

ويعرشون: ينشعون من الجنات ذات العرايش. والعريش: ما يُرفع من دوالي الكروم، ويطلق أيضاً على النخلات العديدة تربي في أصل واحد، ولعل جنات القبط كانت كذلك كما تشهد به بعض الصور المرسومة على هياكلهم نقشاً ودهناً... ودمر جناتهم بما ظلموا بالإهمال، أو بالزلزال، أو على أيديهم جيوش أعدائهم الذين ملكوا مصر بعدهم، ويجوز أن يكون يعرشون: بمعنى يرفعون أي يشيدون من البناء مثل مباني الأهرام والهياكل وهو المناسب لفعل دمرنا، شبه البناء المرفوع بالعرش. ويجوز أن يكون يعرشون استعارة لقوة الملك والدولة ويكون دمرنا ترشيحاً للاستعارة.

الدك والكسر والتحطيم

قال تعالى في سورة الفجر:

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا

ذكر الطنطاوي: الدك: بمعنى الكسر والدق والزلزلة الشديدة، والتحطيم الجسيم، وقيل: تكرار (دكا) للدلالة على الاستيعاب، كقولك: قرأت النحو بابا بابا، أي: قرأته كله. وقوله: (دَكًّا دَكًّا)، أي: مرة بعد مرة، زلزلت فكسر بعضها بعضا فتكسر كل شيء على ظهرها.

ذكر القرطبي: (دَكًّا دَكًّا)، أي مرة بعد مرة زلزلت فكسر بعضها بعضا فتكسر كل شيء على ظهرها. وقيل: دكت جبالها وأنشازها حتى استوت. وقيل: دكت أي استوت في الانفراش فذهب دورها وقصورها وجبالها وسائر أبنيتها.

الحصيد

قال تعالى في سورة هود:

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ

ذكر السعدي: قائم لم يتلف، بل بقي من آثار ديارهم، ما يدل عليهم، ومنها حصيد قد تهدمت مساكنهم، واضمحت منازلهم، فلم يبق لها أثر.

هدم الأبنية

قال تعالى في سورة النحل:

قَدَّمَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ
السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

ذكر الطنطاوي: أن أتى الله بنيانهم من القواعد، بأن اجتث هذا البنيان من أصله واقتلعه من أساسه (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) أي: فسقط عليهم سقف بنيانهم فأهلكهم (وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ) المبير المدمر (مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) ولا يحتسبون بأنه سيأتيهم من هذه الجهة، بل كانوا يتوقعون أن ما شيدوه سيحميهم من المهالك.

وهكذا يتم هدم الأبنية الضخمة بتفجير قواعدها فتسقط وتتهوى دون الحاجة لتدميرها حجراً حجراً.

تخطيط وتنظيم المدن وهندستها

تنظيم المدن على مستوى البلاد

قال تعالى في سورة سبأ:

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا
السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ

ذكر الطنطاوي: وجعلنا بقدرتنا ورحمتنا بين أهل سبأ (وبين القرى التي باركنا فيها) كمكة في الجزيرة العربية، وكبيت المقدس في بلاد الشام، جعلنا بينهم وبين تلك القرى المباركة، (قرى ظاهرة)، أي: قرى متقاربة متواصلة، بحيث يرى من في إحداها غيرها. (وقدّرنا فيها السير)، أي: وجعلنا زمن السير من قرية إلى أخرى مقدراً محدداً، بحيث لا يتجاوز مدة معينة قد تكون نصف يوم أو أقل. وقالوا: كان المسافر يخرج من قرية، فيدخل الأخرى قبل حلول الظلام بها. وقوله: (سيروا فيها ليالي وأياماً آمينين)، أي: قلنا لهم: سيروا في تلك القرى المتقاربة العامرة بالخيرات، والتي توصلكم إلى القرى المباركة. سيروا فيها ليالي وأياماً آمينين من كل شر سواء سرتم بالليل أم بالنهار، فإن الأمن فيها مستتب في كل الأوقات: وفي كل الأحوال.

ذكر ابن عاشور: القرى التي بوركت قرى بلاد الشام، فكانوا إذا خرجوا من مأرب إلى البلاد الشامية قوافل للتجارة وبيع الطعام سلكوا طريق تهامة ثم الحجاز ثم مشارف الشام ثم بلاد الشام، فكانوا كلما ساروا مرحلة وجدوا قرية أو بلداً أو داراً للاستراحة واستراحوا وتزودوا. فكانوا من أجل ذلك لا يحملون معهم أزواداً إذا خرجوا من مأرب.

وهذه القرى الظاهرة يحتمل أنها تكونت من عمل الناس القاطنين حفاقي الطريق السابلة بين مأرب وجلق قصد استجلاب الانتفاع بنزول القوافل بينهم وابتياح الأزواد منهم وإيصال ما تحتاجه تلك القرى من السلع والثمار وهذه طبيعة العمران.

ويحتمل أن سبأ أقاموا مباني يأوون إليها عند كل مرحلة من مراحل أسفارهم واستنبطوا فيها الآبار والمصانع وأوكلوا بها من يحفظها ويكون لائذاً بهم عند نزولهم. فيكون ذلك من جملة ما وطد لهم ملوكهم من أسباب الحضارة والأمن على القوافل، وقد تكون إقامة هاته المنازل مجلبة لمن يقطنون حولها ممن يرغب في المعاملة مع القافلة عند مرورها.

وعلى الاحتمالين فإسناد جعل تلك القرى إلى الله تعالى لأنه الملهم الناس والملوك أو لأنه الذي خلق لهم تربة طيبة تتوفر محاصيلها على حاجة السكان فتسمح لهم بتطلب ترويجها في بلاد أخرى.

ووصف، (ظَاهِرَةً)، أنها متقاربة بحيث يظهر بعضها لبعض ويتراءى بعضها من بعض. وقيل: (ظَاهِرَةً) التي تظهر للسائر من بُعد، بأن كانت القرى مبنية على الآكام والظراب يشاهدها المسافر فلا يضل طريقها. وقال ابن عطية: الذي يظهر لي أن معنى: (ظَاهِرَةً): أنها خارجة عن المدن فهي في ظواهر المدن ومنه قولهم: نزلنا بظاهر المدينة الفلانية، أي خارجاً عنها. فقوله: (ظَاهِرَةً)، كتسمية الناس إياها بالبادية وبالضاحية.

تزيين المدن

قال تعالى في سورة الصافات:

إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرِيَّةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾

ذكر الطنطاوي: المعنى: إنا بقدرتنا وفضلنا، زينا السماء الدنيا التي ترونها بأعينكم – أيها الناس – بالكواكب، فجعلناها مضيئة بحيث تهتدون بها في سيركم من مكان إلى مكان.

زينة بالمصابيح

قال تعالى في سورة فصلت:

فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا
السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

ذكر الطنطاوي: المصابيح: جمع مصباح وهو السراج المضيء. والمراد بها النجوم. وسميت بالمصابيح على التشبيه بها في حسن المنظر، وفي الإضاءة ليلاً.

تنظيم الجنات

قال تعالى في سورة سبأ:

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ
رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾

ذكر السعدي: ومنها: أن الله جعل بلدهم، بلدة طيبة، لحسن هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق الرغد فيها.

ذكر الطنطاوي: وقلنا لهم على السنة رسلنا، وعلى السنة الصالحين منهم، كلوا من الأرزاق الكريمة، والثمار الطيبة، التي أنعم بها ربكم عليكم، واشكروا له سبحانه، هذا العطاء، فإنكم إذا شكرتموه زادكم من فضله وإحسانه.

الطرق الواسعة

قال تعالى في سورة نوح:

لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

ذكر البغوي: طرقاً واسعة.

شق الأرض والسبل

قال تعالى في سورة طه:

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَوَسَّلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾

ذكر السعدي: (وَوَسَّلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا) أي: نفذ لكم الطرق الموصلة، من أرض إلى أرض، ومن قطر إلى قطر، حتى كان الآدميون يتمكنون من الوصول إلى جميع الأرض بأسهل ما يكون، وينتفعون بأسفارهم، أكثر مما ينتفعون بإقامتهم. (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى) أي: أنزل المطر (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) وأنبت بذلك جميع أصناف النوابت على اختلاف أنواعها، وتشتت أشكالها، وتباين

أحوالها، فساقه، وقدره، ويسره، رزقاً لنا ولأنعامنا، ولولا ذلك لهلك من عليها من آدمي وحيوان .

بنيان مرصوص

قال تعالى في سورة الصف :

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾

ذكر الطنطاوي: الصف يطلق على الأشياء التي تكون منتظمة في مظهرها، متناسقة في أماكنها، والمرصوص: هو المتلاصق الذي انضم بعضه إلى بعض. يقال: رصت البناء، إذا ألزقت بعضه ببعض حتى صار كالقطعة الواحدة.

الينابيع وصناعة السدود

سد ذي القرنين

قال تعالى في سورة الكهف :

آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

ذكر السعدي: (آتُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ) أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك. (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) أي: الجبلين اللذين بُني بينهما السد (قَالَ أَنْفُخُوا) النار، أي: أوقدوها إيقاداً عظيماً، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد (قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) أي: نحاساً مذاباً، فأفرغ عليه القطر، فاستحکم السد استحكاماً هائلاً، وامتنع من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

إنشاء السدود

قال تعالى في سورة الكهف:

قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾

ذكر السعدي: (إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك. (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا) أي جُعلا (عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا)، ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبدلوا له أجرة، ليفعل ذلك، وذكروا له

السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركًا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره.

الصناعة البحرية والنهرية

السفن والفلك

السفن الضخمة

قال تعالى في سورة الشورى:

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾

ذكر السعدي: ومن أدلة رحمته وعنايته بعباده، (الجوار في البحر)، من السفن، والمراكب النارية والشراعية، التي من عظيمها، (كالأعلام)، وهي الجبال الكبار، التي سخر لها البحر العجاج، وحفظها من التطام الأمواج، وجعلها تحملكم وتحمل أمتعتكم الكثيرة إلى البلدان والأقطار البعيدة، وسخر لها من الأسباب ما كان معونة على ذلك.

النجوم أدوات تحديد الأوقات والاتجاهات براً وبحراً

قال تعالى في سورة الأنعام:

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾

ذكر السعدي: حين تشتبه عليكم المسالك، ويتحير في سيره السالك، فجعل الله النجوم هداية للخلق إلى السبل، التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم، وتجاراتهم، وأسفارهم. منها: نجوم لا تزال تُرى، ولا تسير عن محلها، ومنها: ما هو مستمر السير، يعرف سيره أهل المعرفة بذلك، ويعرفون به الجهات والأوقات. ودلت هذه الآية ونحوها، على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالها الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك.

بقاء السفينة كآية للناس

قال تعالى في سورة العنكبوت:

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

ذكر الطبري: عن قتادة، قوله: أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي... وجعلنا السفينة التي أنجيناها وأصحابه فيها عبرة وعظة للعالمين، وحجة عليهم.

الساحل

قال تعالى في سورة طه :

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ
لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْأَقْبِيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾

ذكر الطنطاوي: يلقي اليم بالتابوت على شاطئ البحر وساحله .

غليان الماء

قال تعالى في سورة هود :

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ آثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ



ذكر الطنطاوي: كلمة فار من الفور والفوران، وهو شدة الغليان للماء وغيره .

مجرى السفن ومرساها

قال تعالى في سورة هود :

وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ



ذكر الطبري: وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا)، بفتح الميم من مجراها، وضمها من مرساها، فجعلوا مجراها مصدرًا من جرر يجري مَجْرَى، ومرساها من أرسى يُرْسِي إرساء. ذكر ابن عاشور: أجرى السفينة إذا جعلها جارية، أي سيرها بسرعة، وأرساها إذا جعلها راسية، أي واقفة على الشاطئ. يقال: رما إذا ثبت في المكان.

الرسو والهبوط بالسفن

قال تعالى في سورة هود:

قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ

وَأُمَّمُ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ

ذكر الطنطاوي: يا نوح اهبط من السفينة مصحوباً منا بالأمان مما تكره، وبالخيرات النامية والنعم الثابتة عليك، وعلى أمة متشعبة ومتفرعة وناشئة من الأمم المؤمنة التي ستهبط معك، بعد أن أنجاكم الله تعالى.

ذكر القرطبي: اهبط من السفينة إلى الأرض، أو من الجبل إلى الأرض؛
فقد أبتلعت الماء وجفت. بسلام منا، أي بسلامة وأمن. وقيل: بتحيةة.

السفر بالبحر باستخدام السفن

قال تعالى في سورة المؤمنون:

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلِّ تُحْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

ذكر السعدي: جعلها سفناً لكم في البر، تحملون عليها أثقالكم إلى بلد
لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، كما جعل لكم السفن في البحر
تحملكم، وتحمل متاعكم، قليلاً كان أو كثيراً.

حمل الناس في السفر تكريماً لهم

قال تعالى في سورة الإسراء:

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾

ذكر البغوي: حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن.

ذكر ابن عاشور: جمعت الآية خمس من:

— التكريم،

- وتسخير المراكب في البر،
- وتسخير المراكب في البحر،
- والرزق من الطيبات،
- والتفضيل على كثير من المخلوقات .

العمل في البحر

الغصب وإفساد السفن

قال تعالى في سورة الكهف :

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا

ذكر الطنطاوي: أردت أن أجعلها ذات عيب بالخرق الذي خرقتها فيه، ولم أرد أن أغرق أهلها كما ظننت يا موسى، والسبب في ذلك: أنه (كان وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ)، ظالم، من دأبه أن يتعقب السفن الصالحة الصحيحة، ويستولي عليها، ويأخذها اغتصاباً وقسراً من أصحابها. فهذا العيب الذي أحدثته في السفينة. كان سبباً في نجاتها من يد الملك الظالم، وكان سبباً في بقائها في أيدي أصحابها المساكين. فالضرر الكبير

الذي أحدثته بها، كان دفعا لضرر أكبر كان ينتظر أصحابها المساكين لو بقيت سليمة.

الصيد البري والبحري

قال تعالى في سورة النحل:

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَآكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُ جُؤَامِنَهُ
حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

ذكر البغوي: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَآكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) يعني: السمك، (وَتَسْتَخْرِجُ جُؤَامِنَهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا) يعني: اللؤلؤ والمرجان، (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ) جواري.

قال قتادة: مقبلة ومدبرة، وهو أنك ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر، تجريان بريح واحدة. وقال الحسن: (مواخر) أي: مملوءة. وقال الفراء والأخفش: شواق تشق الماء بجناحيها. قال مجاهد: تمخر السفن الرياح. وأصل المخر: الرفع والشق. وقال أبو عبيدة: المخر: صوت هبوب الريح عند شدتها. (وَكَلِمَاتٌ مِنْ فَضْلِهِ) يعني: التجارة، (وَكَلِمَاتٌ تَشْكُرُونَ) إذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم.

صيد البحر وطعامه

قال تعالى في سورة المائدة:

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴿٩٦﴾

ذكر السعدي: لما كان الصيد يشمل الصيد البري والبحري، استثنى تعالى الصيد البحري فقال: (أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ)، أي: أحل لكم في حال إحرامكم صيد البحر، وهو الحي من حيواناته، وطعامه، وهو الميت منها، فدل ذلك على حل ميتة البحر.

الغوص

قال تعالى في سورة ص:

وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾

ذكر الطنطاوي: أي: سخرنا له الشياطين، بأن جعلناهم منقادين لطاعته، فمنهم من يقوم ببناء المباني العظيمة التي يطلبها سليمان منهم. ومنهم الغواصون الذين يغوصون في البحار ليستخرجوا له منها اللؤلؤ والمرجان، وغير ذلك من الكنوز التي اشتملت عليها البحار. ذكر القرطبي: غواص، يعني في البحر يستخرجون له الدرّ. فسليمان أول من أستخرج له اللؤلؤ من البحر.

استخراج الحلبي

قال تعالى في سورة فاطر:

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ
وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى
الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾

ذكر الطنطاوي: وقوله تعالى: (وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)، الحلبة

بكسر الحاء: اسم لما يتحلى به الناس، ويتزينون بلبسه، وجمع حلبة:

حلى وحلى بكسر الحاء وضمها يقال: تحلت المرأة إذا لبست الحلبي.

أى: ومن النعم التي تصل إليكم عن طريق البحرين، استخراجكم منهما

ما ينفعكم، وما تتحلى به نساءكم، كاللؤلؤ والمرجان وغيرهما.

والتعبير بقوله: (وَتَسْتَخْرِجُونَ) يشير إلى كثرة الإخراج. فالسين والتاء

للتأكيد. كما يشير بأن من الواجب على المسلمين، أن يباشروا بأنفسهم

استخراج ما في البحرين من كنوز نافعة، وأن لا يتركوا ذلك لأعدائهم.

وأسند سبحانه لباس الحلبة إلى ضمير جمع الذكور، فقال (تَلْبَسُونَهَا)

على سبيل التغليب، وإلا فإن هذه الحلبة يلبسها النساء في الأعم الأغلب

من الأحوال. قال الألوسي ما ملخصه: وقوله: (تَلْبَسُونَهَا)، أي: تلبسها

نساءؤكم وأسند الفعل إلى ضمير الرجال، لاختلاطهم بهن، وكونهم متبوعين، أو لأنهم سبب لتزيينهن، فإن النساء يتزين في الغالب ليحسن في أعين الرجال.

ذكر القرطبي: في قول: (تَلْبَسُونَهَا)، دليل على أن لباس كل شيء بحسبه، فالخاتم يجعل في الإصبع، والسوار في الذراع، والقلادة في العنق، والخلخال في الرجل. وفي البخاري والنسائي عن ابن سيرين قال قلت لعبيدة: افتراش الحرير كلبسه؟ قال: نعم، وفي الصحاح عن أنس فقلت على حصير لنا قد اسود من طول ما لبس.

السفن والأنعام للركوب

قال تعالى في سورة الزخرف:

وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا

تَرَكُّبُونَ

ذكر الطنطاوي: قوله: (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَكُّبُونَ)، أي: وسخر لكم بقدرته ورحمته من السفن التي تستعملونها في البحر، ومن الإبل التي تستعملونها في البر، ما تركبونه وتحملون عليه أثقالكم، وتنتقلون بواسطته من مكان إلى آخر.

ذكر ابن عاشور: هذا الانتقال من الاستدلال والامتنان بخلق وسائل الحياة إلى الاستدلال بخلق وسائل الاكتساب لصالح المعاش، وذكر منها وسائل الإنتاج وأتبعها بوسائل الاكتساب بالأسفار للتجارة.

تسخير المراكب في البر والبحر

قال تعالى في سورة الزخرف:

لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ
وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾

ذكر البغوي: بتسخير المراكب في البر والبحر، وتقولوا سبحان الذي ذل لنا هذا، (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) مطيقين، وقيل: ضابطين.

ذكر ابن عاشور: التسخير: التذليل والتطويع. وتسخير الله الدواب هو خلقه إياها قابلة للترويض فاهمة لمراد الرّاكب، وتسخير الفلك حاصل بمجموع خلق البحر صالحاً لسبح السفن على مائه، وخلق الرياح تهبّ فتدفع السفن على الماء، وخلق حيلة الإنسان لصنع الفلك، ورصد مهابّ الرياح، ووضع القلوع والمجاذيف، ولولا ذلك لكانت قوة الإنسان دون أن تبلغ استخدام هذه الأشياء القوية. ولهذا عقب بقوله: (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)، أي مطيقين، أي بمجرد القوة الجسدية، أي لولا التسخير

المذكور، فجملة: (وما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)، في موضع الحال من ضمير (لنا) أي سخرها لنا في حال ضعفنا بأن كان تسخيره قائماً مقام القوة.

صناعة الطعام والشراب

كل من يأكل ويشرب فهو مخلوق

قال تعالى في سورة المؤمنون:

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الآخِرَةِ وَأَتَرَفْنَاهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ

وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ

ذكر الطنطاوي: ثم أضافوا إلى هذا القول الباطل ما يؤكده في نفوس الناس فقالوا: (يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ)، من طعام، وغذاء، (وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) من ماء وما يشبه الماء. ثم أضافوا إلى ذلك قولهم: (وَلَعِنَ أَطْعَمْتُمْ) أيها الناس (بَشَرًا مِثْلَكُمْ) في المأكل والمشرب والملبس والعادات. (أَنْكُمْ) إذا بسبب هذه الطاعة (لِحَاسِرُونَ) خسارة ليس بعدها خسارة.

بشرية الرسل والأنبياء لأنهم يأكلون ويشربون

قال تعالى في سورة الأنبياء:

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾

ذكر الطنطاوي: وما جعلنا الرسل السابقين عليك يا محمد أجساداً لا تأكل ولا تشرب كالملائكة، وإنما جعلناهم مثلك يأكلون ويشربون ويتزوجون ويتناسلون ويعتريهم ما يعتري البشر من سرور وحزن، ويقظة ونوم وغير ذلك مما يحسه البشر. وما جعلناهم أيضاً خالدين في هذه الحياة بدون موت، وإنما جعلنا لأعمارهم أجلاً محدداً تنتهي حياتهم عنده بدون تأخير أو تقديم.

ذكر القرطبي: قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) الضمير في جعلناهم للأنبياء؛ أي لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب وما كانوا خالدين، يريد لا يموتون.

سوء عاقبة من اقتصر على إشباع ملذاته

قال تعالى في سورة الحجر:

ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

ذكر الطنطاوي: المعنى: اترك أيها الرسول الكريم هؤلاء الكافرين، وخليهم وشأنهم، ليأكلوا كما تأكل الأنعام، وليتمتعوا بديناهم كما يشاءون، وليشغلهم أملهم الكاذب عن اتباعك، فسوف يعلمون سوء عاقبة

صنيعهم في العاجل أو الآجل... وفي تقديم الأكل على غيره، إيدان بأن تمتعهم إنما هو من قبيل تمتع البهائم بالمأكل والمشارب. قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)، كما أن فيه تعبيراً لهم بما تعارفوا عليه من أن الاقتصار في الحياة على إشباع اللذات الجسدية، دون التفات إلى غيرها من مكارم الأخلاق، يدل على سقوط الهمة، وبلادة الطبع.

دليل الأكل وآدابه

قال تعالى في سورة النور:

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

ذكر الطنطاوي: ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها ما روى عن ابن عباس أنه قال: لما أنزل الله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)، تخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والعمى والعرج، وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهانا الله عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يتمكن من الجلوس، ولا يستطيع المزاحمة، والمريض يضعف عن تناول ولا يستوفى من الطعام حقه، فأنزل الله هذه الآية. وقيل نزلت ترخيصاً لهؤلاء في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية، وذلك أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام، فإذا لم يكن عنده شيء ذهب بهم إلى بيت أبيه، أو بيت أمه، أو بعض من سمى الله في هذه الآية، فكان أهل الزمانة يتخرجون من ذلك، ويقولون ذهب بنا إلى غير بيته، فأنزل الله هذه الآية.

ذكر السعدي: يُخبر تعالى عن منته على عباده، وأنه لم يجعل عليهم في الدين من حرج بل يسره غاية التيسير، فقال: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمُرِيضِ حَرْجٌ)، أي: ليس على هؤلاء جناح، في ترك الأمور الواجبة، التي تتوقف على واحد منها، وذلك كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر الأعمى، أو سلامة الأعرج، أو صحة

للمريض، ولهذا المعنى العام الذي ذكرناه، أطلق الكلام في ذلك، ولم يقيد، كما قيد قوله: (وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ)، أي: حرج، (أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ)، أي: بيوت أولادكم، وهذا موافق للحديث الثابت: (أنت ومالك لأبيك)، والحديث الآخر: (إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم)، وليس المراد من قوله: (مِنْ بُيُوتِكُمْ)؛ بيت الإنسان نفسه، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، الذي يُنزّه عنه كلام الله، ولأنه نفى الحرج عما يُظن أو يُتوهم فيه الإثم من هؤلاء المذكورين، وأما بيت الإنسان نفسه فليس فيه أدنى توهم. (أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ)، وهؤلاء معروفون.

البيوت التي تتصرفون فيها بوكالة

أَوْ مَمَالِكِكُمْ مَفَاتِحَهُ

أي: البيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالة، أو ولاية ونحو ذلك، وأما تفسيرها بالمملوك، فليس بوجيه، لوجهين:

أحدهما: أن المملوك لا يقال فيه (ملكته مفتحة) بل يُقال: (ما ملكتموه)، أو (ما ملكت أيمانكم) لأنهم مالكون له جملة، لا لمفاته فقط .

الثاني: أن بيوت الممالك، غير خارجة عن بيت الإنسان نفسه، لأن المملوك وما ملكه لسيدة، فلا وجه لنفي الحرج عنه .

أَوْ صَدِيقِكُمْ

وهذا الحرج المنفي عن الأكل من هذه البيوت كل ذلك، إذا كان بدون إذن، والحكمة فيه معلومة من السياق، فإن هؤلاء المسمين قد جرت العادة والعرف، بالمسامحة في الأكل منها، لأجل القرابة القريبة، أو التصرف التام، أو الصداقة، فلو قدر في أحد من هؤلاء عدم المسامحة والشح في الأكل المذكور، لم يجوز الأكل، ولم يرتفع الحرج، نظرا للحكمة والمعنى .

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا وَأَوْ أَشْتَاتًا

كل ذلك جائز، أكل أهل البيت الواحد جميعا، أو أكل كل واحد منهم وحده، وهذا نفي للحرج، لا نفي للفضيلة وإلا فالأفضل الاجتماع على الطعام .

إن في هذه الآيات دليل على قاعدة عامة كلية: هي أن: (العرف والعادة مخصص للألفاظ، كتخصيص اللفظ للفظ)، فإن الأصل، أن الإنسان ممنوع من تناول طعام غيره، مع أن الله أباح الأكل من بيوت هؤلاء، للعرف والعادة، فكل مسألة تتوقف على الإذن من مالك الشيء، إذا علم إذنه بالقول أو العرف، جاز الإقدام عليه.

وفيها دليل على أن الأب يجوز له أن يأخذ ويتملك من مال ولده ما لا يضره، لأن الله سمى بيته بيتا للإنسان.

وفيها دليل على أن المتصرف في بيت الإنسان، كزوجته، وأخته ونحوهما، يجوز لهما الأكل عادة، وإطعام السائل المعتاد.

وفيها دليل، على جواز المشاركة في الطعام، سواء أكلوا مجتمعين، أو متفرقين، ولو أفضى ذلك إلى أن يأكل بعضهم أكثر من بعض.

ذكر ابن عاشور: المراد بأكل الإنسان من بيته الأكل غير المعتاد، أي أن يأكل أكلاً لا يشاركه فيه بقية أهله كأن يأكل الرجل وزوجه غائبة، أو أن تأكل هي وزوجها غائب فهذه أثره مرخص فيها.

وملك المفاتيح أريد به حفظها بقريئة إضافته إلى المفاتيح دون الدور أو الحوائط. والمفتاح: جمع مَفْتَح وهو اسم آلة الفتح. ويقال فيها مفتاح ويجمع على مفاتيح. وهذه رخصة للوكيل والمختزن للطعام وناطور الحائط

ذي الثمر أن يأكل كل منهم مما تحت يده بدون إذن ولا يتجاوز شبع بطنه وذلك للعرف بأن ذلك كالإجارة فلذلك قال الفقهاء: إذا كان لواحد من هؤلاء أجره على عمله لم يجز له الأكل مما تحت يده.

إطعام الطعام

قال تعالى في سورة يس:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا وَالَّذِيْنَ آمَنُوا
أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾

ذكر الطنطاوي: قال الشوكاني ما ملخصه: وقوله: (أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ)، حكاية لتهم الكافرين، وقد كانوا سمعوا المؤمنين يقولون: إن الرزاق هو الله، وأنه يُغني من يشاء، ويُفقر من يشاء، فكأنهم حاولوا بهذا القول الإلزام للمؤمنين، وقالوا: نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله. وهذا غلط منهم ومكابرة ومجادلة بالباطل، فإن الله سبحانه أغنى بعض خلقه وأفقر بعضاً، وأمر الغني أن يُطعم الفقير، وابتلاه به فيما فرض له من ماله من الصدقة، وقولهم: (مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ)، هو وإن كان كلاماً صحيحاً في نفسه، ولكنهم لما قصدوا به الإنكار لقدرة الله، وإنكار جواز الأمر بالإنفاق مع قدرة الله، كان

احتجاجهم من هذه الحيثية باطلاً. وقوله: (إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)، من تنمة كلام الكفار. وقيل: هو رد من الله عليهم.

إطعام الطعام في الأزمات

قال تعالى في سورة البلد:

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٤﴾

ذكر السعدي: أي: مجاعة شديدة، بأن يُطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة.

ذكر ابن عاشور: ووجه تخصيص اليوم ذي المسغبة بالإطعام فيه أن الناس في زمن المجاعة يشهد شحهم بالمال خشية امتداد زمن المجاعة والاحتياج إلى الأقوات. فالإطعام في ذلك الزمن أفضل، وهو العقبة ودون العقبة مصاعد متفاوتة.

واليتيم: الشخص الذي ليس له أب، وهو دون البلوغ. ووجه تخصيصه بالإطعام أنه مظنة قلة الشبع لصغر سنه وضعف عمله وفقد من يعوله وحيائه من التعرض لطلب ما يحتاجه. فلذلك رغب في إطعامه وإن لم يصل حد المسكنة والفقير.

إطعام الجائع

قال تعالى في سورة قريش:

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

ذكر الطنطاوي: (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ)، أي: الذي وسع لهم الرزق، ومهد لهم سبيله، عن طريق الوفود التي تأتي إليهم من مشارق الأرض ومغاربها. (وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)، أي: والذي أوجد لهم الأمن بعد الخوف، والسعة بعد الضيق، ببركة هذا البيت الحرام. وتنكير (جوع) و (خوف) للتعظيم، أي: أطعمهم بدلا من جوع شديد، وآمنهم بدلا من خوف عظيم، كانوا معرضين لهما، وذلك كله من فضله سبحانه عليهم، ومن رحمته بهم، حيث أتم عليهم نعمتين بهما تكمل السعادة، ويجتمع السرور.

إطعام المسكين

قال تعالى في سورة الفجر:

وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾

ذكر السعدي: لا يحض بعضكم بعضاً على إطعام المحاويع من المساكين والفقراء، وذلك لأجل الشح على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب.

قال تعالى في سورة الماعون:

وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾

ذكر الطنطاوي: إن من صفاته الذميمة أنه لا يحث أهله وغيرهم من الأغنياء على بذل الطعام للبايس المسكين، وذلك لشحه الشديد، واستيلاء الشيطان عليه، وانطماس بصيرته عن كل خير.

إطعام البائس

قال تعالى في سورة الحج:

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾

ذكر السعدي: ذكر فوائد زيارة بيت الله الحرام، مرغبا فيه فقال: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ)، أي: لينالوا ببيت الله منافع دينية، من العبادات الفاضلة، والعبادات التي لا تكون إلا فيه، ومنافع دنيوية، من التكسب،

وحصول الأرباح الدنيوية، وكل هذا أمر مشاهد كل يعرفه، (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ)، وهذا من المنافع الدينية والدنيوية، أي: ليدكروا اسم الله عند ذبح الهدايا، شكراً لله على ما رزقهم منها، ويسرها لهم، فإذا ذبحتموها، (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْأَبْيَاسَ الْفَقِيرَ)، أي: الشديد الفقر.

إطعام المساجين

قال تعالى في سورة يوسف:

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا
ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾

ذكر ابن عاشور: أراد بهذا الجواب أن يفترض إقبالهما عليه وملازمة الحديث معه إذ هما يترقبان تعبيره الرؤيا فيدمج في ذلك دعوتهما إلى الإيمان الصحيح مع الوعد بأنه يعبر لهما رؤياهما غير بعيد، وجعل لذلك وقتاً معلوماً لهم، وهو وقت إحضار طعام المساجين إذ ليس لهم في السجن حوادث يوقتون بها، ولأن انطباق الأبواب وإحاطة الجدران يحول بينهم

وبين رؤية الشمس، فليس لهم إلا حوادث أحوالهم من طعام أو نوم أو هبوب منه .

الطعام مما أخرجت الأرض

قال تعالى في سورة الأنعام:

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ
وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ
كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ



ذكر السعدي: لما ذكر تعالى تصرف المشركين في كثير مما أحله الله لهم من الحروث والأنعام، ذكر تبارك وتعالى نعمته عليهم بذلك، ووظيفتهم اللازمة عليهم في الحروث والأنعام فقال: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ)، أي: بساتين، فيها أنواع الأشجار المتنوعة، والنباتات المختلفة. (مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ): أي: بعض تلك الجنات، مجعول لها عرش، تنتشر عليه الأشجار، ويعاونها في النهوض عن الأرض. وبعضها خال من العروش،

تنبت على ساق، أو تنفرش في الأرض، وفي هذا تنبيه على كثرة منافعها، وخيراتها، وأنه تعالى، علم العباد كيف يعرشونها، وينمونها. وأنشأ تعالى: (النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ)، أي: كله في محل واحد، ويشرب من ماء واحد، ويفضل الله بعضه على بعض في الأكل. وخص تعالى النخل والزرع على اختلاف أنواعه لكثرة منافعها، ولكونها هي القوت لأكثر الخلق. وأنشأ تعالى: (الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا) في شجره (وَعَيْرَ مُتَشَابِهٍ) في ثمره وطعمه. كأنه قيل: لأي شيء أنشأ الله هذه الجنات، وما عطف عليها؟ فأخبر أنه أنشأها لمنافع العباد فقال: (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ)، أي: النخل والزرع، (إِذَا أَثْمَرَ وَآتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)، أي: أعطوا حق الزرع، وهو الزكاة ذات الأنصباء المقدرة في الشرع، أمرهم أن يعطوها يوم حصادها، وذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول، لأنه الوقت الذي تتشوف إليه نفوس الفقراء، ويسهل حينئذ إخراجه على أهل الزرع، ويكون الأمر فيها ظاهراً لمن أخرجها، حتى يتميز المخرج ممن لا يخرج. وقوله: (وَلَا تُسْرِفُوا)، يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلاً يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويضر نفسه أو عائلته أو غرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه،

الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت عليه. وفي هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصاها في الزروع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالاً كثيرة، إذا كانت لغير التجارة، لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده. وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، أنه لا يضمنها، وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، يبعث خارصاً، يخرص للناس ثمارهم، ويأمره أن يدع لأهلها الثلث، أو الربع، بحسب ما يعثرها من الأكل وغيره، من أهلها، وغيرهم.

التين والزيتون

قال تعالى في سورة التين:

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾

ذكر السعدي: (التين) هو التين المعروف، وكذلك (الزيتون) أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام.

في الأنعام منافع كالأكل وغيره

قال تعالى في سورة المؤمنون :

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾

ذكر السعدي: من نعمه عليكم، أن سخر لكم الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم، فيها عبرة للمعتبرين، ومنافع للمنتفعين، (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا): اللبن الذي، يخرج من بين فرث ودم، خالص سائغ للشاربين، (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ): من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم، (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ): أفضل المأكَل من لحم وشحم.

طعام الغداء

قال تعالى في سورة الكهف :

فَلَمَّا جَاوَزَ أَقَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا



ذكر البغوي: قوله تعالى: (فَلَمَّا جَاوَزَا): يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين، قال موسى: (لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا)، أي طعامنا والغداء ما يُعدُّ للأكل غدوة، والعشاء ما يُعدُّ للأكل عشية، (لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا)، أي: تعباً وشدة وذلك أنه ألقى على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه.

ذكر القرطبي: هو اتخاذ الزاد في الأسفار...، نصباً أي تعباً، والنصب التعب والمشقة. وقيل: عنى به هنا الجوع، وفي هذا دليل على جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدر في الرضا، ولا في التسليم للقضاء لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط.

الطعام المحرم الضار

قال تعالى في سورة البقرة:

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ
اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ



ذكر الطنطاوي: (المَيْتَةُ)، في عرف الشرع: ما مات حتف أنفه، أو قتل على هيئة غير مشروعه، فيدخل فيها: المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما عدا عليها السبع، ويدخل في حكم الميتة ما قطع من جسم الحيوان الحي للحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي واقد الليثي، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (مَا قُطِعَ مِنَ الْبَهِيمَةِ وَهِيَ حَيَّةٌ فَهُوَ مَيْتَةٌ).

والأكل من الميتة محرم، لفساد جسمها بذبول أجزائه وتعفنها، ولأنها أصبحت بحالة تعافها الطباع السليمة لقدارتها وضررها.

أصناف الطعام المحرم

قال تعالى في سورة المائدة:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُتِ الْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ

لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ



ذكر السعدي: هذا الذي حولنا الله عليه في قوله: (إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ)، واعلم أن الله تبارك وتعالى لا يحرم ما يحرم إلا صيانة لعباده، وحماية لهم من الضرر الموجود في المحرمات، وقد يبين للعباد ذلك وقد لا يبين. فأخبر أنه حرم:

(المَيْتَةَ): والمراد بالميتة: ما فُقدت حياته بغير ذكاة شرعية، فإنها تحرم لضررها، وهو احتقان الدم في جوفها ولحمها المضرب بآكلها. وكثيرا ما تموت بعلة تكون سببا لهلاكها، فتضر بالآكل. ويستثنى من ذلك ميتة الجراد والسّمك، فإنه حلال.

(وَالدَّم): أي: المسفوح، كما قيد في الآية الأخرى.

(وَلَحْمِ الْخِنزِيرِ): وذلك شامل لجميع أجزائه، وإنما نص الله عليه من بين سائر الخبائث من السباع، لأن طائفة من أهل الكتاب من النصارى يزعمون أن الله أحله لهم. أي: فلا تغتروا بهم، بل هو محرم من جملة الخبائث.

(وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ): أي: ذكر عليه اسم غير الله تعالى، من الأصنام والأولياء والكواكب وغير ذلك من المخلوقين. فكما أن ذكر الله تعالى

يطيب الذبيحة، فذكر اسم غيره عليها، يفيدها خبثاً معنوياً، لأنه شرك بالله تعالى .

(وَالْمُنْحَنَةُ) : أي: الميتة بخنق، بيد أو حبل، أو إدخالها رأسها بشيء ضيق، فتعجز عن إخراجه حتى تموت .

(وَالْمَوْقُودَةُ) : الميتة بسبب الضرب بعصا أو حصى أو خشبة، أو هدم شيء عليها، بقصد أو بغير قصد .

(وَالْمُتَرَدِّيَةُ) : الساقطة من علو، كجبل أو جدار أو سطح ونحوه، فتموت بذلك .

(وَالنَّطِيحَةُ) : هي التي تنطحها غيرها فتموت .

(وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ) : من ذئب أو أسد أو نمر، أو من الطيور التي تفترس الصيد، فإنها إذا ماتت بسبب أكل السبع، فإنها لا تحل .

(إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) : راجع لهذه المسائل، من منخنقة، وموقودة، ومتردية، ونطيحة، وأكيلة سبع، إذا ذكيت وفيها حياة مستقرة لتتحقق الذكاة فيها .

(فَمَنْ اضْطُرَّ) : أي: أُلجأته الضرورة إلى أكل شيء من المحرمات السابقة، في (مَخْمَصَةٍ)، أي: مجاعة، (غَيْرِ مُتَجَانِفٍ)، أي: مائل، (لِلْإِثْمِ)، بأن لا يأكل حتى يضطر، ولا يزيد في الأكل على كفايته، (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ)، حيث أباح له الأكل في هذه الحال، ورحمه بما يقيم به بنيته من غير نقص يلحقه في دينه.

الفاكهة للأكل

قال تعالى في سورة يس:

وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ

﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مَنَّ

الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ



ذكر السعدي: (وَآيَةٌ لَهُمْ)، على البعث والنشور، والقيام بين يدي الله تعالى للجزاء على الأعمال، هذه، (الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ)، أنزل الله عليها المطر، فأحيها بعد موتها، (وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ)، من جميع أصناف الزروع، ومن جميع أصناف النباتات، التي تأكله أنعامهم.

(وَجَعَلْنَا فِيهَا)، أي: في تلك الأرض الميتة، جَنَّاتٍ، أي: بساتين، فيها أشجار كثيرة، وخصوصا النخيل والأعناب، اللذان هما أشرف الأشجار، (وَفَجَّرْنَا فِيهَا) أي: في الأرض، (مِنَ الْعُيُونِ).

جعلنا في الأرض تلك الأشجار، والنخيل والأعناب، (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ)،
 قوتاً وفاكهة، وأدماً ولذة، والحال أن تلك الثمار، (مَا عَمَلْتُهُ أَيْدِيهِمْ)،
 وليس لهم فيه صنع، ولا عمل، إن هو إلا صنعة أحكم الحاكمين، وخير
 الرازقين، وأيضا فلم تعمله أيديهم بطبخ ولا غيره، بل أوجد الله هذه
 الثمار، غير محتاجة لطبخ ولا شيء، تؤخذ من أشجارها، فتؤكل في
 الحال. (أَفَلَا يَشْكُرُونَ)، من ساق لهم هذه النعم، وأسبغ عليهم من
 جوده وإحسانه، ما به تصلح أمور دينهم ودنياهم، أليس الذي أحيا
 الأرض بعد موتها، فأثبت فيها الزروع والأشجار، وأودع فيها لذيذ الثمار،
 وأظهر ذلك الجني من تلك الغصون، وفجر الأرض اليابسة الميتة بالعيون،
 بقادر على أن يحيي الموتى؟ بل، إنه على كل شيء قدير.

ذكر ابن كثير: قوله: (مَا عَمَلْتُهُ أَيْدِيهِمْ)، أي: وما ذاك كله إلا من رحمة
 الله بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم وقوتهم. قاله ابن عباس
 وقتادة؛ ولهذا قال: (أَفَلَا يَشْكُرُونَ)، أي: فهلا يشكرونه على ما أنعم به
 عليهم من هذه النعم التي لا تُعد ولا تُحصى؟ واختار ابن جرير بل جزم به،
 ولم يحك غيره إلا احتمالا، أن (مَا) في قوله: (مَا عَمَلْتُهُ أَيْدِيهِمْ)،
 بمعنى: (الذي)، تقديره: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، أي:
 غرسوه ونصبوه.

ذكر الطنطاوي: ويصح أن تكون (مَا) هنا موصولة فيكون المعنى: ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته أيديهم من هذه الثمار كالعصير الناتج منها، وكغرسهم لتلك الأشجار وتعهدتها بالسقي وغيره، إلى أن آتت أكلها.

قال الشوكاني: وقوله: (مَا عَمَلْتُهُ أَيْدِيهِمْ)، معطوف على ثمره، أي: ليأكلوا من ثمره، ويأكلوا مما عملته أيديهم كالعصير والديس ونحوهما وكذلك ما غرسوه وحفروه على أن (مَا) موصولة، وقيل: هي نافية، والمعنى: لم يعملوه بأيديهم، بل العامل له هو الله.

طعام الأنعام

قال تعالى في سورة السجدة:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ
مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

ذكر الطبري: الأرض الجرز: التي ليس فيها شيء، ليس فيها نبات، وفي قوله: (صَعِيدًا جُرُزًا)، قال: ليس عليها شيء، وليس فيها نبات ولا شيء، فنخرج به زرعاً (تأكل منه أنعامهم وأنفسهم)، فنخرج بذلك الماء

الذي نسوقه إليها على يبسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعاً خضراً،
تأكل منه مواشيهم، وتغذّي به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به .

الضيافة

قال تعالى في سورة هود:

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ

أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾

ذكر السعدي: (أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ)، أي: بادر لبيته، فاستحضر
لأضيافه عجلاً مشويًا على الرضف سمينًا، فقربه إليهم فقال: ألا
تأكلون؟.

ذكر القرطبي: في هذه الآية من أدب الضيف أن يُعجل قراه، فيقدم
الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة، ولا يتكلف ما
يضر به. والضيافة من مكارم الأخلاق، ومن آداب الإسلام، ومن خلق
النبين والصالحين.

ذكر الطبري: عن ابن عباس قوله: (بِعِجْلٍ حَنِيدٍ)، يقول: نضيج.

طلب الضيافة

قال تعالى في سورة الكهف:

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا
فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ
أَجْرًا ﴿٧٧﴾

ذكر الطنطاوي: (اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا) والاستطعام: سؤال الطعام. والمراد به
هنا سؤال الضيافة لأنه هو المناسب لمقام موسى والخضر عليهما السلام
ولأن قوله تعالى بعد ذلك: (فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا)، يشهد له. أي: فأبى
وامتنع أهل تلك القرية عن قبول ضيافتهما بخلاً منهم وشحاً.

الشراب

قال تعالى في سورة الأعراف:

يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا
تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

ذكر القرطبي: يُذكر أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي
بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم
الأديان وعلم الأبدان. فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية
من كتابنا. فقال له: ما هي؟ قال قوله عز وجل: (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا
تُسْرِفُوا). فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطب. فقال

علي : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة . قال :
 ما هي ؟ قال : (المعدة بيت الأذواء والحمية رأس كل دواء وأعط كل
 جسد ما عودته) . فقال النصراني : ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس
 طباً .

ذكر ابن عاشور : قيل إن هذه الآية جمعت أصول حفظ الصحة من جانب
 الغذاء فالنهي عن السرف نهي إرشاد لا نهي تحريم بقريئة الإباحة اللاحقة
 في قوله : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ) ، إلى قوله : (وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)
 (الأعراف : ٣٢) ، ولأن مقدار الإسراف لا ينضب فلا يتعلق به التكليف ،
 ولكن يوكل إلى تدبير الناس مصالحهم ، وهذا راجع إلى معنى القسط
 الواقع في قوله سابقاً : (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) (الأعراف : ٢٩) ، فإن ترك
 السرف من معنى العدل .

عصر الزيتون وغيره

قال تعالى في سورة يوسف :

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾

ذكر الطنطاوي : ثم يأتي من بعد تلك السنين السبع الشداد ، عام فيه
 نزول الهموم والكروب ونقص الأموال عن الناس ، بسبب إرسال الله تعالى

المطر عليهم، فتخضر الأرض وتنبت من كل زوج بهيج، وفيه يعصرون من ثمار مزروعاتهم ما من شأنه أن يعصر كالزيتون وما يشبهه. وهذا كناية عن بدء حلول الرخاء بهم، بعد تلك السنوات الشداد، وما قاله يوسف عليه السلام عن هذا العام الذي يأتي في أعقاب السنوات السبع الشداد، لا مقابل له في رؤيا الملك، بل هو خارج عنها، وذلك لزيادة التبشير للملك والناس، ولإفهامهم أن هذا العلم إنما بوحى من الله تعالى الذي يجب أن يخلص له الجميع العبادة والطاعة.

ذكر القرطبي: فيه يغاث الناس من الإغاثة أو الغوث... والغيث المطر؛ وقد غاث الغيث الأرض أي أصابها؛ وغاث الله البلاد يغيثها غيثاً، وغيثت الأرض تغاث غيثاً، فهي أرض مغيثة ومغيوثة؛ فمعنى: (يُغَاثُ النَّاسُ)، يمحطون. (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)، قال ابن عباس: يعصرون الأعناب والدهن؛ ذكره البخاري. وروى حجاج عن ابن جريج قال: يعصرون العنب خمراً والسَّمْسَمِ دهنًا، والزيتون زيتاً. وقيل: أراد حلب الألبان لكثرتها؛ ويدل ذلك على كثرة النبات. وقيل: (يَعْصِرُونَ)، أي ينجون؛ وهو من العصرة، وهي المنجاة. قال أبو عبيدة والعصر بالتحريك الملجأ والمنجاة، وكذلك العصرة.

الخبز

قال تعالى في سورة يوسف :

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ
الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ
إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

ذكر البغوي: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطحمة.

ذكر القرطبي: قال الخباز: رأيت كأني اختبزت في ثلاثة تنانير، وجعلته في ثلاث سلال، فوضعت على رأسي فجاء الطير فأكل منه.

اللبن

قال تعالى في سورة النحل :

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ
وَدَمٍ لَبَنًا خَالٍ صَايِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦١﴾

ذكر البغوي: قال ابن عباس: إذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطحنته فكان أسفل فرثاً، وأوسطه اللبن، وأعلاه الدم، والكبد مسلطة

عليها، تقسمها بتقدير الله تعالى، فيجري الدم في العروق، واللبن في
الضرع، ويبقى الفرث كما هو .

ذكر ابن كثير: (مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنًا خَالِصًا)، أي: يتخلص الدم بياضه
وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في باطن الحيوان، فيسري كل إلى
موطنه، إذا نضج الغذاء في معدته تصرف منه دم إلى العروق، ولبن إلى
الضرع وبول إلى المثانة، وروث إلى المخرج، وكل منها لا يشوب الآخر ولا
يمازجه بعد انفصاله عنه، ولا يتغير به . وقوله: (لَبْنًا خَالِصًا سَائِغًا
لِّلشَّارِبِينَ)، أي: لا يغص به أحد .

في البحر لحم طري وحلي تلبس

قال تعالى في سورة فاطر:

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ
وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى
الْقُلُوكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

ذكر السعدي: هذا إخبار عن قدرته وحكمته ورحمته، أنه جعل البحرين
لمصالح العالم الأرضي كلهم، وأنه لم يسو بينهما، لأن المصلحة تقتضي
أن تكون الأنهار عذبة فراتا، سائغاً شرابها، لينتفع بها الشاربون

والغارسون والزارعون، وأن يكون البحر ملحاً أجاجاً، لئلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من الحيوانات ولأنه ساكن لا يجري، فملوحته تمنعه من التغيير، ولتكون حيواناته أحسن وألذ، ولهذا قال: (وَمِنْ كُلِّ)، من البحر الملح والعذب، (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا)، وهو السمك المتيسر صيده في البحر، (وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا)، من لؤلؤ ومرجان وغيرهما، مما يوجد في البحر، فهذه مصالِح عظيمة للعباد. ومن المصالح أيضاً والمنافع في البحر، أن سخره الله تعالى يحمل الفلك من السفن والمراكب، فتراها تمخر البحر وتشقه، فتسلك من إقليم إلى إقليم آخر، ومن محل إلى محل، فتحمل السائرين وأثقالهم وتجاراتهم، فيحصل بذلك من فضل الله وإحسانه شيء كثير.

الماء العذب الضرات

قال تعالى في سورة الفرقان:

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ

بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا



ذكر الطنطاوي: العذب الفرات: هو الماء السائغ للشرب، الذي يشعر الإنسان عند شربه باللذة، وهو ماء الأنهار وسمى فراتا لأنه يفرت العطش، أى يقطعه ويكسره ويزيله.

قال تعالى في سورة يس:

وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

ذكر القرطبي: ولهم فيها منافع من أصوافها وأوبارها وأشعارها وشحومها ولحومها وغير ذلك. ومشارب: يعني ألبانها.

ذكر الطبري: وذلك منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثاً ومتاعاً، ومن جلودها أكنانا، ومشارب يشربون ألبانها.

الزنجبيل

قال تعالى في سورة الإنسان:

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾

ذكر ابن كثير: خمراً تارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة. وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً.

رحيق مختوم

قال تعالى في سورة المطففين:

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾

ذكر القرطبي: يسقون من رحيق أي من شراب لا غش فيه. قاله الأخفش والزجاج. وقيل: الرحيق الخمر الصافية. وفي الصحاح: الرحيق صفوة الخمر. والمعنى واحد. الخليل: أقصى الخمر وأجودها. وقال مقاتل وغيره: هي الخمر العتيقة البيضاء الصافية من الغش النيرة.

الكافور

قال تعالى في سورة الإنسان:

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٢٥﴾

ذكر ابن عاشور: والكافور: زيت يستخرج من شجرة تشبه الدفلى تنبت في بلاد الصين وجاوة يتكون فيها إذا طالت مدتها نحواً من مائتي سنة فيُغلى حطبها ويستخرج منه زيت يسمى الكافور. وهو ثخن قد يتصلب فيصير كالزبد وإذا يقع حطب شجرة الكافور في الماء صار نبيذاً يتخمر فيصير مسكراً. والكافور أبيض اللون ذكي الرائحة منعش.

الملح

قال تعالى في سورة فاطر:

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ
وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى
الْقُلُوكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾

ذكر القرطبي: الملح هو الذي يجعل فيه الملح... الحلية إنما تستخرج من
الملح...

ذكر الطبري: الأجاج: المر وهو أشد المياه ملوحة... الدر والمرجان
تستخرجونها من الملح الأجاج.

حب الحصيد

قال تعالى في سورة ق:

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾

ذكر القرطبي: ونزلنا من السماء، أي: من السحاب ماء مبارك، أي: كثير
البركة. فأنبتنا به جنات وحب الحصيد، التقدير: وحب النبت الحصيد
وهو كل ما يحصد.

ذكر الطبري: حبّ الزرع المحصود من البرّ والشعير، وسائر أنواع الحبوب .

صناعة الغزل والنسيج واللباس والفرش

الغزل والنسيج والحياسة

قال تعالى في سورة الأعراف :

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا



أشار القرآن الكريم إلى تعلم صناعة الغزل والنسيج والحياسة كحاجة ماسة للإنسان وضرورة الانتفاع بها . وأشار لبعض موادها في قوله تعالى : (وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) (النحل : ٨٠) . وأشار لمنافعها : (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) (النحل : ٨١) . وقد ضرب القرآن المثل بهذه الصناعة إشادة بها، فقال : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَظَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثٍ) (النحل : ٩٢) وكان بعض النساء في البوادي يغزلن الوبر ويجدلن الشعر بهدف اتقاء الحر والقرّ .

اللباس والثياب

قال تعالى في سورة النحل :

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا
 وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَالسَّرَابِيلَ تَقِيكُمْ
 بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

ذكر السعدي: جعل الله لكم من مخلوقاته التي لا صنعة لكم فيها، ظلالاً كأظلة الأشجار والجبال والآكام ونحوها، وجعل لكم من الجبال مغارات تكنكم من الحر والبرد والأمطار والأعداء. وجعل لكم ألبسة وثياباً تقيكم الحر، ولم يذكر الله البرد لأنه قد تقدم أن هذه السورة أولها في أصول النعم وآخرها في مكملاتها وتماماتها، ووقاية البرد من أصول النعم فإنه من الضرورة، وقد ذكره في أولها في قوله: (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ). وثياباً تقيكم وقت البأس والحرب من السلاح، وذلك كالدرع والزرذ ونحوها.

اللباس للستر وللجمال

قال تعالى في سورة الأعراف:

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا
 وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَدَّكُرُونَ ﴿٣٦﴾ يَا
 بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ

يَنْزِعُ عَنْهُمَا الْبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ
 حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ^{٢٧} إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

ذكر السعدي: امتن الله عليهم بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي المقصود منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء، كالطعام والشراب والمراكب، والمناكح ونحوها، قد يسر الله للعباد ضروريها... وأما اللباس الظاهري، فغايته أن يستر العورة الظاهرة، في وقت من الأوقات، أو يكون جمالا للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع. وأيضا، فبتقدير عدم هذا اللباس، تنكشف عورته الظاهرة.

ذكر ابن كثير: يمتن تبارك وتعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والریش فاللباس المذكور هاهنا لستر العورات وهي السوءات والریش والریش: هو ما يُتجمل به ظاهرا، فالأول من الضروريات، والریش من التكملات والزيادات.

قَمَصَانِ مِنَ الْكِتَانِ وَالْقَزِّ وَالْقَطَنِ وَالصُّوفِ

قال تعالى في سورة النحل:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا
 وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ
 بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

ذكر البغوي: (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ)، قُمصاً من الكتان والقز، والقطن،
 والصوف، تَقِيكُمْ، تمنعكم الحر، قال أهل المعاني: أراد الحر والبرد فاكتفى
 بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه. (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ)، يعني:
 الدروع، والبأس: الحرب، يعني: تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم.

لباس الحرير

قال تعالى في سورة الحج:

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا^ط وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
 حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

ذكر القرطبي: ولباسهم فيها حرير أي وجميع ما يلبسونه من فرشهم
 ولباسهم وستورهم حرير، وهو أعلى مما في الدنيا بكثير.

ثياب سندس من الديباج

قال تعالى في سورة الإنسان:

عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ
وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٣١﴾

ذكر السعدي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ من الديباج، والإستبرق: ما رق منه. (وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ)، أي: حلّوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإناثهم، وهذا وعد وعدهم الله، وكان وعده مفعولاً، لأنه لا أصدق منه قبلاً ولا حديثاً.

الفرش والأسرة

فرش مرفوعة

قال تعالى في سورة الواقعة:

وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾

ذكر السعدي: مرفوعة فوق الأسرة ارتفاعاً عظيماً، وتلك الفرش من الحرير والذهب واللؤلؤ وما لا يعلمه إلا الله.

وسائد وفرش

قال تعالى في سورة الرحمن:

مُتَّكِبِينَ عَلَىٰ أَرْفَافٍ خُضِرَ وَعَبَقْرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾

ذكر الطنطاوي: هؤلاء الذين خافوا مقام ربهم، قد أسكناهم بفضلنا الجنات العاليات حالة كونهم فيها على الفرش الجميلة المرتفعة. وعلى الأبسطه التي بلغت الغاية في حسنها وجودتها ودقة وشيها.

نمارق

قال تعالى في سورة الغاشية:

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾

ذكر الطنطاوي: النمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة التي يتكئ عليها الجالس والمضجع. أي: وفي الجنة وسائد كثيرة، قد صُفِّ بعضها إلى جانب بعض صفا جميلا، بحيث يجدها الجالس قريبة منه في كل وقت.

سرر موضونة

قال تعالى في سورة الواقعة:

عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُتَّكِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

ذكر السعدي: مرمولة بالذهب والفضة، واللؤلؤ، والجوهر، وغير ذلك من حلي الزينة، التي لا يعلمها إلا الله تعالى .

سرر مصفوفة

قال تعالى في سورة الطور:

مُتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

ذكر السعدي: الاتكاء هو الجلوس على وجه التمكن والراحة والاستقرار، والسرر هي الأرائك المزينة بأنواع الزينة من اللباس الفاخر والفرش الزاهية .

سرر متقابلة

قال تعالى في سورة الصافات:

عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾

ذكر الطنطاوي: وهم في الوقت نفسه يجلسون على سرر متقابلين، بأن تكون وجوههم متقابلة لا متدابرة، فإن من شأن المتصافين أن يجلسوا متقابلين .

سرر عليها يتكئون

قال تعالى في سورة الزخرف :

وَلَبِئْسَ أَهْلُهَا يُتَكَّبُونَ ﴿٣٤﴾

ذكر الطنطاوي : ولجعلنا لبيوتهم أبوابا جميلة، وسرراً ثمينة عَليها يتكئون وهم جالسون فوقها .

الصوف المنفوش

قال تعالى في سورة القارعة :

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾

ذكر السعدي : (كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ)، أي : كالصوف المنفوش .
دلالة على أن الصوف يُنفش ليكون أفضل للفراش والوسائد .

المتكأ

قال تعالى في سورة يوسف :

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴿٣١﴾

ذكر السعدي: (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا)، أي: محلاً مهياً بأنواع الفرش والوسائد، وما يقصد بذلك من المآكل اللذيذة، وكان في جملة ما أتت به وأحضرتة في تلك الضيافة، طعام يحتاج إلى سكين.

وقال تعالى في سورة الرحمن:

مُتَّكِينَ عَلَىٰ أَفْرَاشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾

ذكر السعدي: هذه صفة فرش أهل الجنة وجلوسهم عليها، وأنهم متكئون عليها، أي جلوس تمكن واستقرار وراحة، كجلوس من الملوك على الأسرة، وتلك الفرش، لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله عز وجل، حتى إن بطائنها التي تلي الأرض منها، من إستبرق، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها التي تلي بشرتهم؟

الخُمار

قال تعالى في سورة النور:

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴿٣١﴾

ذكر الطنطاوي: بيان لكيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهى عن إبدائها. والخُمُرُ بضم الخاء والميم جمع خمار. وهو ما تغطي به المرأة رأسها وعنقها وصدرها، والجيوب جمع جيب، وهو فتحة في أعلى الثياب يبدو منها بعض صدر المرأة وعنقها. والمراد به هنا: محله وهو أعلى الصدر، وأصله: من الجَب بمعنى القطع. أي: وعلى النساء المؤمنات أن يسترن رؤوسهن وأعناقهن وصدورهن بخمرهن، حتى لا يطلع أحد من الأجنب على شيء من ذلك.

البساط

قال تعالى في سورة نوح:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا ﴿١٩﴾

ذكر الطنطاوي: والله تعالى وحده هو الذي جعل لكم بفضله ومنته الأرض مبسوطة. حيث تتقلبون عليها كما يتقلب النائم على البساط.

الزرابي

قال تعالى في سورة الغاشية:

وَزَرَابِي مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

ذكر الطنطاوي: الزرابي جمع زربية وهي البساط الواسع الفاخر، أو ما يشبهه من الأشياء الثمينة التي تتخذ للجلوس عليها. والمبثوثة: المنتشرة على الأرض. أي: وفيها بسط فاخرة جميلة مبسوطة في كل مكان، ومتفرقة في كل مجلس.

الخيام والمقصورات

قال تعالى في سورة الرحمن:

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾

ذكر القرطبي: قال عمر رضي الله عنه: الخيمة دُرَّةٌ مجوفة. ذكر ابن عاشور: الخيام: جمع خيمة وهي البيت، وأكثر ما تقال على البيت من آدم أو شعر تقام على العَمَد وقد تطلق على بيت البناء.

صناعة الزينة والحلي

الزينة

قال تعالى في سورة النحل:

وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ



ذكر الطنطاوي: ومن مظاهر فضله عليكم، ورحمته بكم، أنه خلق لمنفعتكم أيضا الخيل والبغال والحمير، لتركبوها في غزوكم وتنقلاتكم، ولتكون زينة لكم في أفراحكم ومسراتكم.

الثياب الجميلة والحلي، وجميع البدن كله من الزينة

قال تعالى في سورة النور:

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

ذكر السعدي: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ)، كالثياب الجميلة والحلي، وجميع البدن كله من الزينة، ولما كانت الثياب الظاهرة، لا بد لها منها، قال: (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)، أي: الثياب الظاهرة، التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن

في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها... ثم كرر النهي عن إبداء زينتهن، واستثنى من ذلك فئات عددها الآية الكريمة: الزوج، والأب، والجد، والابن، وأبناء الزوج، وابن الأخ، وابن الأخت... الخ.

استخراج الحلي من البحار وصناعتها

قال تعالى في سورة الرعد:

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا
رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ
كَذَلِكَ يُضْرَبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا
يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

ذكر الطنطاوي: وشبيهه بالمثل السابق في خروج الزبد والخبث وطرحه بعيدا عن الأشياء النافعة، ما توقدون عليه النار من المعادن والجواهر، لكي تستخرجوا منها ما ينفعكم من الحلي والأمتعة المتنوعة، فإنكم في مثل هذه الحالة، تبقون على النقي النافع منها، وتطرحون الزبد والخبث الذي يلفظه الكير، والذي هو مثل زبد السيل في عدم النفع.

اللؤلؤ والمرجان

قال تعالى في سورة الرحمن:

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾

ذكر الطنطاوي: اللؤلؤ في أصله حيوان، وهو أعجب ما في البحار، فهو يهبط إلى الأعماق، وهو داخل صدفه جيرية تقيه من الأخطار. ويفرز مادة لزجة تتجمد مكونة «اللؤلؤ». والمرجان أيضا حيوان يعيش في البحار، ويكون جزرا مرجانية ذات ألوان مختلفة: صفراء برتقالية، أو حمراء قرنفلية، أو زرقاء زمردية. ومن اللؤلؤ والمرجان تُتخذ الحليّ الغالية الثمن، العالية القيمة، التي تتحلى بها النساء.

اللؤلؤ المكنون

قال تعالى في سورة الواقعة:

كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾

ذكر الطنطاوي: هؤلاء الحور العين، (كأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ)، أي: يشبهن اللؤلؤ المكنون الذي لم تلمسه الأيدي، في صفاء بياضهن، وفي شدة جمالهن.

قال تعالى في سورة الطور:

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾

اللؤلؤ المنثور

قال تعالى في سورة الإنسان:

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا



ذكر الطنطاوي: ويطوف على هؤلاء الأبرار: (وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ)، أي: دائمون على ما هم عليه من النضارة والشباب. إذا رأيتهم حسبتهم من حسنهم، وصفاء ألوانهم، ونضارة وجوههم؛ لؤلؤاً ودرّاً مفرقاً في جنبات المجالس وأوسطها... واللؤلؤ إذا نُثر على البساط، كان أكثر جمالا منه فيما لو كان منظوماً.

الياقوت والمرجان

قال تعالى في سورة الرحمن:

كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ

ذكر البغوي: قال قتادة: صفاء الياقوت في بياض المرجان.

لبس الأساور

قال تعالى في سورة الكهف:

أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
 أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
 مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

ذكر الطنطاوي: يلبسون في تلك الجنات أساور من ذهب على سبيل
 التزين والتكريم. ولا مانع من أن يضاف إلى هذه الأساور الذهبية، أساور
 أخرى من فضة، وثالثة من لؤلؤ كما في قوله تعالى: (وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ
 فِضَّةٍ). وقوله تعالى: (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا). وفي
 الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: (تبلغ
 الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء). وقوله تعالى: (وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا
 خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ)، معطوف على ما قبله.

أساور من ذهب

قال تعالى في سورة الحج:

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا

حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾

ذكر الطنطاوي: يتزينون في تلك الجنات بأساور كائنة من الذهب الخالص، ومن اللؤلؤ الثمين، أما لباسهم الدائم فيها فهو من الحرير الناعم الفاخر.

أساور من فضة

قال تعالى في سورة الإنسان:

عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ
وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾

ذكر الطنطاوي: (ثيابُ سندسٍ)، وإضافة الثياب إلى السندس بيانية، مثل: خاتم ذهب والسندس: الديقاق الرقيق. والإستبرق: الديقاق الغليظ. والمعنى: أن هؤلاء الأبرار، أصحاب النعيم المقيم، والملك الكبير، فوق أجسادهم ثياب من أفخر الثياب، لأنهم يجمعون في لباسهم بين الديقاق الرقيق، والديقاق الغليظ، على سبيل التنعيم والجمع بين محاسن الثياب. وكانت تلك الملابس من اللون الأخضر، لأنها أبهج للنفس، وشعار لباس الملوك. وكلمة: (خُضْرٌ)، قرأها بعضهم بالرفع على أنها صفة لثياب، وقرأها البعض الآخر بالجر، على أنها صفة لسندس. وكذلك كلمة:

(وَإِسْتَبْرَقُ)، قرئت بالرفع عطفاً على ثياب، وقرئت بالجر عطفاً على سندس .

لبس السندس والاستبرق

قال تعالى في سورة الزخرف:

يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾

ذكر السعدي: ولباسهم من الحرير الأخضر من السندس والإستبرق، أي: غليظ الحرير ورقيقه مما تشتهيهم أنفسهم. (مُتَقَابِلِينَ)، في قلوبهم ووجوههم في كمال الراحة والطمأنينة والمحبة والعشرة الحسنة والآداب المستحسنة.

صحاف ذهبية

قال تعالى في سورة الزخرف:

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ^ط وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ
وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ^ط وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾

ذكر السعدي: تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بطعامهم، بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف الذهب وشرابهم، بألطف الأواني،

وهي الأكواب التي لا عرى لها، وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير.

الفصل الخامس - أقصار الزراعة

خلق الله تعالى الأرض وهياًها لعيش البشر، فخلق تربتها وما فيها، وهواءها وما فيه، وسماءها وما فيها من ماء وغيره، واستنبت الزرع دون تدخل من أحد، ليجد البشر ثماراً وفاكهة متنوعة الأصناف، شهية المنظر، عطرة الرائحة، لذيدة الطعم، فيها الشفاء من كثير من الأمراض والأسقام، فأكل منها البشر وشبعوا وسعدوا سروراً وانبساطاً دون أي تعب مبذول، ودون أي جهد فعلوه. فأنزل الله تعالى في كتابه تعليماً للبشر بأن يكونوا ممن يشكرون المنعم، الذي أطعمهم فستر جوعتهم. ثلاث آيات متتاليات في سورة يس توضح لبني البشر ذلك ليعلموا قدرة المنعم وفضله عليهم.

استنبات الأرض وزراعتها

١- قال تعالى في سورة يس:

وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ



ذكر ابن عاشور: موت الأرض: جفافها وجرازتها لخلوها من حياة النبات فيها، وإحيائها: خروج النبات منها من العشب والكلأ والزرع. والحب:

اسم جمع حبة، وهو بزررة النبت مثل البرة والشعيرة. وإخراج الحب من الأرض: هو إخراجها من نباتها فهو جاء منها بواسطة. وهذا إدماج للامتنان في ضمن الاستدلال ولذلك فرّع عليه: فَمَنْهُ يَأْكُلُونَ، وتقديم (مِنْهُ) على (يَأْكُلُونَ) للاهتمام تنبيهاً على النعمة ولرعاية الفاصلة.

إحياء الأرض بإيجاد الماء

٢- قال تعالى في سورة يس:

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾

ذكر الطنطاوي: ونخيل... وأعناب... والعيون، جمع عين. والمراد بها الآبار التي تسقى بها الزروع... أحيينا هذه الأرض الميتة بالماء، وجعلنا فيها - بقدرتنا ورحمتنا - بساتين كثيرة من نخيل وأعناب، وفجرنا وشققنا فيها كثيراً من الآبار والعيون التي تُسقى بها تلك الزروع والثمار.

الأكل مما أخرجته الأرض دون تدخل من أحد

٣- قال تعالى في سورة يس:

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾

ذكر الطنطاوي: جعلنا لهم في الأرض جنات من نخيل وأعناب، ليأكلوا من ثمار ما جعلناه لهم، وإن هذه الثمار لم تصنعها أيديهم، وإنما الذي أوجدها وصنعها هو الله - تعالى - بقدرته ومشيعته.

ذكر ابن كثير: وما ذاك كله إلا من رحمة الله بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم وقوتهم.

وقد لفت الله تعالى نظر البشر لذلك قائلاً لهم: **أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** (الواقعة: ٦٤).

ذكر السعدي: أنتم أخرجتموه نباتاً من الأرض؟ أم أنتم الذين نمتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره حتى صار حبا حصيدا وثمارا نضيجا؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده، وأنعم به عليكم؟ وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها وتلقوا فيها البذر، ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك ومع ذلك، فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار لولا حفظ الله وإبقاؤه لكم بلغة ومتاعاً إلى حين.

قال تعالى في سورة يس:

أَفَلَا يَشْكُرُونَ

ذكر الطبري: أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم من رزقهم ذلك وأنعم عليهم به؟

رحلة الزراعة

قال تعالى في سورة عبس:

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا
الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا
لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾

أورد الله تعالى في سورة عبس آيات توضح سلسلة متتالية من العمليات الكونية الإنتاجية التي تشكل رحلة الزراعة وصولاً إلى المنتجات النهائية ذات القيمة الغذائية والدوائية.

بدأت تلك الآيات بمطالبة الإنسان بالنظر كمدخل للمنهج التجريبي: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)، الذي يأكله، ويتلذذ به، ويتغذى به، ويتقوى به، فهذا لم يصل إليه إلا بعد أن تساقط المطر من السماء على الأرض، التي بدورها تشققت وضممت البذار واحتضنته، فنبت وأنتج أصنافاً عديدة، على الرغم من أنها قد سقيت بماء واحد وضمها التراب

نفسه، فإذا بالحب ينبت فيها، مُخرجاً العنب والقضب، أي القثاء والخيار وسائر البقوليات، وقيل هو علف الحيوانات، ومُخرجاً زيتوناً ونخلاً، فتتشكل حدائق ذات أشجار كبيرة، ومُخرجاً فاكهة مما يأكله الناس من ثمار الأشجار كالتين والنوخ وغيرها، ومُخرجاً أبا مما تأكله البهائم من العشب. فتنتفعون أنتم وأنعامكم بكل ذلك.

الزراعة

مضاعفة الإنتاج

قال تعالى في سورة البقرة:

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ



ذكر الطنطاوي: مثل صدقة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، أي: في طاعته، كمثل حبة ألقيت في أرض طيبة، أصابها الغيث، فخرجت الحبة على هيئة زرع قوي جميل فأنبتت في الوقت المناسب لإنباتها سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة.

تعدد الإنتاج والأصل واحد

قال تعالى في سورة الرعد :

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَعُثَاظٌ وَنَخِيلٌ
صِّنَاوَانٌ وَغَيْرُ صِنَاوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لُبَّهَا عَلَى بَعْضِ فِي
الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

ذكر البغوي: قال الحسن: هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم، ويقول: كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن عز وجل، فسطحها، فصارت قطعاً متجاورة، فينزل عليها المطر من السماء، فتخرج هذه زهرتها، وشجرها وثمرها ونباتها، وتخرج هذه سبخها وملحها وخبثها، وكل يسقى بماء واحد، كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع، وتقسو قلوب فتلهو.

الزرع هبة الله

قال تعالى في سورة الواقعة :

أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾

ذكر ابن كثير: هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزرع، في أشكالها وألوانها، وطعومها وروائحها، وأوراقها وأزهارها. فهذا في غاية الحلاوة وذا في غاية الحموضة، وذا في غاية المرارة وذا عفص، وهذا عذب وهذا جمع هذا وهذا، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى. وهذا أصفر وهذا أحمر، وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق. وكذلك الزهورات مع أن كلها يستمد من طبيعة واحدة، وهو الماء، مع هذا الاختلاف الكبير الذي لا ينحصر ولا ينضب، ففي ذلك آيات لمن كان واعياً، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد.

تحضير الزرع

قال تعالى في سورة الزمر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ

ذكر الطنطاوي: ضرب سبحانه مثلاً لسرعة زوال الحياة الدنيا، وقرب اضمحلال بهجتها... فقال: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)،

للتقرير. والينابيع: جمع ينبوع، وهو المنبع أو المجرى الذي يكون في باطن الأرض، والذي يحمل الكثير من المياه الجارية أو المخزونة في جوف الأرض. والمعنى: لقد علمت أيها العاقل أن الله تعالى أنزل من السحب المرتفعة في جو السماء، ماء كثيراً، فأدخله بقدرته في عيون ومسارب في الأرض، هذه العيون والمسارب تارة تكون ظاهرة على وجه الأرض، وتارة تكون في باطنها، وكل ذلك من أعظم الأدلة على قدرة الله تعالى ورحمته بعباده. ثم بين سبحانه مظهراً آخر من مظاهر قدرته فقال: (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ)، أي: هذا الماء الذي أنزله سبحانه بقدرته من السماء، قد سلكه ينابيع في الأرض، ثم يخرج بسبب هذا الماء زرعاً مختلفاً في ألوانه وفي أشكاله، فمنه ما هو أخضر ومنه ما هو أصفر، ومنه ما ليس كذلك مما يدل على كمال قدرة الله تعالى. وقوله تعالى: (ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا)، بيان لمظهر ثالث من مظاهر قدرته عز وجل... ثم يعقب ذلك الهيجان الجفاف واليبس. أي: ثم يصاب هذا الزرع المختلف الألوان بالجفاف والضمور، فتراه مصفراً من بعد اخضراره ونضارته، ثم يجعله سبحانه « حطاماً » أي: فتاتاً متكسراً.

موسمية الزراعة

قال تعالى في سورة إبراهيم:

تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٥﴾

ذكر ابن كثير: (تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ)، قيل: غدوة وعشيًا. وقيل: كل شهر. وقيل: كل شهرين. وقيل: كل ستة أشهر. وقيل: كل سبعة أشهر. وقيل: كل سنة.

إخراج الحب

قال تعالى في سورة يس:

وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ
﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مَنَّ
الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ
﴿٣٥﴾

ذكر القرطبي: وآية لهم الأرض الميتة أحييناها نبههم الله تعالى بهذا على إحياء الموتى، وذكرهم توحيده وكمال قدرته، وهي الأرض الميتة أحيائها بالنبات وإخراج الحب منها. فمنه أي: من الحب يأكلون وبه يتغذون. (وَجَعَلْنَا فِيهَا)، أي في الأرض بساتين من نخيل وأعناب وخصصهما بالذكر، لأنهما أعلى الثمار. وفجرنا فيها من العيون أي في البساتين.

الاستغلال الأفضل للأرض (حالة تعظيم)

قال تعالى في سورة الكهف :

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ

وَخَفَّفْنَا لَهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾

ذكر السعدي: (وَخَفَّفْنَا لَهُمَا بِنَخْلٍ)، أي: في هاتين الجنتين من كل الثمرات، وخصوصاً أشرف الأشجار، العنب والنخل، فالعنب في وسطها، والنخل قد حف بذلك، ودار به، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه، وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح، التي تكمل بها الثمار، وتنضج وتتجوهر، ومع ذلك جعل بين تلك الأشجار زرعاً.

العسل

قال تعالى في سورة النحل :

ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ
بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

ذكر السعدي: في خلق هذه النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي، ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها، وهدايته لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة. فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعي سواه.

هز الجذع

قال تعالى في سورة مريم:

هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا ﴿٢٥﴾

ذكر الطنطاوي: وحركي نحوك أو جهة اليمين أو الشمال جذع النخلة، (تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا)، وهو ما نضج واستوى من الثمر، (غَنِيًّا)، أي: صالحاً للأخذ والاجتناء... وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة، أن مباشرة الأسباب في طلب الرزق أمر واجب وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله، لأن المؤمن يتعاطى الأسباب امتثالاً لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع في ملكه سبحانه إلا ما يشاؤه ويريده.

الحرث**النهي عن إهلاك الحرث**

قال تعالى في سورة البقرة:

وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا

يُحِبُّ الْفُسَادَ

ذكر ابن كثير: هذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث، وهو: محل نماء الزروع والثمار والنسل، وهو: نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما. وقال مجاهد: إذا سعى في الأرض فساداً، منع الله القطر، فهلك الحرث والنسل.

ذكر القرطبي: والآية بعمومها تعم كل فساد كان في أرض أو مال أو دين.

فلاحة الأرض

قال تعالى في سورة لآل عمران:

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ
حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

ذكر الطنطاوي: والحِث هنا مصدر بمعنى المحرث، وأصل كلمة حِث: فلح الأرض وإلقاء البذر فيها، ثم أطلقت على ما هو نتيجة لذلك وهو الزرع.

فلق الحب والنوى

قال تعالى في سورة الأنعام:

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ
مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾

ذكر السعدي: (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ)، شامل لسائر الحبوب، التي يباشر الناس زرعها، والتي لا يباشرونها، كالحبوب التي يبثها الله في البراري والقفار، فيفلق الحبوب عن الزروع والنوابت، على اختلاف أنواعها، وأشكالها، ومنافعها، ويفلق النوى عن الأشجار، من النخيل والفواكه، وغير ذلك. فينتفع الخلق، من الآدميين والأنعام، والدواب. ويرتعون فيما

فلق الله من الحب والنوى، ويقتاتون، وينتفعون بجميع أنواع المنافع التي جعلها الله في ذلك .

الاعتداء على الحرث

قال تعالى في سورة الأنبياء:

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ

وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾

ذكر السعدي: إذ تحاكم إليهما صاحب حرث، نفشت فيه غنم القوم الآخرين، أي: رعت ليلا، فأكلت ما في أشجاره، ورعت زرعه، فقضى فيه داود عليه السلام، بأن الغنم تكون لصاحب الحرث، نظرا إلى تفريط أصحابها، فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بديرها وصوفها ويقومون على بستان صاحب الحرث، حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، ترادا ورجع كل منهما بما له، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام.

السقاية

إناء السقاية

قال تعالى في سورة يوسف:

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا
الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾

ذكر السعدي: (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ)، أي: كال لكل واحد من إخوته، ومن جملتهم أخوه هذا. (جَعَلَ السَّقَايَةَ)، وهو: الإناء الذي يشرب به، ويكال فيه...

سقي المواشي

قال تعالى في سورة القصص:

قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْقَائِلَاتُ لَآ تَنسُقِينَ الْإِبْرَاهِيمَ وَاللَبِيبُ إِلاَّ تَنسُقِينَ الْإِبْرَاهِيمَ وَاللَبِيبُ إِلاَّ تَنسُقِينَ الْإِبْرَاهِيمَ وَاللَبِيبُ إِلاَّ تَنسُقِينَ الْإِبْرَاهِيمَ
كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

ذكر السعدي: أي: قد جرت العادة أنه لا يحصل لنا سقي حتى يصدر الرعاء مواشيهم، فإذا خلا لنا الجو سقيناه، (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)، أي: لا قوة له على السقي، فليس فينا قوة، نقدر بها، ولا لنا رجال يراحمون الرعاء.

السقاية بالمطر

قال تعالى في سورة السجدة:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ
مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

ذكر السعدي: (أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ)، التي لا نبات فيها،
فيسوق الله المطر، الذي لم يكن قبل موجوداً فيها، فيفرغه فيها، من
السحاب، أو من الأنهار. (فَنُخْرِجُ بِهِ زُرْعًا)، أي: نباتاً، مختلف الأنواع
(تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ)، وهو نبات البهائم، (وَأَنْفُسُهُمْ)، وهو طعام
الآدميين.

السقاية بالدلو

قال تعالى في سورة يوسف:

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ
وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

ذكر الطنطاوي: السيارة: جماعة المسافرين، وكانوا كما قيل متجهين من
بلاد الشام إلى مصر. والوارد: هو الذي يرد الماء ليستقى للناس الذين

معه. ويقع هذا اللفظ على الفرد والجماعة. فيقال لكل من يرد الماء وارد، كما يقال للماء مورود. وقوله: (فَأَدْلَى)، من الإدلاء بمعنى إرسال الدلو في البئر لأخذ الماء. والدلو: إناء معروف يوضع فيه الماء.

سقاية النبات والحيوان والناس

قال تعالى في سورة الفرقان:

لِنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْبِيَ كَثِيرًا

ذكر الطنطاوي: أنزلنا من السماء ماء طهوراً، لنحيي بهذا الماء بلدة، أي: أرضاً جديداً لا نبات فيها لعدم نزول المطر عليها، ولكي نسقي بهذا الماء أيضاً، (أَنْعَامًا)، أي: إبلا وبقرا وغنما، (وَأَنْبِيَ كَثِيرًا)، أي: وعدداً كثيراً من الناس. فالأناسي: جمع إنسان وأصله أناسين فقلبت نونه ياء وأدغمت فيما قبلها. وقدم سبحانه إحياء الأرض، لأن خروج النبات منها بسبب المطر تتوقف عليه حياة الناس والأنعام وغيرهما. وخص الأنعام بالذكر، لأن مدار معاشهم عليها، ولذا قدم سقيها على سقيهم.

توزيع السقاية

قال تعالى في سورة الفرقان:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا هُنَا بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

ذكر الطنطاوي: ولقد صرفنا هذا المطر النازل من السماء فأنزلناه بين الناس في البلدان المختلفة، وفي الأوقات المتفاوتة، وعلى الصفات المتغايرة، فنزيده في بعض البلاد وننقصه أخرى، ونمنعه عن بعض الأماكن. كل ذلك على حسب حكمتنا ومشيتنا.

ذكر البغوي: المطر، مرة ببلدة ومرة ببلد آخر. قال ابن عباس: ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض.

اقتصاد الرعي وتربية الحيوانات

مارس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مهنة رعي الأنعام، لما لها من دور تربوي، ليتعلموا رعاية البشر. قال صلى الله عليه وسلم قال: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، كنت أرهاها لأهل مكة بالقراريط) ^١.

الأنعام للركوب

قال تعالى في سورة الأنعام:

وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ



^١ صحيح البخاري

ذكر السعدي: بعضها تحملون عليه وتركبونه، وبعضها لا تصلح للحمل والركوب عليها لصغرها.

الأنعام للزينة

قال تعالى في سورة النحل:

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ



ذكر السعدي: تارة تستعملونها للضرورة في الركوب وتارة لأجل الجمال والزينة.

قال تعالى في سورة يس:

وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ

ذكر الطنطاوي: وصيرنا هذه الأنعام مذلة ومسخرة لهم، فمنها ما يستعملونه في ركوبهم والانتقال عليها من مكان إلى آخر، ومنها ما يستعملونه في ماكلهم عن طريق ذبحه.

الدفء

قال تعالى في سورة النحل:

وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

ذكر السعدي: لأجل منافعكم ومصالحكم، من جملة منافعها العظيمة: أن لكم: (فِيهَا دِفْءٌ)، مما تتخذون من أصوافها وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، من الثياب والفرش والبيوت. ولكم فيها غير ذلك، (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ).

الأنعام للجمال

قال تعالى في سورة النحل:

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

ذكر السعدي: في وقت راحتها وسكونها ووقت حركتها وسرحها، وذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء فإنكم أنتم الذين تتجملون بها، كما تتجملون بثيابكم وأولادكم وأموالكم، وتعجبون بذلك.

حمل الأثقال

قال تعالى في سورة النحل:

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا لِبَشَرٍ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

ذكر السعدي: فمنها ما تركبونه، ومنها ما تحملون عليه ما تشاءون من الأثقال إلى البلدان البعيدة والأقطار الشاسعة.

رعاية الأنعام

قال تعالى في سورة النحل:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ

تُسِيمُونَ

ذكر البغوي: أنزل من السماء ماء تشربونه، ومن ذلك الماء شرب أشجاركم، وحياة نباتكم، وفيه ترعون مواشيكم.

هش الغنم

قال تعالى في سورة طه:

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ

أُخْرَى

ذكر السعدي: ذكر فيها هاتين المنفعتين، منفعة لجنس الآدمي، وهو أنه يعتمد عليها في قيامه ومشيه، فيحصل فيها معونة. ومنفعة للبهائم،

وهو أنه كان يرعى الغنم، فإذا رعاها في شجر الخبط ونحوه، هس بها،
أي: ضرب الشجر، ليتساقط ورقه، فيرعاها الغنم.

الحليب واللحم

قال تعالى في سورة المؤمنون:

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٦﴾

ذكر الطبري: الأنعام فيها، (مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ)، وذلك كالإبل التي يُحمل
عليها، ويُركب ظهرها، ويشرب درّها، (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)، يعني من
لحومها تأكلون.

تملك الأنعام

قال تعالى في سورة يس:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ
﴿٧١﴾

ذكر الطنطاوي: أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا، وصنعت قدرتنا، أنعاما
كثيرة هم لها مالكون يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه.

ذكر ابن كثير: يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم، (فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) : قال قتادة: مطيقون، أي: جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذاك ذليل منقاد معه. وكذا لو كان القطار مائة بعير أو أكثر، لسار الجميع بسير صغير.

المرعى

قال تعالى في سورة الأعلى:

وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ

ذكر الطنطاوي: هو سبحانه وحده، الذي أنبت النبات الذي ترعاه الدواب، حالة كون هذا النبات أخضر رطباً. ثم يحوله بقدرته تعالى بعد حين إلى نبات يابس جاف.

ذكر الطبري: والذي أخرج من الأرض مرعى الأنعام من صنوف النبات وأنواع الحشيش.

ما تنتجه الأرض فيه أكل للناس ولأنعامهم التي ترعى

قال تعالى في سورة طه:

كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ

ذكر الطنطاوي: هذه الأرض وما اشتملت عليه من طرق ومن نبات شتى هي لمنفعتكم ومصلحتكم، فكلوا أيها الناس من هذه الثمار المتنوعة التي انشقت عنها الأرض، وارعوا أنعامكم من إبل وبقر وغنم في المكان الصالح للرعي من هذه الأرض، واشكروا الله تعالى على هذه النعم لكي يزيدكم منها.

الأرض وما فيها متاع للناس ولأنعامهم

قال تعالى في سورة النازعات:

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ

ذكر ابن كثير: دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها، لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعا لخلقها ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد، وينقضي الأجل.

الجبال وما فيها متاع للناس ولأنعامهم

قال تعالى في سورة النازعات:

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا
لَكُمْ وَلَا تَعْمَلْكُمْ ﴿٣٣﴾

ذكر الطنطاوي: والأرض جعلها مستقرا لكم، ومكانا لانتفاعكم، بأن أخرج منها ماءها، عن طريق تفجير العيون والآبار والبحار، وأخرج منها مرعاهها، أي: جميع ما يقتات به الناس والدواب.

طعام الأنعام

غشاء أحوى

قال تعالى في سورة الأعلى:

فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾

ذكر الأنصاري^١: (فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى): قيل: (أَحْوَى): (صفة لغشاء، وقد جوز في أحوى أن يكون حالاً من المرعى) أي: أخرجته أخضر، يضرب إلى السواد من شدة الري، فجعله بعد ذلك غشاء، أي: يابسا، يحمله السيل وتطير به الريح.

تجفيف النبات بالرياح

قال تعالى في سورة الكهف:

^١ إعراب القرآن العظيم

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مُقْتَدِرًا

ذكر القرطبي: هشيماً أي متكسراً من اليبس متفتتا، يعني بانقطاع الماء
عنه... والهشم: كسر الشيء اليابس. والهشيم من النبات اليابس
المتكسر، والشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف يشاء.

العصف

قال تعالى في سورة الرحمن:

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ

ذكر القرطبي: الحب ذو العصف والريحان، الحب الحنطة والشعير
ونحوهما، والعصف التبن.

ذكر ابن عاشور: الحب الذي لنباته سنابل ولها ورق وقصب فيصير تبناً،
وذلك الورق والقصب هو العصف، أي الذي تعصفه الرياح وهذا وصف
لحب الشعير والحنطة وبهما قوام حياة معظم الناس وكذلك ما أشبههما
من نحو السلت والأرز. وسمي العصف عصفاً لأن الرياح تعصفه، أي
تحرّكه.

الهشيم المحتظر

قال تعالى في سورة القمر:

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾

ذكر القرطبي: هشيم أي متكسرا من اليبس متفتتا، يعني بانقطاع الماء عنه... قال ابن عباس: المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك؛ فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم. كحشيش تأكله الغنم... وعن ابن عباس: أنهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم؛ فاحتظر على هذا الذي يتخذ حظيرة على زرعه، والهشيم فتات السنبله والتبن.

كلب الحراسة

قال تعالى في سورة الكهف:

وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ
وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمَلِئْتْ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

ذكر السعدي: أي: الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف، أصابه ما أصابهم من النوم وقت حراسته، فكان باسطا ذراعيه بالوصيد، أي: الباب، أو فنائه، هذا حفظهم من الأرض. وأما حفظهم من الآدميين، فأخبر أنه حماهم بالرعب، الذي نشره الله عليهم، فلو اطلع عليهم أحد، لامتلأ قلبه رعبا، وولى منهم فرارا.

الصيد بالجوارح (الكلب والصقر ...)

قال تعالى في سورة المائدة:

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ

ذكر السعدي: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ)، من الأظعمة؟، (قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ)، وهي كل ما فيه نفع أو لذة، من غير ضرر بالبدن ولا بالعقل، فدخل في ذلك جميع الحبوب والثمار التي في القرى والبراري، ودخل في ذلك جميع حيوانات البحر وجميع حيوانات البر، إلا ما استثناه الشارع، كالسباع والخبائث

منها. ولهذا دلت الآية بمفهومها على تحريم الخبائث، ... (وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ)، أي: أحل لكم ما علمتم من الجوارح إلى آخر الآية. دلت هذه الآية على أمور:

أحدها: لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث وسع عليهم طرق الحلال، وأباح لهم ما لم يذكوه مما صادته الجوارح، والمراد بالجوارح: الكلاب، والفهود، والصقر، ونحو ذلك، مما يصيد بناه أو بمخلبه.

الثاني: أنه يشترط أن تكون معلمة، بما يعد في العرف تعليماً، بأن يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل، ولهذا قال: (تَعَلَّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ)، أي: أمسكن من الصيد لأجلكم. وما أكل منه الجارح فإنه لا يعلم أنه أمسكه على صاحبه، ولعله أن يكون أمسكه على نفسه.

الثالث: اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير ونحوهما، لقوله: (مِّنَ الْجَوَارِحِ)، مع ما تقدم من تحريم المنخنقة. فلو خنقه الكلب أو غيره، أو قتله بثقله لم يبح [هذا بناء على أن الجوارح اللاتي يجرحن الصيد بأنيابها أو مخالبها، والمشهور أن الجوارح بمعنى الكواسب أي: المحصلات للصيد والمدركات لها فلا يكون فيها على هذا دلالة – والله أعلم –] .

الرابع: جواز اقتناء كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح، مع أن اقتناء الكلب محرم، لأن من لازم إباحة صيده وتعليمه جواز اقتنائه.

الخامس: طهارة ما أصابه فم الكلب من الصيد، لأن الله أباحه ولم يذكر له غسلًا، فدل على طهارته.

السادس: فيه فضيلة العلم، وأن الجراح المعلم – بسبب العلم – يباح صيده، والجاهل بالتعليم لا يباح صيده.

السابع: أن الاشتغال بتعليم الكلب أو الطير أو نحوهما، ليس مذمومًا، وليس من العبث والباطل. بل هو أمر مقصود، لأنه وسيلة لحل صيده والانتفاع به.

الثامن: فيه حجة لمن أباح بيع كلب الصيد، قال: لأنه قد لا يحصل له إلا بذلك.

التاسع: فيه اشتراط التسمية عند إرسال الجراح، وأنه إن لم يسم الله متعمداً، لم يباح ما قتل الجراح.

العاشر: أنه يجوز أكل ما صاده الجراح، سواء قتله الجراح أم لا. وأنه إن أدركه صاحبه، وفيه حياة مستقرة فإنه لا يباح إلا بها. ثم حث تعالى على تقواه، وحذر من إتيان الحساب في يوم القيامة، وأن ذلك أمر قد دنا واقترب، فقال: (وَاتَّقُوا اللَّهَ عِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ).

الفصل السادس - أقصار المهن والحرف

الرواية والقصص والأخبار

القصص الحق

قال تعالى في سورة آل عمران:

إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصُّ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْعِزُّ الْحَكِيمُ



ذكر ابن عاشور: والقصص بفتح القاف والصاد اسم لما يُقَصُّ، يقال: قَصَّ الخبر قَصًّا إذا أخبر به، والقَصُّ أخص من الإخبار؛ فإنَّ القَصَّ إخبار بخبرٍ فيه طولٌ وتفصيل وتسمى الحادثة التي من شأنها أن يُخبر بها قصة بكسر القاف أي مقصورة أي مما يُقَصُّها القَصَّاص، ويقال للذي ينتصب لتحديث الناس بأخبار الماضين قَصَّاص بفتح القاف. فالقصص اسم لما يُقَصُّ.

القصص للتفكير والعبرة

قال تعالى في سورة الأعراف:

فَأَقْصِبْ قَصِّصَ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ



ذكر الطنطاوي: أي: إذا ثبت ذلك، فاقصص على قومك أيها الرسول الكريم المقصص عليك من جهتنا لعلهم يتفكرون فينزعجون عما هم عليه من الكفر والضلال. والفاء في قوله فَأَقْصُصْ لترتيب ما بعدها على ما قبلها. والقصص مصدر بمعنى اسم المفعول، واللام فيه للعهد، وجملة الترجي في محل نصب على أنها حال من ضمير المخاطب أو في موضع المفعول له. أي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم، أو رجاء لتفكرهم.

ذكر ابن عاشور: أي: اقصص هذه القصة وغيرها، وهذا تذييل للقصة الممثل بها يشملها وغيرها من القصص التي في القرآن، فإن في القصص تفكراً وموعظة، فيرجى منه تفكرهم وموعظتهم، لأن للأمثال واستحضار النظائر شأناً عظيماً في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة، لما في التنظير بالقصة المخصوصة من تذكير مشاهدة الحالة بالحواس، بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس.

أحسن القصص

قال تعالى في سورة يوسف:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن

كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ

الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾

ذكر الطنطاوي: قال الفخر الرازي ما ملخصه: القصص: اتباع الخبر بعضه بعضا، وأصله في اللغة المتابعة قال تعالى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ): أي اتبعي أثره. وقال تعالى: (فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا): أي: اتبعا. وإنما سميت الحكاية قصصا، لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا... والمعنى: نحن نقص عليك أيها الرسول الكريم أحسن القصص، أي: أحسن أنواع البيان، وأوفاه بالعرض الذي سيق من أجله. وإنما كان قصص القرآن أحسن القصص، لاشتماله على أصدق الأخبار، وأبلغ الأساليب، وأجمعها للحكم والعبر والعظات.

وقوله تعالى: (لَا تَقْصُصْ)، قال يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام بشفقة ورحمة، بعد أن سمع منه ما رآه في منامه: (يَا بُنَيَّ)، لا تخبر إخوتك بما رأيت في منامك فإنك إن أخبرتهم بذلك احتالوا لإهلاكك احتيالا خفيا، لا قدرة لك على مقاومته أو دفعه.

الأخبار

قال تعالى في سورة محمد :

وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُو
 أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

ذكر الطنطاوي: أي: ولنعاملنكم أيها الناس معاملة المختبر لكم بالتكاليف الشرعية المتنوعة، حتى نبين ونظهر لكم المجاهدين منكم من غيرهم، والصابرين منكم وغير الصابرين، (وَنَبَلُوَّ أَخْبَارَكُمْ)، أي: ونظهر أخباركم حتى يتميز الحسن منها من القبيح.

للأرض أخبار تخصها

قال تعالى في سورة الزلزلة:

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾

ذكر الطنطاوي: أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال: (أتدرون ما أخبارها)؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (فإن أخبارها أن تشهد على

كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، بأن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا. فهذه أخبارها).

والظاهر أن هذا التحديث من الأرض على سبيل الحقيقة، بأن يخلق الله تعالى فيها حياة وإدراكا، فتشهد بما عمل عليها من عمل صالح أو طالح، كما تشهد على من فعل ذلك.

أي: في ذلك الوقت تحدثك الأرض أحاديثها، وتحديث الأرض تمثيل كما قال الطبري وغيره، أي: أن حالها وما يقع فيها من الانقلاب، وما لم يعهد من الخراب، يعلم السائل ويفهمه الخبر، وأن ما يراه لم يكن بسبب من الأسباب التي وضعتها السنة الإلهية، حال استقرار نظام الكون، بل ذلك بسبب، (بأن ربك أوحى لها).

التأويل

قال تعالى في سورة يوسف:

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

ذكر الطنطاوي: (تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ)، معناه تفسيرها تفسيراً صحيحاً، إذ التأويل مأخوذ من الأول بمعنى الرجوع، وهو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه. والأحاديث جمع تكسير مفردة حديث، وسميت الرؤى أحاديث باعتبار حكايتها والتحدث بها. والمعنى: وكما اجتباك ربك واختارك لهذه الرؤيا الحسنة، فإنه سبحانه يجتبيك ويختارك لأمر عظيم في مستقبل الأيام، حيث يهبك من صدق الحس، ونفاذ البصيرة، ما يجعلك تدرك الأحاديث إدراكاً سليماً، وتعبر الرؤى تعبيراً صحيحاً صادقاً.

منطق الطير

قال تعالى في سورة النمل:

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ
وَأُوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

ذكر الطنطاوي: علمنا الله تعالى بفضله وإحسانه فهم ما يريد كل طائر إذا صوت أو صاح، وأعطانا سبحانه من كل شيء نحتاجه ومنتفع به في ديننا أو دنيانا. وقدم نعمة تعليمه منطق الطير، لأنها نعمة خاصة لا يشاركه فيها غيره، وتعتبر من معجزاته عليه السلام. وقيل: إنه علم

منطق جميع الحيوانات . وإنما ذكر الطير لأنه أظهر في النعمة، ولأن الطير كان جنداً من جنده، يسير معه لتظليله من الشمس .

ذكر الطبري: يا أيها الناس علمنا منطق الطير، يعني فهمنا كلامها؛ وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها .

منطق النمل

قال تعالى في سورة النمل :

حَتَّىٰ إِذَا تَوَاعَىٰ وَاِدْتَمَلَّتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ



ذكر السعدي: نصحت هذه النملة وأسمعت النمل إما بنفسها ويكون الله قد أعطى النمل أسماعاً خارقة للعادة، لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب . وإما بأنها أخبرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع وأمرتهن بالحذر، والطريق في ذلك وهو دخول مساكنهن . وعرفت حالة سليمان وجنوده وعظمة سلطانه، واعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم

فليس عن قصد منهم ولا شعور، فسمع سليمان عليه الصلاة والسلام قولها وفهمه .

الحلاقة

قال تعالى في سورة البقرة:

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ^ط

ذكر السعدي: وهذا من محظورات الإحرام، إزالة الشعر، بحلق أو غيره، لأن المعنى واحد من الرأس، أو من البدن، لأن المقصود من ذلك، حصول الشعث والمنع من الترفه بإزالته، وهو موجود في بقية الشعر. وقاس كثير من العلماء على إزالة الشعر، تقليم الأظفار بجامع الترفه، ويستمر المنع مما ذكر، حتى يبلغ الهدى محله، وهو يوم النحر.

النعل

قال تعالى في سورة طه:

إِنِّي أَنَارُبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ^ط إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

ذكر الطنطاوي: تعليل للأمر بخلع النعل، أي: أزل نعلك من رجلك
لأنك الآن موجود، (بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ)، أي: المطهر المبارك.

المتبع والهداية والتقصي

التقصي

قال تعالى في سورة القصص:

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

ذكر الطنطاوي: قال الفخر الرازي ما ملخصه: القصص: اتباع الخبر بعضه
بعضاً، وأصله في اللغة المتابعة قال تعالى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ): أي
اتبعي أثره.

الاهتداء والتتبع

قال تعالى في سورة النحل:

وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

ذكر الطنطاوي: ومن مظاهر نعمه، أنه سبحانه جعل في الأرض معالم
وأمارات من جبال كبار، وأكام صغار، وغير ذلك، ليهتدي بها المسافرون
في سفرهم، وتكون عوناً لهم على الوصول إلى غايتهم، وبمواقع النجوم

هم يهتدون في ظلمات البر والبحر، إلى الأماكن التي يرغبون الوصول إليها.

التصوير

قال تعالى في سورة التغابن عن خلقه للإنسان وتصويره، ثم أن مرده إليه:

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ



ذكر الطنطاوي: فكما أن التصوير يقتضي الإيجاد، أوضح سبحانه وتعالى أن هذا الإيجاد يعقبه الفناء ككل شيء، سوى وجهه الكريم.

ذكر الألووسي: لعمري إن الإنسان أعجب نسخة في هذا العالم، قد اشتملت على دقائق وأسرار شهدت ببعضها الآثار، وعلم ما علم منها أولو الأبصار، وكل ما يشاهد من الصور الإنسانية حسن، لكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب. وكما قال بعض الحكماء: شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان. وقد أبدع المبدع في خلق الجمال وأبدع في البيان، والله المثل الأعلى.

ذكر القرطبي: وقد مضى معنى التصوير، إلى أنه التخطيط والتشكيل.

تحطيم الزجاج

التحطيم

قال تعالى في سورة الهمزة:

كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ ﴿٤﴾

ذكر الطنطاوي: والحطمة من الحطم، وهو كسر الشيء بشدة وقوة، ويقال: رجل حطمة، إذا كان شديداً في تحطيمه وكسره لغيره، والمراد بالحطمة هنا: النار الشديدة الاشتعال: التي لا تبقى على شيء إلا وأحرقته.

يحطمنكم

قال تعالى في سورة النمل:

حَتَّىٰ إِذَا تَوَّأَعَلَىٰ وَادِ النَّعْمِ قَالَتْ نَعْمَةٌ يَأْكُفُّهَا النَّعْمُ ادْخُلُوا
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ



ذكر ابن عاشور: والحطم: حقيقته الكسر لشيء صلب.

وهذا دلالة على أن غلافها زجاجي.

حمل الأثقال

إشارة لحجم الخزائن وما فيها

قال تعالى في سورة القصص:

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا
إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

ذكر السعدي: أي: حتى أن مفاتيح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟.

حبل (ليف)

قال تعالى في سورة المسد:

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

ذكر الطنطاوي: المسد: الليف المتين الذي فتل بشدة، يقال: حبل ممسود، أي مفتول فتلا قويا.

حمل الحطب

قال تعالى في سورة المسد:

وَإِمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

ذكر الطنطاوي: رجَّح الإمام ابن جرير القول الأول، لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحة في طريق النبي صلى الله عليه وسلم.

الحمار للحمل

قال تعالى في سورة الجمعة:

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ
أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ

ذكر الطنطاوي: وشبههم، بالحمار الذي هو مثل في البلادة والغباء، لزيادة التشنيع عليهم، والتقبيح لحالهم، حيث زهدوا وأعرضوا عن الانتفاع بأثمن شيء نافع، وهو كتاب الله كما هو شأن الحمار الذي لا يفرق فيما يحمله على ظهره بين الشيء النافع والشيء الضار.

الإضاءة والإنارة

المشكاةالمصباحالزجاجةالوقداستخراج زيت زيتونالإضاءة

قال تعالى في سورة النور:

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
 الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
 مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
 تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

ذكر السعدي: ووجه هذا المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم

والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاج الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره.

ذكر ابن كثير: (المُصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ) أي: هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية.

ذكر القرطبي: وقيل: المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة. وقال مجاهد: هي القنديل. وقال: (فِي زُجَاجَةٍ) لأنه جسم شفاف، والمصباح فيه أنور منه في غير الزجاج. والمصباح: الفتيل بناره كأنها كوكب دري أي في الإنارة والضوء. وذلك يحتمل معنيين: إما أن يريد أنها بالمصباح كذلك، وإما أن يريد أنها في نفسها لصفائها، وجودة جوهرها كذلك.

المصابيح

قال تعالى في سورة الملك:

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَا هَارُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ

وَأَعْتَدْنَا لَهُمُ عَذَابَ السَّعِيرِ

ذكر السعدي: ولقد جمّلنا، (السَّمَاءَ الدُّنْيَا)، التي ترونها وتليكم، (بِمَصَابِيحَ)، وهي: النجوم، على اختلافها في النور والضياء، فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكانت سقفاً مظلماً، لا حُسن فيه ولا جَمال. ولكن جعل الله هذه النجوم زينة للسماء، وجمالاً، ونوراً وهداية يهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

البروج والإنارة

قال تعالى في سورة الفرقان:

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا



ذكر السعدي: وهي النجوم عمومها أو منازل الشمس والقمر التي تنزل منزلة منزلة وهي بمنزلة البروج والقلاع للمدن في حفظها، كذلك النجوم بمنزلة البروج المفعولة للحراسة فإنها رجوم للشياطين. (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا)، فيه النور والحرارة وهو الشمس. (وَقَمَرًا مُنِيرًا)، فيه النور لا الحرارة وهذا من أدلة عظمته، وكثرة إحسانه، فإن ما فيها من الخلق الباهر والتدبير المنتظم والجمال العظيم دال على عظمة خالقها في أوصافه كلها، وما فيها من المصالح للخلق والمنافع دليل على كثرة خيراته.

السراج

قال تعالى في سورة نوح:

وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾

ذكر الطنطاوي: المراد بالسراج الوهاج: الشمس، وصفت بكونها سراجا، لأنها كالمصباح في إضاءته لما حوله. ووصف السراج بأنه وهاج، مبالغة في شدة ضيائه ولمعانه، من الوهج - يفتح الواو والهاء - بمعنى شدة الضياء.

الصباغة

استخراج زيت الدهن

قال تعالى في سورة المؤمنون:

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبِغٍ لِّلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾

ذكر السعدي: هي شجرة الزيتون، أي: جنسها، خصت بالذكر، لأن مكانها خاص في أرض الشام، ولمنافعها، التي ذكر بعضها، أي: الزيت، الذي هو دهن، يستعمل استعماله من الاستصباح به، واصطبغ الأكلين، أي: يجعل إداما للأكلين، وغير ذلك من المنافع.

قال تعالى في سورة البقرة:

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾

ذكر السعدي: صار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام للثوب الذي صار له صفة. والصبغة فعلة من صبغ كاجلسة من جلس وهي في أصل اللغة. الحالة التي يقع عليها الصبغ وهو تلوين الأشياء - كالثياب وغيرها - بألوان معينة.

اللهو واللعب

اللعب

قال تعالى في سورة الأعراف:

أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾

ذكر البغوي: (وَهُمْ يَلْعَبُونَ) : ساهون لاهون .

الأصنام

قال تعالى في سورة الشعراء:

قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾

ذكر القرطبي: قالوا نعبد أصناما وكانت أصنامهم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب. فنزل لها عاكفين أي فنقيم على عبادتها. وليس المراد

وقتا معينا بل هو إخبار عما هم فيه . وقيل : كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل ، وكانوا في الليل يعبدون الكواكب . فيقال : ظل يفعل كذا إذا فعله نهارا وبات يفعل كذا إذا فعله ليلا .

اللعب والرتع

قال تعالى في سورة يوسف :

أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾

ذكر الطنطاوي : الرتع والرتوع هو الاتساع في الملاذ والتنعم في العيش ، يقال : رتع الإنسان في النعمة إذا أكل ما يطيب له ورتعت الدابة إذا أكلت حتى شبعت ، وفعله كمنع والمراد باللعب هنا الاستجمام ورفع السامة ، كالتسابق عن طريق العدو ، وما يشبه ذلك من ألوان الرياضة المباحة .

السبق

قال تعالى في سورة يوسف :

قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ
الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾

ذكر الطنطاوي: أي: نتسابق عن طريق الرمي بالسهم، أو على الخيل، أو على الأقدام.

الأكواب والآنية

الأكواب

قال تعالى في سورة الغاشية:

وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ

ذكر السعدي: أوان ممتلئة من أنواع الأشرية اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون.

قال تعالى في سورة الواقعة:

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ

ذكر السعدي: ويدورون عليهم بآنية شرابهم، (بِأَكْوَابٍ)، وهي التي لا عرى لها، (وَأَبَارِيقَ)، الأواني التي لها عرى، (وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ)، أي: من خمر لذيد المشرب، لا آفة فيها.

الآنية

قال تعالى في سورة الإنسان:

وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿٥﴾

ذكر ابن كثير: يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام، وهي من فضة، وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم.

قوارير من فضة

قال تعالى في سورة الإنسان:

قَوَارِيرٍ مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾

ذكر السعدي: أي: مادتها من فضة، وهي على صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء، أن تكون الفضة الكثيفة من صفاء جواهرها وطيب معدنها على صفاء القوارير. (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا)، أي: قدروا الأواني المذكورة على قدر ربيهم، لا تزيد ولا تنقص، لأنها لو زادت نقصت لذتها، ولو نقصت لم تف بريهم. ويحتمل أن المراد: قدرها أهل الجنة بنفسهم بمقدار يوافق لذاتهم، فأتتهم على ما قدروا في خواطهم.

كأس مزاجها زنجبيلا

قال تعالى في سورة الإنسان:

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾

ذكر السعدي: (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا)، أي: في الجنة من كأس، وهو الإِناء المملوء من خمر ورحيق، (كَانَ مِزَاجُهَا)، أي: خلطها، (زَنْجَبِيلًا)، ليطيب طعمه وريحه.

كأس مزاجها كافورا

قال تعالى في سورة الإنسان:

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٤٥﴾

ذكر السعدي: شراب لذيذ من خمر قد مزج بكافور، أي: خلط به ليبرده ويكسر حدته، وهذا الكافور في غاية اللذة قد سلم من كل مكدر ومنغص.

كأس من معين

قال تعالى في سورة الصافات:

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾

ذكر السعدي: يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة، بالكاسات الجميلة المنظر، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك، وهي كاسات الخمر.

الأبواب

إغلاق الأبواب

قال تعالى في سورة يوسف:

وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

ذكر الطنطاوي: قوله: (وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ)، أي: أبواب بيت سكنها الذي تبنت فيه بابا فبابا، قيل: كانت الأبواب سبعة. والمراد أنها أغلقت جميع الأبواب الموصلة إلى المكان الذي راودته فيه إغلاقا شديدا محكما، كما يشعر بذلك التضعيف في (غَلَّقَتِ) زيادة في حمله على الاستجابة لها.

ذكر ابن عاشور: غلق الأبواب: جعل كل باب سادا للفرجة التي هو بها. وتضعيف غَلَّقَتِ لإفادة شدة الفعل وقوته، أي أغلقت إغلاقا محكما.

أبواب البيوت

قال تعالى في سورة الزخرف :

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾

ذكر الطنطاوي: ولجعلنا لبيوتهم أبوابا جميلة، وسرراً ثمينة، (عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ)، أي: على السرر يتكئون وهم جالسون فوقها.

إدارة المخاطر بتوزع الدخول من عدة أبواب

قال تعالى في سورة يوسف :

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَاَدْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ^ط
وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنْ أُلْحَمْتُكُمْ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ ^ط
تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

ذكر الطنطاوي: وقال يعقوب الأب العطوف لأبنائه وهو يودعهم: يا بني إذا وصلتكم إلى مصر، فلا تدخلوا كلكم من باب واحد، وأنتم أحد عشر رجلا بل ادخلوا من أبوابها المتفرقة، بحيث يدخل كل اثنين أو ثلاثة من باب. قالوا: وكانت أبواب مصر في ذلك الوقت أربعة أبواب. وقيل: إن السبب في وصية يعقوب لأبنائه بهذه الوصية، خوفه عليهم من أن

يسترعى عددهم حراس مدينة مصر إذا ما دخلوا من باب واحد، فيترامى في أذهانهم أنهم جواسيس أو ما شابه ذلك، فربما سجنوهم، أو حالوا بينهم وبين الوصول إلى يوسف عليه السلام.

ذكر الطبري: وقوله: (وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ)، يقول: وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذي قد قضاه عليكم من شيء صغير ولا كبير، لأن قضاءه نافذ في خلقه.

أبواب الغرف

قال تعالى في سورة يوسف:

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

ذكر البغوي: وذلك أن يوسف لما رأى البرهان قام مبادراً إلى باب البيت هاربا، وتبعته المرأة لتمسك الباب حتى لا يخرج يوسف فسبق يوسف وأدركته المرأة، فتعلقت بقميصه من خلفه، فجذبتة إليها حتى لا يخرج.

مؤصدة

قال تعالى في سورة البلد:

عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ

ذكر السعدي: مغلقة، في عمد ممددة، قد مدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وشدة.
ذكر الطنطاوي: آصدت الباب وأوصدته، إذا أحكمت غلقه.

المفاتيح والأقفال

ملك المفاتيح

قال تعالى في سورة النور:

أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ

ذكر السعدي: أي: البيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالة، أو ولاية ونحو ذلك، وأما تفسيرها بالملوك، فليس بوجيه، لوجهين: أحدهما: أن المملوك لا يقال فيه "ملكته" بل يقال: "ما ملكتموه" أو "ما ملكت أيمانكم" لأنهم مالكون له جملة، لا لمفاتيحه فقط.

ذكر ابن كثير: وقال الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيدفعون مفاتيحهم إلى ضمانهم، ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا ما احتجتم إليه.

ذكر ابن عاشور: ومِلك المفاتيح أريد به حفظها بقريئة إضافته إلى المفاتيح دون الدور أو الحوائط. والمفاتيح: جمع مَفْتَح وهو اسم آلة الفتح. ويقال فيها مفتاح ويجمع على مفاتيح. وهذه رخصة للوكيل والمخترن للطعام وناطور الحائط ذي الثمر أن يأكل كل منهم مما تحت يده بدون إذن ولا يتجاوز شبع بطنه وذلك للعرف بأن ذلك كالإجارة فلذلك قال الفقهاء: إذا كان لواحد من هؤلاء أجرة على عمله لم يجز له الأكل مما تحت يده.

المفاتيح

قال تعالى في سورة القصص:

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا
إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

ذكر السعدي: أي: حتى أن مفاتيح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن

حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟

ذكر البغوي: ويقال: كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه،

وكانت من حديد، فلما ثقلت عليه جعلها من خشب، فثقلت فجعلها

من جلود البقر على طول الأصابع.

الأقفال (مادية ومعنوية)

قال تعالى في سورة محمد :

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾

ذكر السعدي : أي : قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت ، فلا يدخلها خير أبداً؟ هذا هو الواقع .

ذكر الطنطاوي : قال صاحب الكشاف : فإن قلت : لم نُكِّرَت القلوب وأضيفت الأقفال إليها؟ قلت : أما التنكير ففيه وجهان : أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك . أو يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين . وأما إضافة الأقفال ، فلأنه يريد الأقفال المختصة بها ، وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح .

ذكر الطبري : حدثنا ابن حميد : ترك القلب على ما فيه .

استخراج الكنوزالكنز

قال تعالى في سورة الكهف :

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا
وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا
كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ

عَلَيْهِ صَبْرًا

ذكر السعدي: أي: فلهذا هدمت الجدار، واستخرجت ما تحته من
كنزهما.

ذكر الطنطاوي: وكان تحته، أي تحت هذا الجدار، (كَنْزُهُمَا)، أي: مال
مدفون من ذهب وفضة. ولعل أباهما هو الذي دفنه لهما. (وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا)، أي: رجلا من أصحاب الصلاح والتقوى، فكان ذلك منه سببا
في رعاية ولديه، وحفظ مالهما... (أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا)، أي: كمال
رشدهما، وتمام نموها وقوتها. ويستخرجنا كنزهما من تحت هذا الجدار
وهما قادران على حمايته.

الفصل السابع - اقصار التجارة

التجارة

التجارة الحاضرة

قال تعالى في سورة البقرة:

إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُ وَنَهَا بَيْنَكُمْ

ذكر الطنطاوي: والتجارة الحاضرة التي تدور بين التجار: هي التي يجري فيها التقابض في المجلس أو التي يتأخر فيها الأداء زمنا يسيرا. وسميت حاضرة، لأن المبيع والتمن كلاهما حاضر. وتديرونها إشارة إلى إدارة الأعمال وإدارة التجارات والصفقات.

تجارة عن تراض

قال تعالى في سورة النساء:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

بِكُمْ رَحِيمٌ

ذكر السعدي: أي: فإنها مباحة لكم. وشرط التراضي مع كونها تجارة لدلالة أنه يشترط أن يكون العقد غير عقد ربا لأن الربا ليس من التجارة، بل مخالف لمقصودها، وأنه لا بد أن يرضى كل من المتعاقدين ويأتي به اختياراً. ومن تمام الرضا أن يكون المعقود عليه معلوماً، لأنه إذا لم يكن كذلك لا يتصور الرضا مقدوراً على تسليمه، لأن غير المقدور عليه شبيهه ببيع القمار، فبيع الغرر بجميع أنواعه خال من الرضا فلا ينفذ عقده. وفيها أنه تنعقد العقود بما دل عليها من قول أو فعل، لأن الله شرط الرضا فبأي طريق حصل الرضا انعقد به العقد.

التجارة عبر البحار

قال تعالى في سورة فاطر:

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ
وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى
الْقُلُوكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾

ذكر السعدي: هذا إخبار عن قدرته وحكمته ورحمته، أنه جعل البحرين لمصالح العالم الأرضي كلهم، وأنه لم يسو بينهما، لأن المصلحة تقتضي أن تكون الأنهار عذبة فراتا، سائغا شرابها، لينتفع بها الشاربون

والغارسون والزارعون، وأن يكون البحر ملحا أجاجا، لئلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من الحيوانات ولأنه ساكن لا يجري، فملوحته تمنعه من التغير، ولتكون حيواناته أحسن وألذ، ولهذا قال: (وَمِنْ كُلِّ)، من البحر الملح والعذب، (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا)، وهو السمك المتيسر صيده في البحر، (وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)، من لؤلؤ ومرجان وغيرهما، مما يوجد في البحر، فهذه مصالح عظيمة للعباد. ومن المصالح أيضا والمنافع في البحر، أن سخره الله تعالى يحمل الفلك من السفن والمراكب، فتراها تمخر البحر وتشقه، فتسلك من إقليم إلى إقليم آخر، ومن محل إلى محل، فتحمل السائرين وأثقالهم وتجاراتهم، فيحصل بذلك من فضل الله وإحسانه شيء كثير، ولهذا قال: (لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

البحر للتجارة

قال تعالى في سورة النحل:

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَّا كُلُّوْا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ



ذكر السعدي: أي: هو وحده لا شريك له، الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ، وهيئه
لمنافعكم المتنوعة. (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا)، وهو السمك والحوت الذي
يصطادونه منه، (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)، فتزيدكم جمالا
وحسنا إلى حسنكم، (وَتَرَى الْفُلْكَ)، أي: السفن والمراكب، (مَوَآخِرَ
فِيهِ)، أي: تمخر في البحر العجاج الهائل بمقدمها حتى تسلك فيه من
قطر إلى آخر، تحمل المسافرين وأرزاقهم وأمتعتهم وتجاراتهم التي يطلبون
بها الأرزاق وفضل الله عليهم.

رحلة الشتاء والصيف

قال تعالى في سورة قريش:

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا
رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

ذكر الطنطاوي: المراد بهذه الرحلة: ارتحالهم في الشتاء إلى بلاد اليمن،
وفي الصيف إلى بلاد الشام، من أجل التجارة، واجتلاب الريح. واستدرار
الرزق، والاستكثار من القوت واللباس وما يشبههما من مطالب الحياة.
ذكر ابن عاشور: وعند القبائل التي تحرم الأشهر الحرم والقبائل التي لا
تحرمها مثل طيء وقضاعة وختعم، فتيسرت لهم الأسفار في بلاد العرب

من جنوبها إلى شمالها، ولاذ بهم أصحاب الحاجات يسافرون معهم، وأصحاب التجارات يحملونهم سلعهم، وصارت مكة وسطاً تجلب إليها السلع من جميع البلاد العربية فتوزع إلى طالبيها في بقية البلاد، فاستغنى أهل مكة بالتجارة إذ لم يكونوا أهل زرع ولا ضرع إذ كانوا بوادٍ غير ذي زرع وكانوا يجلبون أقواتهم فيجلبون من بلاد اليمن الحبوب من برٍّ وشعير وذرة وزبيب وأديم وثياب والسيوف اليمانية، ومن بلاد الشام الحبوب والتمر والزيت والزبيب والثياب والسيوف المشرفية، زيادة على ما جعل لهم مع معظم العرب من الأشهر الحرم، وما أقيم لهم من مواسم الحج وأسواقه .

الأسواق

قال تعالى في سورة الفرقان :

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ

إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا

ذكر القرطبي: دخول الأسواق مباح للتجارة وطلب المعاش . وكان عليه السلام يدخلها لحاجته، ولتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته، ويعرض نفسه فيها على القبائل، لعل الله أن يرجع بهم إلى الحق .

ذكر ابن عاشور: وكنوا بأكل الطعام والمشى في الأسواق عن مماثلة أحواله لأحوال الناس تذرماً منهم إلى إبطال كونه رسولاً لزعمتهم أن الرسول عن الله تكون أحواله غير مماثلة لأحوال الناس، وخصوا أكل الطعام والمشى في الأسواق لأنهما من الأحوال المشاهدة المتكررة.

قال تعالى في سورة الفرقان:

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي
الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ

بَصِيرًا

ذكر ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين: إنهم كانوا يأكلون الطعام، ويحتاجون إلى التغذية به، (وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ)، أي: للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأعمال الكاملة، والخوارق الباهرة، والأدلة القاهرة، ما يستدل به كل ذي لب سليم، وبصيرة مستقيمة، على صدق ما جاءوا به من الله عز وجل.

ذكر القرطبي: هذه الآية أصل في تناول الأسباب وطلب المعاش بالتجارة والصناعة وغير ذلك... قال لي بعض مشايخ هذا الزمان في كلام جريء: إن الأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا ليسنوا الأسباب للضعفاء؛ فقلت مجيباً له: هذا قول لا يصدر إلا من الجهال والأغبياء والرعاغ السفهاء، أو من طاعن في الكتاب والسنة العلياء؛ وقد أخبر الله تعالى في كتابه عن أصفياه ورسله وأنبيائه بالأسباب والاحتراف فقال وقوله الحق: وعلمناه صنعة لبوس لكم. وقال: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، قال العلماء: أي يتجرون ويحترفون.

المال

حب المال

قال تعالى في سورة محمد:

إِنْ يَسْأَلْكُمْ مَوْهًا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبِذَلِكَ، (يُخْرِجُ أَضْغَانَكُمْ)، أي:

ذكر الطنطاوي: إن يُكلفكم بإخراج جميع أموالكم، ويُبالغ في طلب ذلك منكم، تبخلوا بها فلا تعطوها، وبذلك، (يُخْرِجُ أَضْغَانَكُمْ)، أي: يُظهر أحقادكم وكراهيتكم لهذا التكليف، لأن حبكم الجسم للمال يجعلكم تكرهون كل تشريع يأمركم بإخراج جميع أموالكم.

ذكر القرطبي: قال قتادة: قد علم الله أن في سؤال المال خروج الأضغان.

عدُّ المال

قال تعالى في سورة الهمزة:

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ

ذكر القرطبي: والمقصود الذم على إمساك المال عن سبيل الطاعة.

ذكر الطبري: الذي جمع مالا وأحصى عدده، ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤد حق الله فيه، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه.

المال الكثير

قال تعالى في سورة المسد:

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ

ذكر الطنطاوي: إن أبا لهب لن يغني عنه ماله الكثير، وكسبه الوفير من حطام الدنيا. لن يُغني عنه شيئاً من عذاب الله تعالى، أو شيئاً من انتشار رسالة الله تعالى في الأرض، فإن الله سبحانه ناصر نبيه صلى الله عليه وسلم ومؤيده بروح منه. والتعبير بالماضي في قوله: (مَا أَغْنَىٰ)، لتحقيق وقوع عدم الإغناء.

الغنى

قال تعالى في سورة المنافقون :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾

ذكر السعدي: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره، فإن في ذلك الربح والفلاح، والخيرات الكثيرة، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة.

ذكر الطنطاوي: ومن يشغله حبه لماله وأولاده عن ذكر الله، وعن أداء ما كلفه سبحانه به، فأولئك هم البالغون أقصى درجات الخسران والغفلة. لأنهم خالفوا ما أمرهم به ربهم، وآثروا ما ينفعهم في عاجلتهم الفانية، على ما ينفعهم في آجلتهم الباقية.

ذكر ابن عاشور: خص الأموال والأولاد بتوجه النهي عن الاشتغال بها اشتغالاً يلهي عن ذكر الله لأن الأموال مما يكثر إقبال الناس على إنمائها والتفكير في اكتسابها بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد. ولأنها كما تشغل عن ذكر الله بصرف الوقت في كسبها

ونمائها، تشغل عن ذكره أيضاً بالتذكير لكنزها بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من إنفاقها. وأما ذكر الأولاد فهو إدماج لأن الاشتغال بالأولاد والشفقة عليهم وتدبير شؤونهم وقضاء الأوقات في التأنس بهم من شأنه أن ينسي عن تذكر أمر الله ونهيه في أوقات كثيرة فالشغل بهذين أكثر من الشغل بغيرهما.

الكنوز الضخمة

قال تعالى في سورة القصص:

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ^ط وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْكُنُوزِ مَا
إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

ذكر الطنطاوي: وآتينا قارون بقدرتنا وفضلنا من الأموال الكثيرة، ما يثقل حمل مفاتيح خزائنها، العصبية من الرجال الأقوياء، بحيث تجعلهم شبه عاجزين عن حملها. قال صاحب الكشاف: وقد بولغ في ذكر ذلك – أي في كثرة أمواله – بلفظ الكنوز، والمفتاح، والنوء، والعصبية، وأولى القوة. والمراد بالفرح في قوله سبحانه: (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ): البطر والأشر

والتفاخر على الناس، والاستخفاف بهم واستعمال نعم الله تعالى في السيئات والمعاصي .

وليس قارون هو الأكثر غنى على وجه الأرض، بل إن الله تعالى قد أهلك من قبله من هو أشد منه قوة، وأكثر جمعاً، قال تعالى :

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مَنَ الْقُرُونِ مِن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ



الكنز صفة معتبرة عند الناس

قال تعالى في سورة الفرقان :

أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ ۙ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا



ذكر الطنطاوي: ذكر صاحب الكشاف: إن صح أنه رسول الله فما باله حاله كحالنا « يأكل الطعام » كما نأكل، ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد. يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش، ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون

إنسانا معه مَلَك، حتى يتساندا في الإنذار والتخويف، ثم نزلوا أيضا فقالوا: وإن لم يكن مرفودا بَمَلَك، فليكن مرفودا بكنز يلقي إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش. ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق.

الأموال الظاهرة

قال تعالى في سورة الشعراء:

وَ كُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ

ذكر البغوي: (وَكُنُوزٍ)، يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة. قال مجاهد: سماها كنوزاً لأنه لم يعط حق الله منها، وما لم يعط حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً، قيل: كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام، كل غلام على فرس عتيق، في عنق كل فرس طوق من ذهب، (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ)، أي: مجلس حسن، قال المفسرون: أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع. وقال مجاهد، وسعيد بن جبير: هي المنابر. وذكر بعضهم: أنه كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف عليهم الأقبية من الديباج مخصوصة بالذهب.

النقود**دخول الباء على الثمن**

قال تعالى في سورة يوسف:

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾

ذكر الطنطاوي: (دَرَاهِمَ)، جمع درهم، وهي بدل من، (بِثَمَنٍ). ومَعْدُودَةٌ صفة لدرهم، وهي كناية عن كونها قليلة، لأن الشيء القليل سهل عده، بخلاف الشيء الكثير، فإنه في الغالب يوزن وزناً. والمعنى: أن هؤلاء المسافرين بعد أن أخذوا يوسف ليجعلوه عرضاً من عروض تجارتهم، باعوه في الأسواق بثمن قليل تافه، وهو عبارة عن دراهم معدودة، ذكر بعضهم أنها لا تزيد على عشرين درهماً. وقوله: (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)، بيان لعدم حرصهم على بقاءه معهم، إذ أصل الزهد قلة الرغبة في الشيء، تقول زهدت في هذا الشيء، إذا كنت كارهاً له غير مقبل عليه.

النقود من الذهب

قال تعالى في سورة آل عمران:

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ



ذكر ابن عاشور: والدينار اسم للمسكوك من الذهب الذي وزنه اثنتان وسبعون حبة من الشعير المتوسط وهو معرّب دَنَار من الرومية. وقد جعل القنطار والدينار مثلين للكثرة والقلة، والمقصود ما يفيد الفحوى من أداء الأمانة فيما هو دون القنطار، ووقوع الخيانة فيما هو فوق الدينار.

النقود من الفضة

قال تعالى في سورة الكهف:

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا الْبَيْتَآ
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ
بَوْرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيَّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ
بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا



ذكر السعدي: أرسلوا أحدهم بورقهم، أي: بالدراهم، التي كانت معهم، ليشتري لهم طعاما يأكلونه، من المدينة التي خرجوا منها، وأمروه أن يتخير من الطعام أزكاه، أي: أطيبه وألذه، وأن يتلطف في ذهابه وشرائه وإيابه، وأن يختفي في ذلك، ويخفي حال إخوانه، ولا يشعرن بهم أحدا. وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم، وظهورهم عليهم، أنهم بين أمرين، إما الرجم بالحجارة، فيقتلونهم أشنع قتلة، لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإما أن يفتنوهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم، وفي هذه الحال، لا يفلحون أبدا، بل يحشرون في دينهم ودنياهم وأخراهم، وقد دلت هاتان الآيتان، على عدة فوائد.

منها: الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك. ومنها: الأدب فيمن اشتبه عليه العلم، أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده. ومنها: صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك. ومنها: جواز أكل الطيبات، والمطاعم اللذيذة، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه لقوله: (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ)، وخصوصا إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك ولعل هذا عمدة كثير من المفسرين، القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة، التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها.

المال يحتاج رقابة

قال تعالى في سورة آل عمران :

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ



ذكر الطنطاوي: إن من أهل الكتاب فريقا إن تأتمنه على الكثير والنفيس من الأموال يؤده إليك عند طلبه كاملا غير منقوص، وإن منهم فريقا آخر إن تأتمنه على القليل والحقير من حطام الدنيا يستحله ويجحده ولا يؤديه إليك إلا إذا داوم صاحب الحق على المطالبة بحقه واستعمل كل الوسائل في الحصول عليه.

ذكر القرطبي: استدل أبو حنيفة على مذهبه في ملازمة الغريم بقوله تعالى: (إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا)، وأباه سائر العلماء، وقد تقدم في البقرة. وقد استدل بعض البغداديين من علمائنا على حبس المديان بقوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا)، فإذا كان له ملازمته ومنعه من التصرف، جاز حبسه. وقيل: إن معنى:

(إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا)، أي بوجهك فيها بك ويستحي منك، فإن الحياء في العينين ... ويقال: (قَائِمًا)، أي ملازما له؛ فإن أنظرته أنكرك. وقيل: أراد بالقيام إدامة المطالبة لا عين القيام.

أشكال المال

قال تعالى في سورة آل عمران:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ

ذكر القرطبي: قال العلماء: ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال، كل نوع من المال يتمول به صنف من الناس؛ أما الذهب والفضة فيتمول بها التجار، وأما الخيل المسومة فيتمول بها الملوك، وأما الأنعام فيتمول بها أهل البوادي، وأما الحرث فيتمول بها أهل الرساتيق. فتكون فتنة كل صنف في النوع الذي يتمول، فأما النساء والبنون ففتنة للجميع.

أكل الأموال بالباطل

قال تعالى في سورة التوبة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾

ذكر السعدي: هذا تحذير من الله تعالى لعباده المؤمنين عن كثير من
الأحبار والرهبان، أي: العلماء والعباد الذين يأكلون أموال الناس بالباطل،
أي: بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، فإنهم إذا كانت لهم رواتب من
أموال الناس، أو بذل الناس لهم من أموالهم فإنه لأجل علمهم وعبادتهم،
ولأجل هداهم وهدايتهم، وهؤلاء يأخذونها ويصدون الناس عن سبيل
الله، فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سحتا وظلما، فإن الناس ما بذلوا
لهم من أموالهم إلا ليدلوهم إلى الطريق المستقيم.

ومن أخذهم لأموال الناس بغير حق، أن يعطوهم ليفتوهم أو يحكموا لهم
بغير ما أنزل الله، فهؤلاء الأحبار والرهبان، ليحذر منهم هاتان الحالتان:
أخذهم لأموال الناس بغير حق، وصددهم الناس عن سبيل الله. (وَالَّذِينَ
يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، أي: يمسكونها، وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)،
أي: طرق الخير الموصلة إلى الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن
النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات، أو
الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت. (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

البيوع

الربا

الربا والبيع

قال تعالى في سورة البقرة:

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
 مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
 الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ
 وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ
 الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

ذكر الطبري: وأحلَّ الله الأرباح في التجارة والشراء والبيع، (وحرَّم الربا)،
 يعني الزيادة التي يزداد رب المال بسبب زيادته غريمه في الأجل، وتأخيره
 دئنه عليه. يقول عز وجل: فليست الزيادتان اللتان إحداهما من وجه
 البيع، والأخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل، سواء. وذلك أني
 حرَّمت إحدى الزيادتين وهي التي من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل
 وأحللت الأخرى منهما، وهي التي من وجه الزيادة على رأس المال الذي
 ابتاع به البائع سلعته التي يبيعها، فيستفضل فضلها. فقال الله عز وجل:

ليست الزيادة من وجه البيع نظيرَ الزيادة من وجه الربا، لأنِّي أحللت البيع، وحرّمت الربا، والأمرُ أمرِي والخلق خلقي، أقضي فيهم ما أشاء، وأستعبدهم بما أريد، ليس لأحد منهم أن يعترض في حكمي، ولا أن يخالف أمرِي، وإنما عليهم طاعتي والتسليمُ لحكمي .

ذكر الطنطاوي: قال الإمام الرازي: اعلم أنه لما كان الداعي إلى التعامل بالربا تحصيل المزيد من الخيرات، والصارف عن الصدقات الاحتراز عن نقصان المال، لما كان الأمر كذلك بين سبحانه أن الربا، وإن كان زيادة في الحال إلا أنه نقصان في الحقيقة، وأن الصدقة وإن كانت نقصانا في الصورة إلا أنها زيادة في المعنى، واللائق بالعاقل أن لا يلتفت إلى ما يقضى به الطبع والحس والدواعي والصورف، بل يعول على ما أمر به الشرع. ثم قال: واعلم أن محق الربا وإرباء الصدقات يحتمل أن يكون في الدنيا وأن يكون في الآخرة. أما محق الربا في الدنيا فمن وجوه:

أحدها: أن الغالب في المرابي وإن كثر ماله أن تؤول عاقبته إلى الفقر، وتزول البركة عنه، ففي الحديث: (الرُّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ إِلَى قَلٍ).

وثانيها: إن لم ينقص ماله فإن عاقبته الذم والنقص وسقوط العدالة وزوال الأمانة .

وثالثها: إن الفقراء يلعنونه ويغضونه بسبب أخذه لأموالهم .

ورابعها: أن الأطماع تتوجه إليه من كل ظالم وطماع بسبب اشتهاره أنه قد جمع ماله من الربا ويقولون: إن ذلك المال ليس له في الحقيقة فلا يترك في يده.

الربا المضاعفة

قال تعالى في سورة آل عمران:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

ذكر الطنطاوي: وكان الرجل في الجاهلية إذا كان له على إنسان مائة درهم - مثلا - إلى أجل، فإذا حلَّ الأجل ولم يكن المدين واجداً لذلك المال، قال: زدني في المال حتى أزيد في الأجل، فربما جعله مائتين، ثم إذا حلَّ الأجل الثاني فعل مثل ذلك ثم إلى آجال كثيرة، فيأخذ بسبب تلك المائة أضعافها فهذا هو المراد من قوله: (أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً).

ذكر القرطبي: قال مجاهد: كانوا يبيعون البيع إلى أجل، فإذا حلَّ الأجل زادوا في الثمن على أن يؤخروا.

البيع

البيع ليس مثل الربا

قال تعالى في سورة البقرة:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا^ج



ذكر البغوي: (إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) ، أي ذلك الذي نزل بهم لقولهم هذا واستحلّ لهم إياه وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حلّ ماله على غريمه فطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق: زدني في الأجل حتى أزيدك في المال فيفعلان ذلك ويقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير، فكذبهم الله تعالى وقال: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) ، واعلم أن الربا في اللغة الزيادة... وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة إنما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

البيع

قال تعالى في سورة البقرة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ
وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

ذكر الطبري: ادخروا لأنفسكم عند الله في دنياكم من أموالكم، بالنفقة منها في سبيل الله، والصدقة على أهل المسكنة والحاجة، وإيتاء ما فرض الله عليكم فيها، وابتاعوا بها ما عنده مما أعده لأوليائه من الكرامة، بتقديم ذلك لأنفسكم، ما دام لكم السبيل إلى ابتياعه، بما ندبتكم إليه، وأمرتكم به من النفقة من أموالكم، من (قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ)، يعني من قبل مجيء يوم لا بيع فيه، يقول: لا تقدرّون فيه على ابتياع ما كنتم على ابتياعه - بالنفقة من أموالكم التي رزقتكموها - بما أمرتكم به، أو ندبتكم إليه في الدنيا قادرين، لأنه يوم جزاء وثواب وعقاب، لا يوم عمل واكتساب وطاعة ومعصية، فيكون لكم إلى ابتياع منازل أهل الكرامة بالنفقة حينئذ - أو بالعمل بطاعة الله، سبيل.

ذكر ابن عاشور: (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ)، حث آخر لأنه يذكر بأن هنالك وقتاً تنتهي الأعمال إليه ويتعذر الاستدراك فيه، واليوم هو يوم القيامة، وانتفاء البيع والخلة والشفاعة كناية عن تعذر التدارك للفتات، لأن المرء يحصل ما يعوزه بطرق هي المعاوضة المعبر عنها بالبيع، والارتفاق من الغير وذلك بسبب الخلة، أو بسبب توسط الواسطة إلى من ليس بخليل.

التجارة والبيع

قال تعالى في سورة النور:

رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ

الرِّزْقِ لَا يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾

ذكر السعدي: رجال، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا، ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب، مشغلة عنه، (لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ)، وهذا يشمل كل تكسب يقصد به العوض، فيكون قوله: (وَلَا بَيْعٌ)، من باب عطف الخاص على العام، لكثرة الاشتغال بالبيع على غيره، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه. لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على، (ذِكْرِ اللَّهِ).

ذكر البغوي: (تِجَارَةٌ)، قيل خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات، وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لأنه ذكر البيع بعد هذا، كقوله: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا (الجمعة: ١١)، يعني: الشراء، وقال الفراء: التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه.

ذكر ابن كثير: روى عمرو بن دينار القهرماني، عن سالم، عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت.

ذكر القرطبي: لا تشغلهم، (تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ)، خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل بها الإنسان عن الصلاة. فإن قيل: فلم كرر ذكر البيع والتجارة تشمله؟ قيل له: أراد بالتجارة الشراء، لقوله: (وَلَا بَيْعٌ). نظيره قوله تعالى: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا (الجمعة: ١١) قاله الواقدي. وقال الكلبي: التجار هم الجلاب المسافرون، والباعة هم المقيمون.

البيع وقت الجمعة

قال تعالى في سورة الجمعة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

ذكر السعدي: المبادرة إليها والاهتمام لها، وجعلها أهم الأشغال، لا العدو الذي قد نهى عنه عند المضي إلى الصلاة، وقوله: (وَذَرُوا الْبَيْعَ)، أي: اتركوا البيع، إذا نودي للصلاة، وامضوا إليها.

ذكر الطنطاوي: والمراد من البيع هنا: المعاملة بجميع أنواعها، فهو يعم البيع والشراء وسائر أنواع المعاملات .

ذكر البغوي: قال سعيد بن المسيب: (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)، قال هو موعظة الإمام، (وَذَرُوا الْبَيْعَ)^ج، يعني البيع والشراء لأن اسم البيع يتناولهما جميعاً. وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني، وقال الزهري: عند خروج الإمام. وقال الضحاك: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء، (ذَلِكَكُمْ)، الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع، (خَيْرٌ لَّكُمْ)، من المبايعة، (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، مصالح أنفسكم. واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان، فتجب على كل من جمع العقل، والبلوغ، والحرية والذكورة والإقامة إذا لم يكن له عذر. ومن تركها استحق الوعيد .

الشراء

قال تعالى في سورة يوسف:

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّاتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ﴿٢١﴾

ذكر الطنطاوي: (دَرَاهِمَ) جمع درهم، وهي بدل من (بِثْمَنٍ). و (مَعْدُودَةٌ) صفة لدراهم، وهي كناية عن كونها قليلة، لأن الشيء القليل يسهل عده، بخلاف الشيء الكثير، فإنه في الغالب يوزن وزنا. والمعنى: أن هؤلاء المسافرين بعد أن أخذوا يوسف ليجعلوه عرضا من عروض تجارتهم، باعوه في الأسواق بثمان قليل تافه، وهو عبارة عن دراهم معدودة، ذكر بعضهم أنها لا تزيد على عشرين درهما.

تعظيم الشراء

قال تعالى في سورة الكهف:

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا الْبَيْتَنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ
بِبُورِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ
بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا



ذكر الطنطاوي: ابعثوا أحدكم بورقكم. أي: بدراهمكم المضروبة من الفضة، (إلى المدينة)، التي يوجد بها الطعام الذي نحن في حاجة إليه، والتي هي أقرب مكان إلى الكهف.

الشراء بالثمن القليل

قال تعالى في سورة البقرة:

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

ذكر الطبري: وأما تأويل قوله: (وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا)، فإنه يعني: يبتاعون به. والهاء التي في به، من ذكر الكتمان. فمعناه: ابتاعوا بكتمانهم ما كتّموا الناس من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر نبوته ثمنًا قليلًا. وذلك أن الذي كانوا يُعْطُونَ على تحريفهم كتاب الله وتأويلهموه على غير وجهه، وكتمانهم الحق في ذلك اليسير من عرض الدنيا.

الشراكة

الشركاء

قال تعالى في سورة الزمر:

ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ
هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

ذكر الطنطاوي: قال صاحب الكشاف: واضرب يا محمد لقومك مثلاً،
وقل لهم: ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء، بينهم
اختلاف وتنازع. كل واحد منهم يدعي أنه عبده، فهم يتجادبونه،
ويتعاورونه في مهن شتى، وإذا عنت له حاجة تدافعوه، فهو متحير في
أمره، قد تشعبت الهموم قلبه، وتوزعت أفكاره، لا يدري أيهم يرضي
بخدمته، وعلى أيهم يعتمد في حاجاته.

الشراكة

قال تعالى في سورة ص:

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ
لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾

ذكر الطنطاوي: وإن كثيرا من الخلطاء، أي الشركاء جمع خليط، وهو من
يخلط ماله بمال غيره.

ذكر القرطبي: إطلاق الخلطاء على الشركاء فيه بعد، وقد اختلف العلماء في صفة الخلطاء، فقال أكثر العلماء: هو أن يأتي كل واحد بغنمه فيجمعهما راع واحد والدلو والمراح. وقال طاوس وعطاء: لا يكون الخلطاء إلا الشركاء.

التعهدات

قال تعالى في سورة البقرة:

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

ذكر الطنطاوي: عهدنا: أمرنا وأوحينا، وأن مفسرة المأمور به أو الموصى به المشار إليه بقوله: (عَهِدْنَا)، أي: أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي. وأضاف سبحانه البيت إليه للتشريف والتكريم ومعنى تطهيره: صيانته من كل ما لا يليق بيوت الله من الأقدار والأرجاس والأوثان وكل ما كان مظنة للشرك، فالمقصود تطهيره من كل رجس حسي ومعنوي.

ذكر ابن كثير: قال الحسن البصري: قوله: (وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ)، قال: أمرهما الله أن يطهراه من الأذى والنجس ولا يصيبه من ذلك شيء.

ذكر القرطبي: وقال السدي: ابنيه وأسساه على طهارة ونية طهارة... طهرا بيتي دخل فيه بالمعنى جميع بيوته تعالى، فيكون حكمها حكمه في التطهير والنظافة.

روى ابن المنذر وغيره عن أسامة قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم صوراً في الكعبة فكنت آتية بماء في الدلو يضرب به تلك الصور.

ذكر الطبري: فمعنى الآية: وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفين. والتطهير الذي أمرهما الله به في البيت، هو تطهيره من الأصنام، وعبادة الأوثان فيه، ومن الشرك بالله.

ذكر ابن عاشور: وقوله: (وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ)، العهد أصله الوعد المؤكد وقوعه... والمراد من تطهير البيت ما يدل عليه لفظ التطهير من محسوس بأن يحفظ من القاذورات والأوساخ ليكون المتعبّد فيه مقبلاً على العبادة دون تكدير، ومن تطهير معنوي وهو أن يُبَعَدَ عنه ما لا يليق بالقصد من بنائه من الأصنام والأفعال المنافية للحق كالعدوان والفسوق، والمنافية للمروءة كالطواف عرياً دون ثياب الرجال والنساء. وفي هذا

تعريض بأن المشركين ليسوا أهلاً لعمارة المسجد الحرام لأنهم لم يطهروه مما يجب تطهيره منه .

المضاربة

قال تعالى في سورة آل عمران :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا الْإِحْوَانُ هُمْ إِذَا

ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ

ذكر السعدي: (إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ)، أي: سافروا للتجارة.

ذكر ابن عاشور: الضرب في الأرض هو السفر، فالضرب مستعمل في السير لأن أصل الضرب هو إيقاع جسم على جسم وقرعه به، فالسير ضرب في الأرض بالأرجل، فأطلق على السفر للتجارة.

العمل

العمل ناجم عن القدرة الجسمانية للإنسان، فإذا حصلت حيازة لشيء، مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ (النور: ٦١)، كان ذلك في حصول الملكية، وقد يكون بداية تحقيق الثروة بتراكم المال لادخاره وحسن إدارته.

العمل بالنهار

قال تعالى في سورة الإسراء:

جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ
مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا أَفْضَالَ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَا تَفْصِيلًا

ذكر الطنطاوي: قال الألووسي: وفي التعبير عن الرزق بالفضل، وعن الكسب بالابتغاء: دلالة على أنه ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب، وإنما الإيعاء من الله تعالى بطريق التفضل.

ذكر ابن كثير: ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصناعات والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجازات وغير ذلك.

ذكر الطبري: ومن نعمته عليكم أيها الناس، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار، بإظلامه علامة الليل، وإضاءته علامة النهار، لتسكنوا في هذا، وتتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها، وابتداء دخولها، وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها.

الحساب والوقت

ذكر الطنطاوي: وجعلنا الليل والنهار على هذه الصفة من التعاقب والاختلاف في الطول والقصر لتعرفوا عن طريق ذلك عدد الأيام والشهور والأعوام، التي لا تستغنون عن معرفتها في شؤون حياتكم، ولتعرفوا أيضا الحساب المتعلق بها في معاملاتكم، وبيعكم وشرائكم، وأخذكم وعطائكم، وصلاتكم، وصيامكم، وزكاتكم، وحجكم، وأعيادكم... وغير ذلك مما تتوقف معرفته على تقلب الليل والنهار. وولوج أحدهما في الآخر.

ذكر الطبري: يقول تعالى ذكره: ومن نعمته عليكم أيها الناس، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار، بإظلامه علامة الليل، وإضاءته علامة النهار، لتسكنوا في هذا، وتتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها، وابتداء دخولها، وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها.

استئجار العامل وأجره

قال تعالى في سورة القصص:

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ

﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي
ثَمَانِي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

ذكر السعدي: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا)، أي: إحدى ابنتيه، (يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ)، أي: اجعله أجيراً عندك، يرعى الغنم ويسقيها، (إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)، أي: إن موسى أولى من استؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملاً، بإجارة أو غيرها. فإن الخلل لا يكون إلا بفقدتهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى.

عقد الإجارة

ذكر ابن عاشور: ظاهر الآية أن الإجارة المذكورة جعلت مهراً للبت. ويحتمل أن المشروط التزام الإجارة لا غير، وأما المهر فتابع لما يعتبر في شرعهم ركناً في النكاح، والشرائع قد تختلف في معاني الماهيات الشرعية. وإذا أخذنا بظاهر الآية كانت دالة على أنهما جعللا المهر منافع إجارة الزوج لشعيب فيحتمل أن يكون ذلك برضاها لأنها سمعت وسكتت بناء على عوائد مرعية عندهم بأن ينتفع بتلك المنافع أبوها.

الجُعالة

قال تعالى في سورة يوسف:

قَالُوا نَفَقْدُصُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾

ذكر ابن كثير: أي: صاعه الذي يكيل به، (وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ)، وهذا من باب الجعالة، (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ)، وهذا من باب الضمان والكفالة. ذكر القرطبي: قال بعض العلماء: في هذه الآية دليلان: أحدهما: جواز الجعل، وقد أجاز للضرورة؛ فإنه يجوز فيه من الجهالة ما لا يجوز في غيره؛ فإذا قال الرجل: من فعل كذا فله كذا صح. وشأن الجعل أن يكون أحد الطرفين معلوماً والآخر مجهولاً للضرورة إليه؛ بخلاف الإجارة؛ فإنه

يتقدر فيها العوض والمعوض من الجهتين؛ وهو من العقود الجائزة التي يجوز لأحدهما فسخه؛ إلا أن المَجْعول له يجوز أن يفسخه قبل الشروع وبعده، إذا رضي بإسقاط حقه، وليس للجاعل أن يفسخه إذا شرع المَجْعول له في العمل. ولا يشترط في عقد الجعل حضور المتعاقدين، كسائر العقود؛ لقوله: ولمن جاء به حمل بعير وبهذا كله قال الشافعي... فمتى قال الإنسان، من جاء بعبدني الآبق فله دينار لزمه ما جعله فيه إذا جاء به؛ فلو جاء به من غير ضمان لزمه إذا جاء به على طلب الأجرة؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من جاء بآبق فله أربعون درهما ولم يفصل بين من جاء به من عقد ضمان أو غير عقد. قال ابن خوير منداد ولهذا قال أصحابنا: إن من فعل بالإنسان ما يجب عليه أن يفعله بنفسه من مصالحه لزمه ذلك، وكان له أجر مثله إن كان ممن يفعل ذلك بالأجر.

اختيار الأجير الفصيح للمنصب المناسب

قال تعالى في سورة القصص:

وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا

سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ



ذكر الطنطاوي: فأرسل أخي هارون معي إلى هؤلاء القوم، لكي يساعدني ويعينني على تبليغ رسالتك. ويصدقني فيما سأدعوهم إليه، ويخلفني إذا ما اعتدى عليّ. (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذَّبُونِ): إذا لم يكن معي أخي هارون يعينني ويصدقني. والمتأمل في هذا الكلام الذي ساقه الله تعالى على لسان موسى عليه السلام يرى فيه إخلاصه في تبليغ رسالة ربه، وحرصه على أن يؤتى هذا التبليغ ثماره الطيبة على أكمل صورة، وأحسن وجه.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت تصديق أخيه ما الفائدة فيه؟ قلت: ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت، أو يقول للناس صدق أخي، وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق، ويبسط القول فيه، ويجادل به الكفار كما يصدق القول بالبرهان. وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك، لا لقوله: صدقت.

ذكر ابن كثير: أي: وزيراً ومعيناً ومقوياً لأمري.

ذكر الطبري: وقيل: إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه، لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخير، كانت النفس إلى تصديقهما، أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد.

ذكر ابن عاشور: هذا سؤال صريح يدل على أن موسى لا يريد بالأول التنصل من التبليغ ولكنه أراد تأييده بأخيه. وإنما عينه ولم يسأل مؤيداً ما لعلمه بأمانته وإخلاصه لله ولأخيه وعلمه بفصاحة لسانه.

تدرج الأعمال والوظائف

قال تعالى في سورة الزخرف:

أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا
وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

ذكر السعدي: وفي هذه الآية تنبيه على حكمة الله تعالى في تفضيل الله بعض العباد على بعض في الدنيا، (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا)، أي: ليسخر بعضهم بعضاً، في الأعمال والحرف والصنائع. فلو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتج بعضهم إلى بعض، لتعطلت كثير من مصالحهم ومنافعهم.

ذكر الطنطاوي: قال الجمل ما ملخصه: قوله: (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا)، أي: ليستخدم بعضهم بعضا، فيسخر الأغنياء بأموالهم، الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض، هذا بماله، وهذا بأعماله، فيلتئم قوام العالم، لأن الأرزاق لو تساوت لتعطلت المعاش، فلم يقدر أحد منهم أن ينفك عما جعلناه إليه من هذا الأمر الدنيء.

التحكيم

القضاء

قال تعالى في سورة ص:

إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ وَدَفَعِرَ مِنْهُمْ قَالُوا الْآتِخْفُ خَصْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ

الصِّرَاطِ

ذكر الطبري: نحن خصمان بغى بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحكم الحق، ولا تتجاوزه إلى غيره، (واهدنا إلى سواء الصراط)، أي: وأرشدنا إلى الطريق الوسط، وهو طريق الحق والعدل.

ذكر القرطبي: كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام، يوم يقضي فيه بين الناس، ويوم يخلو فيه بعبادة ربه، ويوم يخلو فيه بنسائه وأشغاله.

الكاتب بالعدل :

قال تعالى في سورة البقرة :

وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا
 عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا
 يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا



ذكر السعدي : أمر الكاتب أن يكتب، وأن يكون عدلا في نفسه لأجل اعتبار كتابته، لأن الفاسق لا يعتبر قوله ولا كتابته، وأنه يجب عليه العدل بينهما، فلا يميل لأحدهما لقراءة أو صداقة أو غير ذلك، أن يكون الكاتب عارفاً بكتابة الوثائق وما يلزم فيها كل واحد منهما، وما يحصل به التوثق، لأنه لا سبيل إلى العدل إلا بذلك .

ذكر الطبري : يعني بالحق والإنصاف في الكتاب الذي يكتبه بينهما، بما لا يحيف ذا الحق حقه، ولا يبخسه، ولا يوجب له حجة على من عليه دينه فيه باطل، ولا يلزمه ما ليس عليه . حدثنا بشر قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة في قوله : (وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ)، قال : اتقى الله كاتب في كتابه، فلا يدعن منه حقا، ولا يزيدن فيه باطلا .

التحكيم بكتاب الله

قال تعالى في سورة آل عمران :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ

لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

ذكر القرطبي : فيها دليل على أن شرائع من قبلنا شريعة لنا إلا ما علمنا نسخه، وإنه يجب علينا الحكم بشرائع الأنبياء قبلنا، على ما يأتي بيانه . وإنما لا نقرأ التوراة ولا نعمل بما فيها لأن من هي في يده غير أمين عليها وقد غيرها وبدلها، ولو علمنا أن شيئاً منها لم يتغير ولم يتبدل جاز لنا قراءته .

ذكر ابن عاشور : روي في سبب نزول هذه الآية : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدرّاس اليهود فدعاهم إلى الإسلام، فقال له نعيم بن عمرو، والحارث بن زيد : على أيّ دين أنت ؟ قال : على ملة إبراهيم . قال : فإنّ إبراهيم كان يهودياً . فقال لهما : إنّ بيننا وبينكم التوراة فهلّموا إليها، فأبيا .

الحكم يكون بالحق

قال تعالى في سورة ص :

يَا دَاوُدُ وُدُّنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٣٦﴾

ذكر الطنطاوي: هذه القصة، بتلك التوجيهات الحكيمة، والآداب القويمية، التي وجهها سبحانه إلى كل حاكم في شخص داود عليه السلام... (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى)، أي: إذا كان الأمر كما أخبرناك فاحكم يا داود بين الناس بالحكم الحق الذي أرشدك الله تعالى إليه، وواظب على ذلك في جميع الأزمان والأحوال: ولا تتبع هوى النفس وشهواتها، فإن النفس أمانة بالسوء.

ذكر القرطبي: لتحكم بين الناس بما أراك الله... هذه الآية تمنع من حكم الحاكم بعلمه؛ لأن الحكام لو مكنوا أن يحكموا بعلمهم لم يشأ أحدهم إذا أراد أن يحفظ وليه ويهلك عدوه إلا ادعى علمه فيما حكم به.

التحكيم بين الزوجين

قال تعالى في سورة النساء:

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

ذكر السعدي: والحكم يحكم ولو لم يرض المحكوم عليه .
 ذكر الطنطاوي: وإن علمتم أيها المؤمنون أن هناك خلافا بين الزوجين قد يتسبب عنه النفور الشديد، وانقطاع حبال الحياة الزوجية بينهما، ففي هذه الحالة عليكم أن تبعثوا، (حَكَمًا)، أي: رجلا صالحا عاقلا أهلا للإصلاح ومنع الظالم من الظلم، (مِّنْ أَهْلِ)، أي: من أهل الزوج وأقاربه، (وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا)، أي: من أقارب الزوجة بحيث يكون على صفة الأول: لأن الأقارب في الغالب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للإصلاح، وتسكن إليهم النفس أكثر من غيرهم. وعلى الحكمين في هذه الحالة أن يستكشفوا حقيقة الخلاف، وأن يعرفوا هل الإصلاح بين الزوجين ممكن أو أن الفراق خير لهما؟.

ذكر القرطبي: إن خفتم أي علمتم خلافا بين الزوجين فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها والحكمان لا يكونان إلا من أهل الرجل والمرأة؛ إذ هما أقعد بأحوال الزوجين، ويكونان من أهل العدالة وحسن النظر والبصر بالفقه. فإن لم يوجد من أهلها من يصلح لذلك فيرسل من غيرهما عدلين علمين؛ وذلك إذا أشكل أمرهما ولم يدر ممن الإساءة منهما.
 ذكر ابن عاشور: هذه الآية أصل في جواز التحكيم في سائر الحقوق.

القاضي

قال تعالى في سورة طه :

قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ

قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾

ذكر ابن عاشور: وصيغة الأمر في قوله: (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ)، مستعملة في التسوية، لأن، (مَا أَنْتَ قَاضٍ)، مَا صَدَّقَهُ مَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ مِنْ تَقْطِيعِ الأيدي والأرجل والصلبِ، أي سواء علينا ذلك بعضه أو كله أو عدم وقوعه، فلا نطلب منك خلاصاً منه جزاء طاعتك فافعل ما أنت فاعل – والقضاء هنا التنفيذ والإنجاز – فَإِنَّ عَذَابَكَ لَا يَتَجَاوَزُ هَذِهِ الْحَيَاةَ وَنَحْنُ نَرْجُو مِنْ رَبِّنَا الْجَزَاءَ الْخَالِدَ .

التحكيم الشرعي أصل من أصول الإيمان

قال تعالى في سورة النساء:

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا

فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

ذكر السعدي: ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضييق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك حتى يسلموا لحكمه تسليماً بانسراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن. فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان. فمَن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. فمَن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومَن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العصيين.

صفات من لم يحكم بما أنزل الله

قال تعالى في سورة المائدة:

وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾

ذكر السعدي: فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر.

قال تعالى في سورة المائدة:

وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

ذكر السعدي: قال ابن عباس: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، فهو ظلم أكبر، عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له.

ذكر الطنطاوي: تذييل قصد به التحذير من مخالفة حكم الله. أي: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، حيث تركوا الحكم العدل واتجهوا إلى الحكم الجائر الظالم.

قال تعالى في سورة المائدة:

وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾

ذكر الطنطاوي: تذييل مقرر ومؤكد لوجوب الامتثال لأحكام الله تعالى.

أي: ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم المتمردون الخارجون عن جادة الحق. وعن السنن القويم، والصراط المستقيم.

المنار: إذا تأملت الآيات السابقة ظهر لك نكتة التعبير بالكفر في الأولى وبوصف الظلم في الثانية، وبوصف الفسوق في الثالثة:

ففي الآية الأولى كان الكلام في التشريع، وإنزال الكتاب مشتملا على الهدى والنور، والتزام الأنبياء وحكماء العلماء بالعمل والحكم به. فكان

من المناسب أن يختم الكلام ببيان أن كل معرض عن الحكم به لعدم الإذعان له، مؤثرا لغيره عليه . يكون كافرا به .

وأما الآية الثانية فلم يكن الكلام فيها في أصل الكتاب الذي هو ركن الإيمان، بل في عقاب المعتدين على الأنفس أو الأعضاء . فمن لم يحكم بحكم الله في ذلك يكون ظلما في حكمه .

وأما الآية الثالثة فهي في بيان هداية الإنجيل وأكثرها مواعظ وآداب وترغيب في إقامة الشريعة على الوجه الذي يطابق مراد الشارع وحكمته . فمن لم يحكم بهذه الهداية ممن خوطبوا فهم الفاسقون بالمعصية، والخروج عن محيط تأديب الشريعة .

التوريد واللوجستيات

التخزين

الادخار والتخزين

قال تعالى في سورة آل عمران :

وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

ذكر الطنطاوي: إن عيسى عليه السلام قد قال لقومه بني إسرائيل: وإن من معجزاتي التي تدل على صدقي فيما أبلغه عن ربي أنيذ أخبركم بالشيء الذي تأكلونه وبالشيء الذي تخبئونه في بيوتكم لوقت حاجتكم إليه.

الخزائن

قال تعالى في سورة يوسف:

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾

ذكر السعدي: أي: على خزائن جبايات الأرض وغلالاتها، وكيلها حافظاً مديراً.

ذكر البغوي: قال الكلبي: حفيظ بتقديره في السنين الخصبه في الأرض الجدبة عليهم بوقت الجوع حين يقع، فقال له الملك: ومن أحق به منك؟! فولاه ذلك، وقال له: إنك اليوم لدينا مكين، ذو مكانة ومنزلة، أمين على الخزائن.

ذكر ابن عاشور: والمراد من: (خَزَائِنِ الْأَرْضِ)، خزائن كانت موجودة، وهي خزائن الأموال؛ إذ لا يخلو سلطان من خزائن معدودة لنواب بلادها

لا الخزائن التي زيدت من بعد لحزن الأقوات استعداداً للسنوات المعبر عنها بقوله: **مَّا تُحْصِنُونَ (يوسف: ٤٨)**.

خزائن الله تعالى

قال تعالى في سورة الحجر:

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ

ذكر السعدي: جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله، فخزائنها بيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته الواسعة، (وَمَا نُنزِلُهُ)، أي: المقدر من كل شيء من مطر وغيره، (إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)، فلا يزيد على ما قدره الله ولا ينقص منه.

ذكر الطنطاوي: وما نخرج هذا الشيء إلى حيز الوجود بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به إلا ملتبسا بمقدار معين، وفي وقت محدد، تقتضيه حكمتنا، وتستدعيه مشيئتنا، ويتناسب مع حاجات العباد وأحوالهم.

ذكر القرطبي: أي في السماء مفاتيح الأرزاق.

تخزين الماء في الأرض

قال تعالى في سورة المؤمنون:

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ

لِقَادِرُونَ ﴿١٨﴾

ذكر السعدي: وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، يكون رزقا لكم ولأنعامكم بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه، بحيث لا يكفي الأرض والأشجار، فلا يحصل منه المقصود، ولا يزيده زيادة لا تحتمل، بحيث يتلف المساكن، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله ثم صرفه عند التضرر من دوامه، (فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ)، أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدره منزله، جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضا معدا في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلا، حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره، (وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ)، إما بأن لا ننزله، أو ننزله، فيذهب نازلا لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدرُوا عدمها، ماذا يحصل به من الضرر.

ذكر البغوي: قال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة.

الحفظ

قال تعالى في سورة يوسف:

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾

ذكر السعدي: قَالَ، يوسف طلبا للمصلحة العامة: (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ،) أي: على خزائن جبايات الأرض وغلالاتها، وكيلاً حافظاً مدبراً. (إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ)، أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصاً من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه.

ذكر ابن كثير: سأل العمل لعلمه بقدرته عليه، ولما في ذلك من المصالح للناس وإنما سأل أن يجعل على خزائن الأرض، وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، ليتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد، فأجيب إلى ذلك رغبة فيه، وتكرمة له.

المستودع

قال تعالى في سورة الأنعام:

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا

الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ



ذكر الطنطاوي: أي: أنشأكم من نفس واحدة فلكم موضع الاستقرار في الأرحام أو في الأرض وموضع استيداع في الأصاب أو في القبور. وهذا التفسير مأثور عن ابن عباس، وقد زكاه الإمام الرازي فقال: ومما يدل على قوة هذا القول أن النطفة الواحدة لا تبقى في صلب الأب زمانا طويلا فالمستقر أقرب إلى الثبات من المستودع.

الخزائن

قال تعالى في سورة الطور:

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ ﴿٣٥﴾

ذكر القرطبي: أم عندهم خزائن ربك أم عندهم ذلك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن أمره. وقال ابن عباس: خزائن ربك: المطر والرزق. وقيل: مفاتيح الرحمة. وقال عكرمة: النبوة. أي أقبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة يضعونها حيث شاءوا. وضرب المثل بالخزائن؛ لأن الخزانة بيت يُهيأ لجمع أنواع مختلفة من الذخائر؛ ومقدورات الرب كالخزائن التي فيها من كل الأجناس فلا نهاية لها.

الإنفاق وملك الخزائن

قال تعالى في سورة الإسراء:

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا

ذكر القرطبي: قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي أي خزائن الأرزاق .
وقيل: خزائن النعم، وهذا أعم . إذا لأمسكتم خشية الإنفاق من البخل،
... وقيل: المعنى لو ملك أحد المخلوقين خزائن الله لما جاد بها كجود الله
تعالى؛ لأمرين: أحدهما: أنه لا بد أن يمسك منها لنفقته وما يعود
بمنفعته . الثاني: أنه يخاف الفقر ويخشى العدم . والله تعالى يتعالى في
جوده عن هاتين الحالتين .

البضاعة

قال تعالى في سورة يوسف:

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا
نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ
كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ

ذكر الطنطاوي: والمراد ببضاعتهم: الثمن الذي دفعوه للعزير في مقابل ما
أخذوه منه من زاد... وهذه بضاعتنا ردت إلينا من حيث لا ندري ومعها
الأحمال التي اشتريناها من عزير مصر لم ينقص منها شيء؟ .

البضاعة المزجاة (الرديئة)

قال تعالى في سورة يوسف :

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا
بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي

الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

ذكر الطنطاوي: البضاعة: هي القطعة من المال، يقصد بها شراء شيء. والمزجاة: هي القليلة الرديئة التي ينصرف عنها التجار إهمالاً لها. قالوا: وكانت بضاعتهم دراهم زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة، أي: بأقل قيمة، وقيل غير ذلك. وأصل الإزجاء: السوق والدفع قليلاً قليلاً، ومنه قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا)، أي: يرسله رويداً رويداً. وسميت البضاعة الرديئة القليلة مزجاة، لأنها ترد وتدفع ولا يقبلها التجار إلا بأبخس الأثمان.

ذكر البغوي: قيل: للبضاعة مزجاة لأنها غير نافقة...، (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا)، أي: تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء ولا تنقصنا.

عروض التجارة

قال تعالى في سورة يوسف :

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ
وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

ذكر السعدي: المعنى في هذا: أن السيارة لما وجدوه، عزموا أن يسروا أمره، ويجعلوه من جملة بضائعهم التي معهم، حتى جاءهم إخوته فزعموا أنه عبد أبق منهم، فاشتروه منهم بذلك الثمن، واستوثقوا منهم فيه لئلا يهرب.

ذكر الطنطاوي: البضاعة: عروض التجارة ومتاعها. وهذا اللفظ مأخوذ من البضع بمعنى القطع، وأصله جملة من اللحم تبضع، أي: تقطع.

جعل البضاعة في الرحال

قال تعالى في سورة يوسف:

وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا
إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

ذكر الطنطاوي: البضاعة في الأصل: القطعة الوفيرة من الأموال التي تقتنى للتجارة، مأخوذة من البضع بمعنى القطع. والمراد بها هنا: أثمان الطعام الذي أعطاه لهم يوسف عليه السلام.

ذكر القرطبي: بضاعتهم، أثمان ما اشتروه من الطعام. وقيل: كانت دراهم ودنانير.

النقل

التحميل والنقل

قال تعالى في سورة يوسف:

وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ



ذكر الطنطاوي: أي: اسأل أهل القرية التي كنا فيها، واسأل العير، أي: قوافل التجارة التي كنا فيها عند ذهابنا وإيابنا فإن أصحاب هذه القوافل يعلمون ما حدث من ابنك بنيامين.

السفر

قال تعالى في سورة سبأ:

قَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ
وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

ذكر البغوي: (قَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)، فاجعل بيننا وبين الشام فلووات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود الأزواد، فعجل الله لهم الإجابة. وقال مجاهد: بطروا النعمة وسئموا الراحة.

ذكر القرطبي: فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا لما بطروا وطغوا وسئموا الراحة ولم يصبروا على العافية تمنوا طول الأسفار والكدح في المعيشة.

تعدد المنافع (قضاء الحاجات، السفر، التحميل)

قال تعالى في سورة غافر:

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا
وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ

ذكر السعدي: يمتن تعالى على عباده، بما جعل لهم من الأنعام، التي بها، جملة من النعم:

منها: منافع الركوب عليها، والحمل. ومنها: منافع الأكل من لحومها، والشرب من ألبانها. ومنها: منافع الدفء، واتخاذ الآلات والأمتعة، من أصوافها، وأوبارها وأشعارها، إلى غير ذلك من المنافع. (وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ)، من الوصول إلى الأوطان البعيدة، وحصول السرور بها، والفرح عند أهلها. (وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ)، أي: على

الرواحل البرية، والفلك البحرية، يحملكم الله الذي سخرها، وهياً لها ما هياً، من الأسباب، التي لا تتم إلا بها.

الشحن البحري

قال تعالى في سورة الشعراء:

فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾

ذكر الطنطاوي: المشحون: المملوء بهم وبكل ما يحتاجون إليه من وسائل المعيشة.

ذكر ابن كثير: المشحون: هو المملوء بالأمثلة والأزواج التي حمل فيه من كل زوجين اثنين.

قال تعالى في سورة يس:

وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾

ذكر الطنطاوي: المملوءة بما ينفعهم دون أن يصيبهم أذى، وسخرنا لهم هذه السفن لينتقلوا فيها من مكان إلى آخر.

قال تعالى في سورة الصافات:

إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾

ذكر السعدي: لجأ، (إِلَى الْفُلِّكَ الْمُشْحُونِ)، بالركاب والأمتعة، فلما ركب مع غيره، والفلك شاحن، ثقلت السفينة.

ركوب أي وسيلة

قال تعالى في سورة يس:

وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾

ذكر الطنطاوي: قال الضحاك وغيره: هي السفن المتخذة بعد سفينة نوح عليه السلام.

ذكر البغوي: قيل: أراد به السفن التي تجري في الأنهار فهي في الأنهار كالفلك الكبار في البحار، وهذا قول قتادة، والضحاك وغيرهما. وروي عن ابن عباس أنه قال: يعني: الإبل، فالإبل في البر كالسفن في البحر.

البريد والبريد الزاجل

قال تعالى في سورة النمل:

اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ



ذكر ابن كثير: وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتابا إلى بلقيس وقومها. وأعطاه لذلك الهدهد فحملة، قيل: في جناحه كما هي عادة الطير، وقيل: بمنقاره. وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس، إلى الخلوّة التي كانت تختلي فيها بنفسها، فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها، ثم تولى ناحية أدبا ورياسة، فتحيرت مما رأت، وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته، ففتحت ختمه وقرأته، فإذا فيه: (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (النمل: ٣٠).

الأعمال المنكرة

البغاء

قال تعالى في سورة مريم:

قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾

ذكر ابن عاشور: وأما قولها: (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)، فهو نفي لأن تكون بغياً من قبل تلك الساعة، فلا ترضى بأن ترمى بالبغاء بعد ذلك. فالكلام كناية عن التنزه عن الوصم بالبغاء بقاعدة الاستصحاب، والمعنى: ما كنت بغياً فيما مضى أفأعدّ بغياً فيما يستقبل.

الإكراه على البغاء

قال تعالى في سورة النور:

وَلَا تُكْرَهُهُوَ افْتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُغُوا عَرَضَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ



ذكر الطنطاوي: أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه أنهم كانوا في
الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنا، ويأخذون أجورهن، فنهوا عن ذلك
في الإسلام، ونزلت الآية.

إتيان المنكر في النادي

قال تعالى في سورة العنكبوت:

أَيْنَكُمْ لَتَاتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ
الْمُنْكَرَ ط مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعْنَا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ



ذكر السعدي: فأرسل الله لوطا إلى قومه، وكانوا مع شركهم، قد جمعوا
بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل، وفسو المنكرات في

مجالسهم، فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبين لهم قبائحها في نفسها، وما تؤول إليه من العقوبة البليغة، فلم يرعوا ولم يذكروا.

النفاثات في العقد

قال تعالى في سورة الفلق:

وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾

ذكر السعدي: أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر.

الحسد

قال تعالى في سورة الفلق:

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

ذكر السعدي: الحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عموماً وخصوصاً.

الكيد

قال تعالى في سورة يوسف :

كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ

ذكر القرطبي : والكيد : المكر والحيلة . وإنما قال عظيم لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن .
ذكر ابن عاشور : الكيد : فعل شيء في صورة غير المقصودة للتوصل إلى مقصود .

التولي والإفساد

قال تعالى في سورة محمد :

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ

٢٢

ذكر الطبري : قال سليمان في حديثه : قال أبو هريرة : ... فهل عسيتم إن توليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض بمعنى الولاية .

بطلان الأعمال

قال تعالى في سورة محمد :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا

أَعْمَالَكُمْ

ذكر الطبري: حدثنا بشر، ... من استطاع منكم أن لا يبطل عملاً صالحاً عمله بعمل سيء فليفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشر، وإن الشر ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها.

ذكر ابن عاشور: الإبطال: جعل الشيء باطلاً، أي لا فائدة منه، فالإبطال تتصف به الأشياء الموجودة. ومعنى النهي عن إبطالهم الأعمال: النهي عن أسباب إبطالها... وكان بعض السلف يخشى أن يكون ارتكاب الفواحش مبطلاً لثواب الأعمال الصالحة ويحمل هذه الآية على ذلك، وقد قالت عائشة لما بلغها أن زيد بن أرقم عقد عقداً تراه عائشة حراماً: أخبروا زيدا أنه أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم يترك فعله هذا ولعلها أرادت بذلك التحذير وإلا فما وجه تخصيص الإحباط بجهاده وإنما علمت أنه كان أنفس عمل عنده.

الأعمال الخاسرة

قال تعالى في سورة الكهف:

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا

ذكر الطنطاوي: الأخسرون: جمع أخسر، صيغة تفضيل من الخسران، وأصله نقص مال التاجر. والمراد به هنا: خسران أعمالهم وضياعها بسبب إصرارهم على كفرهم. وجمع الأعمال، للإشعار بتنوعها، وشمول الخسران لجميع أنواعها.

ذكر ابن كثير: هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود. ذكر الطبري: الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبتغون به ربحاً وفضلاً فنالوا به عطباً وهلاكاً ولم يدركوا طلباً، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحاً، فخاب رجاؤه. وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله.

الأخبار والرهبان

قال تعالى في سورة التوبة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

ذكر السعدي: هذا تحذير من الله تعالى لعباده المؤمنين عن كثير من الأخبار والرهبان، أي: العلماء والعباد الذين يأكلون أموال الناس بالباطل،

أي: بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، فإنهم إذا كانت لهم رواتب من أموال الناس، أو بذل الناس لهم من أموالهم فإنه لأجل علمهم وعبادتهم، ولأجل هداهم وهدايتهم، وهؤلاء يأخذونها ويصدون الناس عن سبيل الله، فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سحتا وظلما، فإن الناس ما بذلوا لهم من أموالهم إلا ليدلوهم إلى الطريق المستقيم. ومن أخذهم لأموال الناس بغير حق، أن يعطوهم ليفتوهم أو يحكموا لهم بغير ما أنزل الله، فهؤلاء الأحرار والرهبان، ليحذر منهم هاتان الحالتان: أخذهم لأموال الناس بغير حق، وصدهم الناس عن سبيل الله.

السحر

قال تعالى في سورة البقرة:

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ
 وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ
 الْمَلَائِكَةِ بَبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ
 يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ
 الْمُرءِ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا

يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا الْمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ
 وَلبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴿١٠٢﴾

ذكر الطنطاوي: اختصت بابل بالإنزال، لأنها كانت أكثر البلاد عملا
 بالسحر، وكان سحرتها قد اتخذوا السحر وسيلة لتسخير العامة لهم في
 أبدانهم وعقولهم وأموالهم، ثم جروهم إلى عبادة الأصنام والكواكب
 فحدث فساد عظيم، وعمت الأباطيل فألهم الله تعالى هاروت وماروت أن
 يكشفوا للناس حقيقة السحر ودقائقه، حتى يعلموا أن السحرة الذين
 صرفوهم عن عبادة الله إلى عبادة الكواكب وغيرها قد خدعوهم
 وأضلوهم، وبذلك يعودون إلى الصراط المستقيم.

قال تعالى في سورة طه:

قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ
 بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ﴿٦٣﴾

ذكر ابن كثير: الغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون أن هذا الرجل
 وأخاه يعنون: موسى وهارون، ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر،
 يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس، وتتبعهما
 العامة ويقاتلا فرعون وجنوده، فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم.

ذكر السعدي: (وَيَذْهَبًا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى)، أي: طريقة السحر حسدكم عليها، وأراد أن يظهر عليكم، ليكون له الفخر والصيت والشهرة، ويكون هو المقصود بهذا العلم، الذي أشغلتكم زمانكم فيه، ويذهب عنكم ما كنتم تأكلون بسببه، وما يتبع ذلك من الرياسة، وهذا حض من بعضهم على بعض على الاجتهاد في مغالبتة.

السحر، الحبال، العصي

قال تعالى في سورة طه:

قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى



ذكر ابن كثير: أي: أنتم أولا ليرى ماذا تصنعون من السحر، وليظهر للناس جليلة أمرهم... وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد، بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة، وكانوا جما غفيرا وجمعا كبيرا فألقى كل منهم عصا وحبالا حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضا.

الخمير والميسر

قال تعالى في سورة البقرة:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ
وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

ذكر السعدي: إثمهما ومضارهما، وما يصدر منهما من ذهاب العقل
والمال، والصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، والعداوة، والبغضاء - أكبر مما
يظنونه من نفعهما، من كسب المال بالتجارة بالخمر، وتحصيله بالقمار
والطرب للنفوس، عند تعاطيهما.

ذكر الطنطاوي: هذا وجمهور العلماء على أن كلمة « خمر » تشمل كل
شراب مسكر سواء أكان من عصير العنب أم من الشعير أم من التمر أم من
غير ذلك، وكلها سواء في التحريم قل المشروب منها أو كثر سكر شاربه أو
لم يسكر... أما تعاطي الميسر فمن مضاره كما يقول الأستاذ الإمام محمد
عبده: إفساد التربية بتعويد النفس الكسل، وانتظار الرزق من الأسباب
الوهمية، وإضعاف القوة العقلية، بترك الأعمال المفيدة في طرق الكسب
الطبيعية، وإهمال المقامرين للزراعة والتجارة والصناعة التي هي أركان
العمران، وتخريب البيوت فجأة بالانتقال من الغنى إلى الفقر في ساعة
واحدة، فكم من عشيرة كبيرة نشأت في العز والغنى وانحصرت ثروتها
في رجل أضعافها عليها في ليلة واحدة فأصبحت غنية وأمست فقيرة.

عصر الخمر

قال تعالى في سورة يوسف :

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ
الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ
إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

ذكر البغوي: أي: عنباً، سمي العنب خمراً باسم ما يؤول إليه.

ذكر ابن كثير: قال الضحاك يعني: عنباً. قال: وأهل عمان يسمون العنب
خمراً.

ذكر ابن عاشور: العصر: الضغط باليد أو بحجر أو نحوه على شيء فيه
رطوبة لإخراج ما فيه من المائع زيتت أو ماءٍ. والعصير: ما يستخرج من
المعصور سمي باسم محله، أي معصور من كذا.

السياحةالسياحة والحج

قال تعالى في سورة التوبة:

فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾

ذكر الطنطاوي: وتستخدم الذكاء الصناعي وأدواته لتطوير أعمالها...
وفي التعبير بقوله: (فَسِيحُوا)، من الدلالة على كمال التوسعة، ما ليس
في قوله سِيرُوا أو ما يشبهه، لأن لفظ السياحة يدل على الاتساع في
السير والبعد عن المدن، وعن موضع العمارة.

الحج والسياحة الدينية

قال تعالى في سورة التوبة:

وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ
الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾

ذكر الطنطاوي: اختير يوم الحج الأكبر لهذا الإعلام، لأنه اليوم الذي يضم
أكبر عدد من الناس يمكن أن يذاع الخبر عن طريقهم في جميع أنحاء
البلاد.

ذكر ابن عاشور: ويوم الحج الأكبر: قيل هو يوم عرفة، لأنه يوم مجتمع
الناس في صعيد واحد...

السفر

قال تعالى في سورة التوبة :

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ
الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ
أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾

ذكر السعدي: كان السفر، (قاصداً)، أي: قريبا سهلا. (لَاتَّبَعُوكَ)،
لعدم المشقة الكثيرة، (وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ)، أي: طالت عليهم
المسافة، وصعب عليهم السفر، فلذلك ثاقلوا عنك.

ذكر الطنطاوي: السفر القاصد: هو السفر القريب السهل الذي لا
يصاحبه ما يؤدي إلى التعب الشديد... والشقة: المسافة التي لا تقطع إلا
بعد تكبد المشقة والتعب.

ذكر ابن كثير: (وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ)، أي: المسافة إلى الشام.
ذكر القرطبي: وسيحلفون بالله لو استطعنا أي لو كان لنا سعة في الظهر
والمال. لخرجنا معكم.

المكاييل والموازين

شدد الإسلام على الالتزام بتحقيق العدالة، وخاصة في البيوع وزناً وكيلاً، قال صلى الله عليه وسلم: (يا معشر التجار إنكم قد وليتم أمراً هلكت فيه الأمم السابقة المكيال والميزان). كما حذر التجار من الانحراف في عملهم، قال صلى الله عليه وسلم: (إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً، إلا من اتقى الله وبر وصدق).

صواع

قال تعالى في سورة يوسف:

قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾

ذكر ابن كثير: صاعه الذي يكيل به.

ذكر الطبري: مشربة الملك.

الأوعية

قال تعالى في سورة يوسف:

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ
 كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ
 دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

ذكر الطنطاوي: (فبدأ)، المؤذن بتفتيش أوعيتهم، قبل أن يفتش وعاء «بنيامين» فلم يجد شيئاً بداخل أوعيتهم. فلما وصل إلى وعاء «بنيامين» وقام بتفتيشه وجد السقاية بداخله، فاستخرجها منه على مشهد منهم جميعاً.

ذكر الطبري: وقال آخر منهم: إنما أنت «الصواع» حين أنت لأنه أريدت به «السقاية»، وذكر حين ذكر، لأنه أريد به «الصواع».

الموازن

قال تعالى في سورة الأنبياء:

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
 مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ

ذكر السعدي: يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها الحسنات والسيئات.

ذكر ابن عاشور: الميزان: اسم آلة الوزن. وله كفيات كثيرة تختلف باختلاف العوائد، وهي تتحد في كونها ذات طبقين متعادلين في الثقل يُسميان كفتين بكسر الكاف وتشديد الفاء تكونان من خشب أو من حديد، وإذا كانتا من صُفر سُميتا صنجتين بصاد مفتوحة ونون ساكنة، معلق كل طبق بخيوط في طرف يجمعهما عود من حديد أو خشب صلب، في طرفيه عروتان يشد بكل واحدة منهما طبق من الطبقين يسمى ذلك العود (شاهين) وهو موضوع ممدوداً، وتجعل بوسطه على السواء عروة لتمسكه منها يدُ الوازن، وربما جعلوا تلك العروة مستطيلة من معدن وجعلوا فيها إبرة غليظة من المعدن منوطة بعروة صغيرة من معدن مَصُوغَةً في وسط (الشاهين) فإذا ارتفع الشاهين تحركت تلك الإبرة فإذا ساوت وسط العروة الطويلة على سواء عُرف اعتدال الوزن وإن مالت عرف عدم اعتداله، وتسمى تلك الإبرة لساناً، فإذا أريد وزن شيئين ليعلم أنهما مستويان أو أحدهما أرجح وضع كل واحد منهما في كفة، فالتى وضع فيها الأثقل منهما تنزل والأخرى ذات الأخف ترتفع وإن استويتا فالموزونان مستويان، وإذا أريد معرفة ثقل شيء في نفسه دون نسبته إلى شيء آخر جعلوا قطعاً من معدن: صُفرٍ أو نحاسٍ أو حديدٍ أو حجر ذات مقادير مضبوطة مصطلح عليها مثل الدرهم والأوقية والرطل، فجعلوها

تقديرًا لثقل الموزون ليعلم مقدار ما فيه لدفع الغبن في التعاوض،
ووحدها هو المثقال، ويسمى السنج بفتح السين المهملة وسكون النون
بعدها جيم .

ثقل الموازين

قال تعالى في سورة القارعة:

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾

ذكر السعدي: أي: رجحت .

خفة الموازين

قال تعالى في سورة القارعة:

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾

ذكر البغوي: أي: رجحت .

الميزان لإقامة العدل

قال تعالى في سورة الحديد:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

لِيُقِيمُوا النَّاسَ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾

ذكر الطنطاوي: الميزان: الآلة المعروفة بين الناس لاستعمالها في المكايل وغيرها، والمراد بها العدل بين الناس في أحكامهم ومعاملاتهم. وشاع إطلاق الميزان على العدل، باستعارة لفظ الميزان على العدل، على وجه تشبيه المعقول بالمحسوس، والمراد بإنزاله: تبليغه ونشره بين الناس.

إخسار الموازين

قال تعالى في سورة الرحمن:

وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾

ذكر الطنطاوي: عن ابن عباس والحسن وقتادة، أن المراد بالميزان ما تعرف به مقادير الأشياء، وهو الآلة المسماة بهذا الاسم. أي: أوجده في الأرض ليضبط الناس معاملاتهم في أخذهم وعطائهم.
ذكر القرطبي: وقيل: أراد وضع الميزان في الآخرة لوزن الأعمال.

القسطاس

قال تعالى في سورة الشعراء:

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾

ذكر السعدي: الميزان العادل .

ذكر الطبري: الذي لا يخس فيه على من وزنتم له .

الكيل والوزن

قال تعالى في سورة هود:

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ
وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْثِيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾

ذكر الطنطاوي: والمكيال والميزان: اسمان للآلة التي يكال بها ويوزن .
ونقص الكيل والميزان يكون من وجهين: أحدهما أن يكون الاستنقص
من جهتهم إذا باعوا لغيرهم . وثانيهما: أن يكون الاستنقص من جهة
غيرهم إذا اشتروا منه، بأن يأخذوا منه أكثر من حقهم . فكأنه عليه السلام
يقول لهم: لا تنقصوا المكيال والميزان لا عند الأخذ ولا عند الإعطاء، فلا
تعطوا غيركم أقل من حقه إذا بعتم، ولا تأخذوا منه أكثر من حقكم إذا
اشتريتهم .

ذكر القرطبي: قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره تقدم ولا تنقصوا المكيال والميزان كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف؛ كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه وظلموا؛ وإن جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص، وشحوا له بغاية ما يقدرون؛ فأمروا بالإيمان إقلاعا عن الشرك، وبالوفاء نهيا عن التطفيف. إني أراكم بخير أي في سعة من الرزق، وكثرة من النعم. وقال الحسن: كان سعرهم رخيصة. وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط وصف اليوم بالإحاطة... وقيل: غلاء السعر؛ روي معناه عن ابن عباس.

ذكر الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه، وذلك قوله: (إِنِّي أَرَأَكُم بِخَيْرٍ)، يعني بخير الدنيا. وقد يدخل في خير الدنيا، المال وزينة الحياة الدنيا، ورخص السعر، ولا دلالة على أنه عنى بقبيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض، فذلك على كل معاني خيرات الدنيا التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها. وإنما قال ذلك شعيب، لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم ورخص من أسعارهم، كثيرة أموالهم، فقال لهم: لا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلكم وموازينكم، فقد وَسَّعَ اللهُ عليكم رزقكم، (وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ)، بمخالفتكم أمر الله، وبخسكم الناس أموالهم في مكاييلكم وموازينكم.

توفية الكيل

قال تعالى في سورة يوسف :

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ
أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ
لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾

ذكر الطبري: قراءة أهل الحرمين وأبي عمرو وعاصم "نكتل" بالنون وقرأ سائر الكوفيين "يكتل" بالياء؛ والأول اختيار أبي عبيد، ليكونوا كلهم داخلين فيمن يكتال؛ وزعم أنه إذا كان بالياء كان للأخ وحده. قال النحاس: وهذا لا يلزم؛ لأنه لا يخلو الكلام من أحد جهتين؛ أن يكون المعنى: فأرسل أخانا يكتل معنا؛ فيكون للجميع، أو يكون التقدير على غير التقديم والتأخير؛ فيكون في الكلام دليل على الجميع، لقوله: فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي.

توفية الكيل وعدم الإخسار

قال تعالى في سورة الشعراء:

أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾

ذكر السعدي: (المُحْسِرِينَ)، الذين ينقصون الناس أموالهم ويسلبونها ببخس المكيال والميزان.

ذكر الطنطاوي: (المُحْسِرِينَ)، الذين يأكلون حقوق غيرهم عن طريق التطفيف في الكيل والميزان.

الإيفاء بالكيل والميزان

قال تعالى في سورة الإسراء:

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

ذكر السعدي: يؤخذ من عموم المعنى النهي عن كل غش في ثمن أو مئمن أو معقود عليه والأمر بالنصح والصدق في المعاملة.

ذكر ابن عاشور: معنى كون ذلك، (أَحْسَنُ تَأْوِيلًا): أن النظر إذا جال في منافع التطفيف في الكيل والوزن وفي مضار الإيفاء فيهما ثم عاد فجال في مضار التطفيف ومنافع الإيفاء استقر وآل إلى أن الإيفاء بهما خير من التطفيف، لأن التطفيف يعود على المطفف باقتناء جزء قليل من المال ويكسبه الكراهية والذم عند الناس وغضب الله والسحت في ماله مع احتقار نفسه في نفسه، والإيفاء بعكس ذلك يكسبه ميل الناس إليه

ورضى الله عنه ورضاه عن نفسه والبركة في ماله فهو أحسن تأويلاً.
وتقدم ذكر التأويل بمعانيه في المقدمة الأولى من مقدمات هذا التفسير.

العدل في القياس

قال تعالى في سورة الأنعام:

وَلَا تَقْرُبُوا أَمْالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ
فَاعْدُوا وَإِلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾

ذكر السعدي: أي: بالعدل والوفاء التام، فإذا اجتهدتم في ذلك، (لا
نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)، أي: بقدر ما تسعه، ولا تضيق عنه. فمن
حرص على الإيفاء في الكيل والوزن، ثم حصل منه تقصير لم يفرط فيه،
ولم يعلمه، فإن الله عفو غفور.

ذكر الطنطاوي: وهذه الوصية هي مبدأ العدل والتعادل، وكل مجتمع
محتاج إليها، فالناس لا بد لهم من التعامل، ولا بد لهم من التبادل،
والكيل والوزن هما وسيلة ذلك، فلا بد من أن يكونا منضبطين بالقسط.
والمجتمعات الأمينة التي لا تجد فيها أحدا يغبن عن جهل أو غفلة، وهي

أيضا المجتمعات الأمانة التي لا تجد فيها من يحاول أن يأخذ أكثر من حقه . أو يعطى أقل مما يجب عليه .

عدم بخس الناس أشياءهم

قال تعالى في سورة الأعراف :

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ
 قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا
 تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
 ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ

ذكر القرطبي : قوله تعالى ولا تبخسوا الناس أشياءهم البخس النقص . وهو يكون في السلعة بالتعييب والتزهد فيها، أو المخادعة عن القيمة، والاحتيال في التزيد في الكيل والنقصان منه . وكل ذلك من أكل المال بالباطل .

الفصل الثامن - اقصار الإدارة

الموارد البشرية

صناعة القادة

قال تعالى في سورة طه :

وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي

ذكر القرطبي : أي اصطفتك لرحي ورسالتي . وقيل : (اصطنعتك) ، خلقتك ؛ مأخوذ من الصنعة . وقيل قويتك وعلمتك لتبلغ عبادي أمري ونهي .

ذكر ابن عاشور : الاصطناع : صنع الشيء باعتناء . واللام للأجل ، أي لأجل نفسي . والكلام تمثيل لهيئة الاصطفاء لتبليغ الشريعة بهيئة من يصطنع شيئاً لفائدة نفسه فيصرف فيه غاية إتقان صنعه .

مؤهلات القيادة

قال تعالى في سورة البقرة :

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ



ذكر الطنطاوي: فأنت تراهم لانعدام المقاييس الصحيحة عندهم ظنوا أن المؤهلات الحقيقية لاستحقاق الملك والقيادة إنما تكون بالنسب وكثرة المال. أما الكفاءة العقلية، والقوة البدنية، والقدرة الشخصية فلا قيمة لها عندهم لانطماس بصيرتهم، وسوء تفكيرهم. قال بعضهم: وسبب هذا الاستبعاد أن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بني إسرائيل وهو سبط بن يعقوب، وسبط المملكة بسبط يهوذا، ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل من ولد بنيامين. والواو في قوله: (وَنَحْنُ أَحَقُّ)، للحال، والواو الثانية في قوله: (وَكَمْ يُؤْتِ)، عاطفة جامعة للجملتين في الحكم.

ثم حكى القرآن ما رد به نبيهم عليهم فقال: (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ). أي قال لهم نبيهم مدلا على أحقية طالوت بالقيادة: إن الله تعالى، (اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ)، أي اختاره وفضله عليكم واختياره يجب أن يقابل بالإذعان والتسليم. وثانيا: (وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ). أي أن الله تعالى منحه سعة في العلم والمعرفة والعقل والإحكام في التفكير المستقيم

لم يمنحها لكم، وثالثا: في، (الجِسْم)، بأن أعطاه جسماً قوياً ضخماً مهيباً. وهذه الصفات ما وجدت في شخص إلا وكان أهلاً للقيادة والريادة، وفضلا عن كل ذلك فمالك الملك هو الذي اختاره فكيف تعترضون يا من تدعون أنكم تريدون القتال في سبيل الله؟ لذا نراه سبحانه يضيف الملك الحقيقي إليه فيقول: (وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ)، أي: يُعطي ملكه لمن يشاء من عباده لحكمة يعلمها. فلا يجوز لأحد أن يعترض على اختياره، والله واسع الفضل والعطاء.

صفات الأجير

قال تعالى في سورة القصص:

إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾

ذكر السعدي: اجعله أجيرا عندك، يرعى الغنم ويسقيها، إن موسى أولى من استؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملاً، بإجارة أو غيرها. فإن الخلل لا يكون إلا بفقدتهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من

قوة موسى عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى .

الإرضاع وقواعده

قال تعالى في سورة البقرة:

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَّ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ
الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ
نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى
الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

ذكر السعدي: هذا خبر بمعنى الأمر، تنزيلا له منزلة المتقرر، الذي لا يحتاج إلى أمر بأن: (يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ)، ولما كان الحول، يطلق على الكامل، وعلى معظم الحول قال: (كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ)، فإذا تم للرضيع حولان، فقد تم رضاعه وصار اللبن بعد ذلك،

بمنزلة سائر الأغذية، فلهذا كان الرضاع بعد الحولي، غير معتبر، لا يحرم. ويؤخذ من هذا النص، ومن قوله تعالى: وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا (الأحقاف: ١٥)، أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأنه يمكن وجود الولد بها.

(وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ)، أي: الأب، (رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)، وهذا شامل لما إذا كانت في حباله أو مطلقة، فإن على الأب رزقها، أي: نفقتها وكسوتها، وهي الأجرة للرضاع. ودل هذا على أنها إذا كانت في حباله، لا يجب لها أجرة، غير النفقة والكسوة، وكل بحسب حاله، فلهذا قال: (لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا نَفْسًا وَوَسْعَهَا)، فلا يكلف الفقير أن ينفق نفقة الغني، ولا من لم يجد شيئاً بالنفقة حتى يجد، (لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ)، أي: لا يحل أن تضار الوالدة بسبب ولدها، إما أن تمنع من إرضاعه، أو لا تعطى ما يجب لها من النفقة، والكسوة أو الأجرة، (وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ)، بأن تمتنع من إرضاعه على وجه المضارة له، أو تطلب زيادة عن الواجب، ونحو ذلك من أنواع الضرر. ودل قوله: (مَوْلُودٌ لَهُ)، أن الولد لأبيه، لأنه موهوب له، ولأنه من كسبه، فلذلك جاز له الأخذ من ماله، رضي أو لم يرض، بخلاف الأم.

وقوله: (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ)، أي: على وارث الطفل إذا عدم الأب، وكان الطفل ليس له مال، مثل ما على الأب من النفقة للمرضع والكسوة، فدل على وجوب نفقة الأقارب المعسرين، على القريب الوارث الموسر، (فَإِنْ أَرَادَا)، أي: الأبوان، (فِصَالًا)، أي: فطام الصبي قبل الحولين، (عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا)، بأن يكونا راضيين، (وَتَشَاوُرٍ)، فيما بينهما، هل هو مصلحة للصبي أم لا؟ فإن كان مصلحة ورضيا، (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)، في فطامه قبل الحولين، فدلّت الآية بمفهومها، على أنه إن رضي أحدهما دون الآخر، أو لم يكن مصلحة للطفل، أنه لا يجوز فطامه.

وقوله: (وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ)، أي: تطلبوا لهم المرضع غير أمهاتهم على غير وجه المضارة، (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ)، أي: للمرضعات، (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)، فمجازيكم على ذلك بالخير والشر.

ظلم الحاكم

قال تعالى في سورة الكهف:

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا

وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا



ذكر الطنطاوي: أن هذا الملك كان يأخذ كل سفينة سواء أكانت صحيحة أم معيبة، ولكن هذا الظاهر غير مراد. وإنما المراد: يأخذ كل سفينة سليمة. بدليل: فأردت أن أعيبها، أي: لكي لا يأخذها، ومن هنا قالوا: إن لفظ «سفينة» هنا موصوف لصفة محذوفة. أي: يأخذ كل سفينة صحيحة.

العرش

قال تعالى في سورة يوسف:

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ

ذكر السعدي: أي: على سرير الملك، ومجلس العزيز.

الوزير

قال تعالى في سورة طه:

وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي

ذكر الطنطاوي: أي: مُعيناً وظهيراً من أهلي في إبلاغ رسالتك.

ذكر القرطبي: فسأل موسى الله تعالى أن يجعل له وزيراً، إلا أنه لم يرد أن يكون مقصورا على الوزارة حتى لا يكون شريكاً له في النبوة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسألة.

العزير

قال تعالى في سورة يوسف:

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

ذكر الطبري: يا أيها الملك.

ذكر ابن عاشور: نادوا بوصف العزيز إما لأن كل رئيس ولاية مهمة يدعى بما يرادف العزيز فيكون يوسف عليه السلام عزيزاً، كما أن رئيس الشرطة يدعى العزيز كما تقدم في قوله تعالى: امْرَأَتُ الْعَزِيزِ (يوسف: ٣٠)؛ وإما لأن يوسف ضمت إليه ولاية العزيز الذي اشتراه فجمع التصرفات وراجعوه في أخذ أخيهم.

الخليفة

قال تعالى في سورة ص:

يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ... ﴿٣٦﴾

ذكر السعدي: أي تنفذ فيها القضايا الدينية والدينية.

ذكر الطنطاوي: الخليفة: هو من يخلف غيره وينوب منابه ... يا داود إنا جعلناك بفضلنا ومنتنا خليفة ونائباً عنا في الأرض، لتتولى سياسة الناس، ولترشدهم إلى الصراط المستقيم.

ذكر ابن كثير: هذه وصية من الله عز وجل لولاية الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله وقد توعد الله تعالى من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد.

الإدارة المالية

الترشيد بالتوسط

قال تعالى في سورة الإسراء:

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ

مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٣٩﴾

ذكر ابن كثير: يقول تعالى آمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن السرف: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ)، أي لا تكن بخيلاً ممنوعاً لا

تعطي أحداً شيئاً، كما قالت اليهود عليهم لعائن الله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ (المائدة: ٦٤)، أي نسبوه إلى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب. وقوله: (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ)، أي ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعده ملوماً محسوراً.

كتابة الديون

قال تعالى في سورة البقرة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ^ج
وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا
عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا
يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا
يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ
رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ
الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْب^ج
الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ^ج
ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا^ط إِلَّا أَنْ
تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُ وَنَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ

أَلَا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ
تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ



ذكر السعدي: هذه آية الدين، وهي أطول آيات القرآن، وقد اشتملت على أحكام عظيمة جليلة المنفعة والمقدار.

أحدها: أنه تجوز جميع أنواع المداينات من سلم وغيره، لأن الله أخبر عن المداينة التي عليها المؤمنون إخبار مقرر لها ذاكرا أحكامها، وذلك يدل على الجواز.

الثاني والثالث: أنه لا بد للسلم من أجل وأنه لا بد أن يكون معينا معلوما فلا يصح حالا ولا إلى أجل مجهول.

الرابع: الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوبا وإما استحبابا لشدة الحاجة إلى كتابتها، لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط والنسيان والمنازعة والمشاجرة شر عظيم.

الخامس: أمر الكاتب أن يكتب.

السادس: أن يكون عدلا في نفسه لأجل اعتبار كتابته، لأن الفاسق لا يعتبر قوله ولا كتابته.

السابع: أنه يجب عليه العدل بينهما، فلا يميل لأحدهما لقراءة أو صداقة أو غير ذلك.

الثامن: أن يكون الكاتب عارفاً بكتابة الوثائق وما يلزم فيها كل واحد منهما، وما يحصل به التوثق، لأنه لا سبيل إلى العدل إلا بذلك،...

التاسع: أنه إذا وجدت وثيقة بخط المعروف بالعدالة المذكورة يعمل بها، ولو كان هو والشهود قد ماتوا.

العاشر: قوله: ولا يأب كاتب أن يكتب، أي: لا يمتنع من من الله عليه بتعليمه الكتابة أن يكتب بين المتدائنين، فكما أحسن الله إليه بتعليمه، فليحسن إلى عباد الله المحتاجين إلى كتابته، ولا يمتنع من الكتابة لهم.

الحادي عشر: أمر الكاتب أن لا يكتب إلا ما أملاه من عليه الحق.

الثاني عشر: أن الذي يملئ من المتعاقدين من عليه الدين.

الثالث عشر: أمره أن يبين جميع الحق الذي عليه ولا يبخس منه شيئاً.

الرابع عشر: أن إقرار الإنسان على نفسه مقبول، لأن الله أمر من عليه الحق أن يمل على الكاتب، فإذا كتب إقراره بذلك ثبت موجب ومضمونه، وهو ما أقر به على نفسه، ولو ادعى بعد ذلك غلطا أو سهواً.

الخامس عشر: أن من عليه حقا من الحقوق التي البينة على مقدارها وصفتها من كثرة وقلة وتعجيل وتأجيل، أن قوله هو المقبول دون قول من

له الحق، لأنه تعالى لم ينهه عن بخش الحق الذي عليه، إلا أن قوله مقبول على ما يقوله من مقدار الحق وصفته .

السادس عشر: أنه يحرم على من عليه حق من الحقوق أن يبخص وينقص شيئاً من مقداره، أو طيبه وحسنه، أو أجله أو غير ذلك من توابعه ولو أحقه .

السابع عشر: أن من لا يقدر على إيماء الحق لصغره أو سفهه أو خرسه، أو نحو ذلك، فإنه ينوب وليه منابه في الإيماء والإقرار .

الثامن عشر: أنه يلزم الولي من العدل ما يلزم من عليه الحق من العدل، وعدم البخص لقوله: بالعدل .

التاسع عشر: أنه يشترط عدالة الولي، لأن الإيماء بالعدل المذكور لا يكون من فاسق .

العشرون: ثبوت الولاية في الأموال .

الحادي والعشرون: أن الحق يكون على الصغير والسفيه والمجنون والضعيف، لا على وليهم .

الثاني والعشرون: أن إقرار الصغير والسفيه والمجنون والمعتوه ونحوهم وتصرفهم غير صحيح، لأن الله جعل الإيماء لوليهم، ولم يجعل لهم منه شيئاً لطفاً بهم ورحمة، خوفاً من تلاف أموالهم .

الثالث والعشرون: صحة تصرف الولي في مال من ذكر.

الرابع والعشرون: فيه مشروعية كون الإنسان يتعلم الأمور التي يتوثق بها المتدائنون كل واحد من صاحبه، لأن المقصود من ذلك التوثق والعدل، وما لا يتم المشروع إلا به فهو مشروع.

الخامس والعشرون: أن تعلم الكتابة مشروع، بل هو فرض كفاية، لأن الله أمر بكتابة الديون وغيرها، ولا يحصل ذلك إلا بالتعلم.

السادس والعشرون: أنه مأمور بالإشهاد على العقود، وذلك على وجه الندب، لأن المقصود من ذلك الإرشاد إلى ما يحفظ الحقوق، فهو عائد لمصلحة المكلفين، نعم إن كان المتصرف ولي يتيم أو وقف ونحو ذلك مما يجب حفظه تعين أن يكون الإشهاد الذي به يحفظ الحق واجبا.

السابع والعشرون: أن نصاب الشهادة في الأموال ونحوها رجلان أو رجل وامرأتان، ودلت السنة أيضا أنه يقبل الشاهد مع يمين المدعي.

الثامن والعشرون: أن شهادة الصبيان غير مقبولة لمفهوم لفظ الرجل.

التاسع والعشرون: أن شهادة النساء منفردات في الأموال ونحوها لا تقبل، لأن الله لم يقبلهن إلا مع الرجل، وقد يقال إن الله أقام المرأتين مقام رجل للحكمة التي ذكرها وهي موجودة سواء كن مع رجل أو منفردات والله أعلم.

الثلاثون: أن شهادة العبد البالغ مقبولة كشهادة الحر لعموم قوله: واستشهدوا شهيدين من رجالكم، والعبد البالغ من رجالنا.

الحادي والثلاثون: أن شهادة الكفار ذكورا كانوا أو نساء غير مقبولة، لأنهم ليسوا منا، ولأن مبنى الشهادة على العدالة وهو غير عدل.

الثاني والثلاثون: فيه فضيلة الرجل على المرأة، وأن الواحد في مقابلة المرأتين لقوة حفظه ونقص حفظها.

الثالث والثلاثون: أن من نسي شهادته ثم ذكرها فذكر فشهادته مقبولة لقوله: فتذكر إحداهما الأخرى.

الرابع والثلاثون: يؤخذ من المعنى أن الشاهد إذا خاف نسيان شهادته في الحقوق الواجبة وجب عليه كتابتها، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

الخامس والثلاثون: أنه يجب على الشاهد إذا دعي للشهادة وهو غير معذور، لا يجوز له أن يأبى لقوله: ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا.

السادس والثلاثون: أن من لم يتصف بصفة الشهداء المقبولة شهادتهم، لم يجب عليه الإجابة لعدم الفائدة بها ولأنه ليس من الشهداء.

السابع والثلاثون: النهي عن السامة والضجر من كتابة الديون كلها من صغير وكبير وصفة الأجل وجميع ما احتوى عليه العقد من الشروط والقيود .

الثامن والثلاثون: بيان الحكمة في مشروعية الكتابة والإشهاد في العقود، وأنه: أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا، فإنها متضمنة للعدل الذي به قوام العباد والبلاد، والشهادة المقترنة بالكتابة تكون أقوم وأكمل وأبعد من الشك والريب والتنازع والتشاجر .

التاسع والثلاثون: يؤخذ من ذلك أن من اشتبه وشك في شهادته لم يجز له الإقدام عليها بل لا بد من اليقين، الأربعون: قوله: إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها، فيه الرخصة في ترك الكتابة إذا كانت التجارة حاضرا بحاضر، لعدم شدة الحاجة إلى الكتابة .

الحادي والأربعون: أنه وإن رخص في ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، فإنه يشرع للإشهاد لقوله: وأشهدوا إذا تباعتم .

الثاني والأربعون: النهي عن مضارة الكاتب بأن يدعى وقت اشتغال وحصول مشقة عليه .

الثالث والأربعون: النهي عن مضارة الشهيد أيضا بأن يدعى إلى تحمل الشهادة أو أدائها في مرض أو شغل يشق عليه، أو غير ذلك هذا على جعل قوله: ولا يضار كاتب ولا شهيد، مبنيا للمجهول، وأما على جعلها مبنيا للفاعل ففيه نهي الشاهد والكاتب أن يضارا صاحب الحق بالامتناع أو طلب أجره شاقة ونحو ذلك.

وهذان هما الرابع والأربعون والخامس والأربعون والسادس والأربعون أن ارتكاب هذه المحرمات من خصال الفسق لقوله: وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم.

السابع والأربعون أن الأوصاف كالفسق والإيمان والنفاق والعداوة والولاية ونحو ذلك تتجزأ في الإنسان، فتكون فيه مادة فسق وغيرها، وكذلك مادة إيمان وكفر لقوله: فإنه فسوق بكم، ولم يقل فأنتم فاسقون أو فساق. الثامن والأربعون: وحقه أن يتقدم على ما هنا لتقدم موضعه، اشتراط العدالة في الشاهد لقوله: ممن ترضون من الشهداء.

التاسع والأربعون: أن العدالة يشترط فيها العرف في كل مكان وزمان، فكل من كان مرضيا معتبرا عند الناس قبلت شهادته.

الخمسون: يؤخذ منها عدم قبول شهادة المجهول حتى يزكى، فهذه الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة

والفهم القاصر، والله في كلامه حكم وأسرار يخص بها من يشاء من عباده.

الحساب والمحاسبة

قال تعالى في سورة يونس :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا
عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

ذكر الطنطاوي: جعل سبحانه الشمس ضياءً، والقمر نورا، وقدره منازل، لتعلموا عدد السنين التي يفيدكم علمها في مصالحكم الدينية والدنيوية ولتعلموا الحساب بالأوقات من الأشهر والأيام لضبط عباداتكم ومعاملاتكم. قال الإمام ابن كثير: ... فبالشمس تُعرف الأيام، وبسير القمر تُعرف الشهور والأعوام. وتُعدُّ الحسابات دورياً وعادة يكون جردها وتقاريرها المالية كل ١٢ شهراً، يقول تعالى في سورة التوبة:

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .

الرقابة

الله شاهد على كل أعمال الخلق

قال تعالى في سورة يونس :

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا
كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ
ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ

مُبِينٍ

ذكر ابن كثير: يخبر تعالى نبيه، صلوات الله عليه وسلامه أنه يعلم جميع
أحواله وأحوال أمته، وجميع الخلائق في كل ساعة وآن ولحظة، وأنه لا
يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السماوات ولا
في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين، كقوله: وَعِنْدَهُ
مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ
وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي
كِتَابٍ مُبِينٍ (الأنعام: ٥٩)، فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها

من الجمادات وكذلك الدواب السارحة في قوله: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ^ج مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ^ج ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (الأنعام: ٣٨)، وقال تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا^ج كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (هود: ٦). وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء، فكيف بعلمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة، كما قال تعالى: الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ (الشعراء: ٢١٧-٢١٩)؛ ولهذا قال تعالى: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ (يونس: ٦١)، أي: إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راعون سامعون، ولهذا قال عليه السلام لما سأله جبريل عن الإحسان قال: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

إحاطة علم الله بخلقه واطلاعه عليهم

قال تعالى في سورة المجادلة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا

أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ



ذكر ابن كثير: ثم قال تعالى مخبرا عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم، وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا، فقال: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ) ، أي: من سر ثلاثة، (إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا)، أي: يطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به، مع علم الله وسمعه لهم، كما قال: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (التوبة: ٧٨) وقال: أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (الزخرف: ٨٠)؛ ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى ولا شك في إرادة ذلك ولكن سمعه أيضا مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء. ثم قال: (ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم، واختتمها بالعلم.

شدة قدرة الله

قال تعالى في سورة آل عمران :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٦﴾

ذكر الطبري: أي: قد علم ما يريدون وما يكيّدون وما يُضَاهون بقولهم في عيسى، إذ جعلوه ربًّا وإلهًا، وعندهم من علمه غير ذلك، غرّةً بالله وكفرًا به.

قال تعالى في سورة ق :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوْهُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾

ذكر السعدي: يخبر تعالى، أنه المتفرد بخلق جنس الإنسان، ذكورهم وإناثهم، وأنه يعلم أحواله، وما يسره، ويوسوس في صدره وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان، وهو العرق المكتنف لشغرة النحر، وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه، حيث نهاه، أو يفقده، حيث أمره، وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام

الكاتبين منه على بال، فيجلهم ويوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضي رب العالمين.

معية الله

قال تعالى في سورة الحديد:

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ

ذكر القرطبي: يدخل فيها من مطر وغيره وما يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السماء من رزق ومطر وملك وما يعرج فيها يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد، (وَهُوَ مَعَكُمْ)، يعني: بقدرته وسلطانه وعلمه أين ما كنتم والله بما تعملون بصير يبصر أعمالكم ويراهم ولا يخفى عليه شيء منها.

الرصد

قال تعالى في سورة الجن:

إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا



ذكر البغوي: قال مقاتل وغيره: كان الله إذا بعث رسولا أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رسدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين، فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان، فاحذره وإذا جاءه ملك قالوا له: هذا رسول ربك.

إدارة الحياة

صناعة الحياة الآمنة مطمئنة

قال تعالى في سورة النحل:

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن
كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ

ذكر السعدي: هذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنعرة العربية فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع. كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور،

وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم.

أداء الأمانة

قال تعالى في سورة النساء:

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا



ذكر القرطبي: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا)، هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع. وقد اختلف من المخاطب بها؛ فقال علي بن أبي طالب وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب وابن زيد: هذا خطاب لولاة المسلمين خاصة، فهي للنبي صلى الله عليه وسلم وأمرائه، ثم تناول من بعدهم... وممن قال إن الآية عامة في الجميع البراء بن عازب وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب قالوا: الأمانة في كل شيء في الوضوء والصلاة والزكاة والجنابة والصوم والكيل والوزن والودائع، وقال ابن عباس: لم يرخص الله لمعسر ولا لموسر أن يمسك

الأمانة، قلت: وهذا إجماع. وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار؛ قاله ابن المنذر. وأمهااتها في الأحكام: الوديعة واللقطة والرهن والعارية. قوله تعالى: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)، قال الضحاك: بالبينة على المدعي واليمين على من أنكر. وهذا خطاب للولاة والأمراء والحكام، ويدخل في ذلك بالمعنى جميع الخلق كما ذكرنا في أداء الأمانات.

قال صلى الله عليه وسلم: (من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول).

وأشار القرآن الكريم إلى أن يكون العامل المختار أميناً قوياً قادراً على العمل.

حمل الإنسان الأمانة دون غيره من المخلوقات

قال تعالى في سورة الأحزاب:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

ذكر السعدي: يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن الله عليها المكلفين، التي هي امثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السر والخفية، كحال

العلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال، عرض تخيير لا تحتيم، وأنك إن قمت بها وأدبتهأ على وجهها، فلك الثواب، وإن لم تقومي بها، ولم تؤدها فعليك العقاب .

أداء الأمانة والابتعاد عن الخيانة

قال تعالى في سورة البقرة:

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ



ذكر السعدي: فما كان صاحب الحق آمنا من غريمه وأحب أن يعامله من دون رهن فعلى من عليه الحق أن يؤدي إليه كاملا غير ظالم له ولا باخس حقه في أداء الحق ويجازي من أحسن به الظن بالإحسان لأن الحق مبني عليها لا يثبت بدونها، فكتمها من أعظم الذنوب، لأنه يترك ما وجب عليه من الخبر الصدق ويخبر بضده وهو الكذب، ويترتب على ذلك فوات حق من له الحق...، وقد اشتملت هذه الأحكام الحسنة التي أرشد الله عباده إليها على حكم عظيمة ومصالح عميمة دلت على أن الخلق لو اهتموا بإرشاد الله لصلحت دنياهم مع صلاح دينهم، لاشتمالها على العدل والمصلحة، وحفظ الحقوق وقطع المشاجرات والمنازعات، وانتظام أمر

المعاش، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه لا نحصي ثناء عليه .

ذكر الطنطاوي: إن أمن الدائن المدين واعتمد على ذمته ووفائه ولم يوثق الدين بالكتابة والشهود والرهن، فعلى المدين أن يكون عند حسن ظن الدائن به بأن يؤدي ما عليه من ديون في الموعد المحدد بدون تسويق أو ممانعة، وعليه كذلك أن يتقي الله ربه في رعاية حقوق غيره فلا يجحدها ولا يتأخر في أدائها لأن الله العليم بكل شيء سيحاسب كل إنسان بما قدمت يداه . وعبر سبحانه بقوله: (فَإِنْ أَمِنَ)، دون أو أودع، للإشارة إلى الجانب الذي اعتمد عليه الدائن في المدين وهو خلق الأمانة، فهو لا يرى فيه إلا جانباً مأموناً لا يتوقع منه شراً أو خيانة، وللتنبية إلى أن صفة الأمانة والوفاء من الصفات التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون جميعاً حتى ينالوا السعادة في دينهم ودنياهم، عبر بقوله: (فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ)، ولم يقل فليؤد المدين لحضه: على الأداء بأحسن أسلوب، لأنه ما دام الدائن قد أئتمنه على ما أعطاه من ديون، فعلى هذا الذي أؤتمن وهو المدين أن يكون عند حسن الظن به وأن يرد إليه حقه في مواعده مع شكره على حسن ظنه به . وقوله: (أَمَانَتُهُ) ، أي دينه . والضمير يصح أن يعود إلى الدائن باعتباره مالك الدين، وإلى المدين باعتبار أن الدين عليه، وفي

إضافتها أى الأمانة إلى المدين إشعار له بأنها عبء في ذمته يجب أن يؤديه حتى يتخلص من تكاليفه، إذ الأمانة عبء ثقيل عند العقلاء الذين يشعرون بالمسؤولية نحو أنفسهم ونحو غيرهم .

عدم خيانة الأمانة

قال تعالى في سورة الأنفال :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

ذكر السعدي : ومن لم يؤديها بل خانها استحق العقاب الوبيل، وصار خائناً لله وللرسول ولأمانته، منقصاً لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات، وأقبح الشيات، وهي الخيانة مفوتاً لها أكمل الصفات وأتمها، وهي الأمانة .

قال تعالى في سورة الأنفال :

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾

ذكر السعدي : بل يبغضهم أشد البغض، فلا بد من أمر بين يبرئكم من الخيانة .

ذكر القرطبي: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إنما كان الغدر في حق الإمام أعظم وأفحش منه في غيره لما في ذلك من المفسدة، فإنهم إذا غدروا وعلم ذلك منهم ولم ينبذوا بالعهد لم يأمنهم العدو على عهد ولا صلح، فتشتد شوكته ويعظم ضرره، ويكون ذلك منفرا عن الدخول في الدين، وموجبا لدم أئمة المسلمين. فأما إذا لم يكن للعدو عهد فينبغي أن يتحيل عليه بكل حيلة، وتدار عليه كل خديعة. وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم: الحرب خدعة. وقد اختلف العلماء هل يجاهد مع الإمام الغادر، على قولين. فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقاتل معه، بخلاف الخائن والفاسق. وذهب بعضهم إلى الجهاد معه. والقولان في مذهبنا.

المؤمنون مؤدون للأمانة وموفون للعهود

قال تعالى في سورة المؤمنون:

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾

قال تعالى في سورة المعارج:

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿١٣﴾

ذكر السعدي: أي: مراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيام بها وتنفيذها، وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق لله، والتي هي

حق للعباد، ... فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الأدميين، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمرين، وأداء الأمانتين ... وكذلك العهد، يشمل العهد الذي بينهم وبين ربهم والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات والعقود، التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويحرم عليه التفريط فيها وإهمالها.

ذكر الطنطاوي: لا تستقيم حياة أمة من الأمم إلا إذا أدت فيها الأمانات، وحفظت فيها العهود، واطمأن فيها كل صاحب حق إلى وصول هذا الحق إلي .

قال صلى الله عليه وسلم قال: (اضمنوا لي ستاً أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أؤتمنتم، وغضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفوا أيديكم).

تضييع الأمانة مؤداه خراب وفساد قد لا يصلح حتى قيام الساعة، قال صلى الله عليه وسلم قال: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة). أي إذا تم اختيار العامل غير المناسب للمكان غير المناسب فهذا إيذان بفساد عريض. فإذا كان العامل ضعيفاً يجب عدم تعيينه، فقد سأل

أبا ذر الولاية فرفض ذلك عليه الصلاة والسلام، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: (يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها).

الرعاية شأن عام وشأن خاص على السواء، قال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع فمسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

صناعة الكتابة

الكتابة

قال تعالى في سورة البقرة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ^ج

وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ

ذكر البغوي: واختلفوا في هذه الكتابة: فقال بعضهم: هي واجبة والأكثر على أنه أمر استحباب فإن ترك فلا بأس... وقال بعضهم كانت

كتابة الدين والإشهاد والرهن فرضاً ثم نسخ الكل بقوله: فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ (البقرة: ٢٨٣)، وهو قول الشعبي ثم بين كيفية الكتابة، ليكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب (كاتب بالعدل) أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير ولا يمتنع كاتب أن يكتب، واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فذهب قوم إلى وجوبها إذا طولب وهو قول مجاهد وقال الحسن تجب إذا لم يكن كاتب غيره وقال قوم هو على الندب والاستحباب وقال الضحاك كانت عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله تعالى: (وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ).

تزوير الكتابة والكذب على الله

قال تعالى في سورة البقرة:

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا

يَكْسِبُونَ

ذكر الطنطاوي: تهديد لهم مرتب على كتابة الكتاب المحرف، وعلى أكلهم أموال الناس بالباطل، فهو وعيد لهم على الوسيلة وهي الكتابة وعلى الغاية وهي أخذ المال بغير حق .

ذكر الطبري: إن الكتاب من بني آدم، وإن كان منهم باليد، فإنه قد يضاف الكتاب إلى غير كاتبه وغير المتولي رسم خطه، فيقال: " كتب فلان إلى فلان بكذا" ، وإن كان المتولي كتابته بيده، غير المضاف إليه الكتاب، إذا كان الكاتب كتبه بأمر المضاف إليه الكتاب .

الحفظة يكتبون

قال تعالى في سورة الزخرف:

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ



ذكر القرطبي: الحفظة عندهم يكتبون عليهم .

ذكر ابن عاشور: ليعلموا أن علم الله بما يُسِرُّون علم يترتب عليه أثرٌ فيهم وهو مؤاخذتهم بما يسرُّون لأن كتابة الأعمال تؤذن بأنها ستحسب لهم يوم الجزاء . والكتابة يجوز أن تكون حقيقة، وأن تكون مجازاً، أو كناية عن الإحصاء والاحتفاظ .

البحر كمداد

قال تعالى في سورة الكهف :

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ

كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

ذكر الطنطاوي : لو كان ماء البحر مدادا للأقلام التي تكتب بها كلمات ربي ومعلوماته وأحكامه . لنفد ماء البحر ولم يبق منه شيء مع سعته وغزارته قبل أن تنفد كلمات ربي ، وذلك لأن ماء البحر ينقص وينتهي أما كلمات الله تعالى فلا تنقص ولا تنتهي . وقوله سبحانه : (وَكَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) ، زيادة في المبالغة وفي التأكيد لما قبله من شمول علم الله تعالى لكل شيء ، وعدم تناهيه . أي : وبعد نفاد ماء البحر السابق ، لو جئنا بماء بحر آخر مثله في السعة والغزارة ، وكتبنا به كلمات الله تعالى لنفد أيضا ماء البحر الثاني دون أن تنفد كلمات ربي . فالآية الكريمة تصور شمول علم الله تعالى لكل شيء ، وعدم تناهي كلماته ، تصويرا بديعا ، يقرب إلى العقل البشري بصورة محسوسة كمال علم الله تعالى وعدم تناهيه .

ذكر ابن كثير : لو كان البحر مدادا لكلمات الله ، والشجر كله أقلام ، لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر ، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها

شيء؛ لأن أحدا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي، حتى يكون هو الذي يثني على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول، إن مثل نعيم الدنيا أولها وآخرها في نعيم الآخرة، كحبة من خردل في خلال الأرض كلها.

كتابة الغيب

قال تعالى في سورة القلم:

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

ذكر القرطبي: فهم يكتبون، وقيل: أينزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون. وعن ابن عباس: الغيب هنا اللوح المحفوظ فهم يكتبون مما فيه يخاصمونك به، ويكتبون أنهم أفضل منكم، وأنهم لا يعاقبون. وقيل: يكتبون يحكمون لأنفسهم بما يريدون.

الكتابة على الرقيم

قال تعالى في سورة الكهف:

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا



ذكر السعدي: الرقيم، أي: الكتاب الذي قد رقت فيه أسماءهم وقصتهم، ملازمتهم له دهرًا طويلًا.

ذكر الطنطاوي: وأما الرقيم فقد ذكروا في المراد به أقوالًا متعددة منها... اللوح الذي كتبت فيه أسماءهم وأنسابهم وقصتهم، فيكون الرقيم بمعنى المرقوم... ومأخوذ من رقت الكتاب إذا كتبه.

المحبرة والقلم والسطر والكتابة

قال تعالى في سورة القلم:

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ

ذكر السعدي: يقسم تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام، التي تكتب بها أنواع العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم.

خط الكتب وقراءتها والكتابة باليمين

قال تعالى في سورة العنكبوت:

وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَأَرْتَابَ

الْمُبْطَلُونَ

ذكر السعدي: ومما يدل على صحته، أنه جاء به هذا النبي الأمين، الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطأ، ولا يقرأ خطأ مكتوباً، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعة، التي لا تقبل الارتياب، أنه من عند الله العزيز الحميد .

ذكر ابن عاشور: أي لا تكتب كتاباً ولو كنت لا تتلوه، فالمقصود نفي حالتي التعلم، وهما التعلم بالقراءة والتعلم بالكتابة استقصاء في تحقيق وصف الأمية فإن الذي يحفظ كتاباً ولا يعرف يكتب لا يُعدّ أمياً كالعلماء العمي، والذي يستطيع أن يكتب ما يُلقى إليه ولا يحفظ علماً لا يُعدّ أمياً مثل النسخ فبانتفاء التلاوة والخط تحقق وصف الأمية .

استنساخ الكتب

قال تعالى في سورة الجاثية:

هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْنِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ



ذكر البغوي: أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم أي بكتبتها وإثباتها عليكم. وقيل: نأخذ نسخته، وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان، فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو نحو

قولهم: هلم واذهب. وقيل: الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم، والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، فينسخ كتاب من كتاب.

صناعة الأقلام من الشجر وصناعة الحبر أسوة ببون البحر

قال تعالى في سورة لقمان:

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

ذكر السعدي: وهذا التمثيل من باب تقريب المعنى، الذي لا يطاق الوصول إليه إلى الأفهام والأذهان، وإلا فالأشجار، وإن تضاعفت على ما ذكر، أضعافا كثيرة، والبحور لو امتدت بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصور نفادها وانقضاؤها، لكونها مخلوقة. وأما كلام الله تعالى، فلا يتصور نفاده، بل دلنا الدليل الشرعي والعقلي، على أنه لا نفاد له ولا منتهى، وكل شيء ينتهي إلا الباري وصفاته. وإذا تصور العقل حقيقة أوليته تعالى وآخريته، وأنه كل ما فرضه الذهن من الأزمان السابقة، مهما تسلسل الفرض والتقدير، فهو تعالى قبل ذلك إلى غير نهاية، وأنه مهما فرضه الذهن والعقل، من الأزمان المتأخرة، وتسلسل الفرض والتقدير،

وساعد على ذلك من ساعد، بقلبه ولسانه، فالله تعالى بعد ذلك إلى غير غاية ولا نهاية. والله في جميع الأوقات يحكم، ويتكلم، ويقول، ويفعل كيف أراد، وإذا أراد لا مانع له من شيء من أقواله وأفعاله، فإذا تصور العقل ذلك، عرف أن المثل الذي ضربه الله لكلامه، ليدرك العباد شيئاً منه، وإلا، فالأمر أعظم وأجل.

التعليم والتدريس

قال تعالى في سورة آل عمران:

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ
لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ
تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾

ذكر السعدي: علماء حكماء حلماة معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كبارها، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل، والباء في قوله: (بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ)، باء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقى، تكونون ربانيين.

ذكر الطنطاوي: قال الرازي: دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً، فمن اشتغل بذلك لا لهذا المقصد ضاع سعيه وخاب عمله، وكان مثله كمثل من غرس شجرة حسناء مونة بمنظرها ولا منفعة بثمرها، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع).

ذكر البغوي: قال المبرد: هم أرباب العلم سموا به لأنهم يربون العلم، ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، وكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه فقد ربه يربه.

القراطيس

قال تعالى في سورة الأنعام:

تَجْعَلُونَهُ قَرَاتِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَالًا تَعْلَمُونَ



ذكر الطنطاوي: القراطيس: جمع قرطاس وهو ما يكتب فيه من ورق ونحوه. أى: تجعلون هذا الكتاب الذي أنزله الله نورا وهداية للناس أوراقا مكتوبة مفرقة لتمكنوا من إظهار ما تريدون إظهاره منها، ومن إخفاء

الكثير منها على حسب ما تمليه عليكم نفوسكم السقيمة وشهواتكم الأثيمة .

تأويل الأحاديث

قال تعالى في سورة يوسف :

وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ^ع

ذكر الطنطاوي: وفعلنا ذلك التمكين له، لنعلمه من تأويل الأحاديث، بأن نهبه من صدق اليقين، واستنارة العقل، ما يجعله يدرك معنى الكلام إدراكا سليما، ويفسر الرؤى تفسيراً صحيحاً صادقاً.

التعلم والمعلم

قال تعالى في سورة الكهف :

قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا^ع

ذكر الطنطاوي: قال موسى للخضر عليهما السلام بعد أن التقيا: هل تأذن لي في مصاحبتك واتباعك. بشرط أن تعلمني من العلم الذي علمك الله إياه: شيئا أسترشد به في حياتي، وأصيب به الخير في ديني. فأنت ترى أن موسى عليه السلام قد راعى في مخاطبته للخضر أسمى

ألوان الأدب اللائق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث خاطبه بصيغة الاستفهام الدالة على التلطف، وحيث أنزل نفسه منه منزلة المتعلم من المعلم، وحيث استأذنه في أن يكون تابعا له، ليتعلم منه الرشد والخير. قال بعض العلماء: في هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم، وإن تفاوتت المراتب.

القلم

قال تعالى في سورة العلق:

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

ذكر الطنطاوي: علم الإنسان الكتابة بالقلم، ولم يكن له علم بها، فاستطاع عن طريقها أن يتفاهم مع غيره، وأن يضبط العلوم والمعارف، وأن يعرف أخبار الماضين وأحوالهم، وأن يتخاطب بها مع الذين بينه وبينهم المسافات الطويلة.

الكتب والكتاب المرقوم

قال تعالى في سورة المطففين:

كِتَابٌ مَّرْقُومٌ

ذكر القرطبي: كتاب مرقوم أي مكتوب كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحي. وقال قتادة: مرقوم أي مكتوب، رقم لهم بشر: لا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد. وقال الضحاك: مرقوم: مختوم.
ذكر ابن عاشور: المكتوب كتابةً بينة تشبه الرقم في الثوب المنسوج.

الكتب وطي السجل

قال تعالى في سورة الأنبياء:

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۗ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٤﴾

ذكر القرطبي: قال ابن عباس ومجاهد: كطي الصحيفة على ما فيها.

الكتب المسطرة

قال تعالى في سورة الأحزاب:

كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

ذكر السعدي: أي: قد سطر، وكتب، وقدره الله، فلا بد من نفوذه.

قال تعالى في سورة الطور:

وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾

ذكر الطنطاوي: أي مكتوب متسق الكتابة، منتظم الحروف، مرتب المعاني، فالمراد بالكتاب: المكتوب. وبالمسطور: الذي سطرت حروفه وكلماته تسطيرا جميلا حسنا.

ما يكتب عليه

قال تعالى في سورة الطور:



ذكر السعدي: أي: مكتوب مسطر، ظاهر غير خفي.
ذكر القرطبي: وكان كل كتاب في رق ينشره أهله لقراءته.

الخاتمة والنتائج

لطالما قرأت كتاب الله تعالى، وكلما قرأت وكررت، مرّ معي إشارة أو تلميحا لمهنة، فأستذكر في نفسي قول الله تعالى: **وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** (البقرة: ٢٨٢)، فأسألها: أليس هذا تعليم من الله؟ أليس هذا إرشاد من الله للناس ليتعلموا ويعلموا، فيعملوا.

ولم يغب عن بالي حوار الله تعالى مع ملائكته الكرام، فبعد أن علّم آدم الأسماء كلها، اعترف الملائكة عليهم السلام قائلين: **سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا** (البقرة: ٣٢)، وذكر السعدي بأن الأسماء هي أسماء الأشياء، وما هو مسمى بها، فعلمه ربّه الاسم والمسمى، أي: الألفاظ والمعاني، حتى الكبير من الأسماء كالقصة، والمصغر كالقصيدة.

وإن أصحاب المهن والحرفيين (وهم من الخلفاء في الأرض)، تكفيهم الإشارة، ويكفيهم أن ينظر أحدهم للشيء ليسارع لمحاكاته وتقليده، بل قد يزيد عليه بحنكته وخبرته. وإن قول الله تعالى: **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا**

يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ (المائدة: ٣١)، هو تعليم صريح من خلال غراب بعثه الله تعالى ليقبر غراباً آخر مات، وكلمة

(لِبرِيَّةُ) إنما هو تعليم بالمشاهدة، والنموذج، والمثال، وهذا أنسب ما ينسجم مع التعليم المهني ومتعلميه.

لقد كان هذا الكتاب ضمن سلسلة مازلت أتابع إصدارها: (نظرات اقتصادية في تفسير الآي القرآنية) تناولت في هذا الكتاب التعليم المهني من خلال مهن ذُكرت في القرآن الكريم، وقد كان عبارة عن فصل من السلسلة، ثم تطور ليكون باباً، إلا أن عدد المهن التي تجاوزت ال ٤٥٠ مهنة اضطرني لأن أجعله كتاباً مستقلاً.

تناول الكتاب سبعة فصول توزعت على الشكل التالي: الفصل الأول ماهية التعليم المهني، والفصل الثاني الاستكشاف، والفصل الثالث اقتصاد الصناعة، والفصل الرابع اقتصاد الزراعة، والفصل الخامس اقتصاد المهن والحرف، والفصل السادس اقتصاد التجارة، والفصل السابع اقتصاد الإدارة. وتناول كل فصل مهناً تخصه، كالمواد الخام والصناعات الثقيلة، وصناعة العمارة والتشييد والعمران، والصناعة البحرية والنهرية، وصناعة الطعام والشراب، وصناعة الغزل والنسيج واللباس والفرش، وصناعة الزينة والحلي، والزراعة، والحرف، والسقاية، واقتصاد الرعي وتربية الحيوانات، والرواية والقصص والأخبار، والتتبع والهداية والتقصي، وصناعة التصوير، ومهناً أخرى عديدة.

KIE Publication

ولعل أفضل نتيجة قد وصل إليها الكتاب، هي: أن ربَّ الناس، الذي خلقهم قد أنعم عليهم نِعماً عظيمة، فأعدَّ لهم الآلات، التي لو فقدوها، لما أمكن لهم البقاء على هذه البسيطة. فبعد أن خلق لهم الكون وخلق البشر، هداهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

فهو تعالى قد خَلق البشر بوصفهم موارد بشرية، وخلق حاجات يحتاجونها لا غنى عنها، قابلها خلق الموارد المادية التي لها صفة إشباع تلك الحاجات، ثم هداهم لآليات إشباع تلك الحاجات، فقله تعالى:

وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ (الحديد: ٢٥)، رأى فيه ابن عاشور، أنه يجوز أن يُراد بالحديد خصوص السلاح المتخذ منه من سيوف وأسنة ونبال، فيكون إنزاله مستعاراً لمجرد إلهام صنعه.

وبذلك هدى الله تعالى، الناس للعلم المهني، بكشفه لهم بالتدريب والملاحظة عبر بعض الحيوانات وتصرفاتها، أو عن طريق بعض الظواهر الكونية، كما ذكر المهن في كتابه الكريم صراحة أو إشارة أو تلميحاً، تاركاً للعقل البشري فُسحة، ليستنبط ويعمل فكره فيه. لذلك كانت دعوته بأدوات تولد المعرفة الفنية know-how لاكتساب العلم بطريق الاستنباط باستخدام العقل، وبطريق التجربة باستخدام الملاحظة ثم التجربة.

دَعُواهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
(يونس : ١٠)

—

وكتبه الفقير إلى الله سامر مظهر قنطقجي

تم في حماة (حماها الله) في ٢١ محرم ١٤٤٦ هـ / ٢٧ تموز ٢٠٢٤ م